بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة

في ظلال شهداء الطف

الجزء الثاني

ISBN 978-9933-489-69-4

9 789933 489694 رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٣ : ٣٣٨

الصمياني، حيدر

موسوعة في ظلال شهداء الطف / تأليف حيدر الصمياني؛ [تقديم اللجنة العلمية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية. محمد علي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.

٤ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٢١).

المصادر. ISBN:٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٦٩٤

١ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. - أصحاب - السيرة. ٢ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. أصحاب - صفات. ٣. واقعة كربلاء، ٦١هـ. شهداء. ٤. التاريخ الإسلامي - العصر الأموي - شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧-، مقدم. ب . العنوان

BP 193. 13 . A3 . S269 2013

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

موسوعة
في ظلال شهداء الطف

تأليف

الشيخ حيدر الصمياني

الجزء الثاني

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
الموقع الالكتروني: imamhussain-lib.com
البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com

مقدّمة الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

وبعد... فإن كربلاء تحوّلت بفعل العناصر التي امتلكتْها إلى جامعة كبيرة ـ عبر التاريخ وإلى يومك هذا وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ـ ضمّت بين ثناياها أرقى وأكمل وأنبل دروس العز والكرامة والإباء والإيثار والوفاء، وما شاكل ذلك من المعاني النبيلة والقيم الإنسانية.

بل إنّ الإنسان يستطيع أن يقول بأنّ كربلاء أصبحت المعين الزلال الذي لا يظمأ من شربه أبداً، وما ذاك إلا لأجل تلك الوقفة المباركة التي وقفها رجال كربلاء متمثلةً بالحسين عليه السلام، وأهل بيته وأنصاره، أولئك الذين أبوا لأنفسهم إلا أن يخلدوا مع خلود الحسين عليه السلام وثورته المباركة.

لقد جمع صعيد كربلاء بين فئتين من الناس لا يمكن اجتماعهما على وجه الأرض أبداً مادامت السموات والأرض، فقد جمعت بين أولئك الذين كانوا يلهثون وراء الدينار والدرهم، والذهب والفضة، والجاه والمنصب، وبين أولئك الذين طلّقوا الدنيا بكل ما تحمل من زينة وأموال وأولاد، لا لشيءٍ إلاّ حباً

للحسين عليه السلام، وإيماناً به وبحركته المباركة.

فقد تنازل عمر بن سعد عن دينه ومبادئه وقيمه، وكل ما يمت إلى الانسانية بصلة، بل وما يمليه عليه ضميره، حينما خُيِّر بين أن يملك بيده كتاب ولايته للري بشرط أن يخرج لحرب الحسين عليه السلام، على أن يأخذ في نفس الوقت وفي نفس اليد كتاب عاره الدنيوي وناره الأخروي، وبين أن يرفض وإذا به يختار العار والنار وهو يقول:

يقولون إنّ الله خالق جنّة	ونارٍ وتعذيبٍ وغلِّ يدينِ
وإن صدقوا فيما يقولونَ إنّني	أتوبُ إلى الرحمنِ في سنتينِ
وإن كذبوا فُزنا بدنيا عظيمةٍ	وملك عظيمٍ دائمٍ الحجلينِ

بينما يقف في الجهة الأخرى أحد أصحاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ألا وهو زهير بن القين (رض)، وهو صاحب الثروة الطائلة الكبيرة في الكوفة، فضلاً عن منزلته الاجتماعية المرموقة، فيضع يده على منكب الحسين عليه السلام وهو يقول له: (قد سمعت ـ هداك الله ـ مقالتك يابن رسول الله، والله لو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلدين، إلاّ أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها).

يا له من موقف عظيم وبعيدٍ عن سابقه بعد المشرق عن المغرب، وبعد الحق عن الباطل؛ وذلك لأنّ المحور الذي كان يدور عمر بن سعد في رحاه هو (الدنيا) بينما كان في زهير بن القين هو (الدين)، وكما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام:

«الدين والدنيا ضرتان، لاتجتمعان في قلب مؤمن أبداً».

ولقد خلّد الله سبحانه وتعالى هذه المواقف المبدئية وأصحابها في كتابه الكريم بقوله تعالى:

﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنّةِ أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وحقاً ما تقول الآية الكريمة.... فكما أن أصحاب النار لا يستوون مع أصحاب الجنة فكذا:

لا يستوي أبداً من اختاروا الفقر مع الله على الغنى مع أعداء الله.

ولا يستوي أبداً من فضلوا الموت في سبيل الله على الحياة مع الظالمين.

ولا يستوي أبداً من رفضوا الجاه والمال والمنصب من أجل الله ودينه وأوليائه حتى لا يعطوا الدنية في دينهم، وبين من أصبح مطيّة الشيطان الرجيم والسلطان الجائر اللئيم حتى داسوا دينهم تحت أقدامهم من أجلهم.

وكما يقول القرآن الكريم:

﴿قُل لاّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطّيّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

من هنا، كان كل واحد من أصحاب الحسين يمثل بحقٍ مشروعاً إسلامياً رائعاً بما جسّده في يوم عاشوراء من قيم الرسالة، ومبادئ الشريعة، ومفاهيم الاسلام.

وعليه... فجدير بنا ــ نحن المسلمين ــ ان نسلّط الأضواء عليهم وعلى مشروعهم الإسلامي الذي حملوه بين جنبات نفوسهم الشريفة، حتى يكون عوناً لنا في الاقتداء بهم والسير على منهجهم رضوان الله تعالى عليهم. من هنا جاءت هذه الموسوعة التي أسميناها «**موسوعة في ظلال شهداء الطف**» والتي حاولنا جاهدين

من خلالها إبراز بعض ما يمكن جمعه والتقاطه في كتب العلماء حولهم (رضي الله عنهم) من معلومات (على قلتها)، من أجل دراستها ثم أخذ العظة والعبرة منها.

وهذا هو الجزء الثاني من هذه الموسوعة والتي مَنَّ الله عليَّ بإكماله وانجازه وقد تضمن الحديث عن خمسة شهداء وهم: (حبيب بن مظهِّر الأسدي وزاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي ويزيد بن مَغْفَل المزني الأزدي وعبد الله بن بشر الخثعمي وعمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ولسوف يرى القارئ بشكل واضح حديثاً موسعاً في بعضهم ومضيِّقاً ومختصراً في آخر وما ذاك إلاّ لكثرة المعلومات في الأول وشحتها في الثاني.

ولقد بذلت الجهد ـ بمقدار الاستطاعة ـ من أجل تتبع أحوالهم منذ نشأتهم صغاراً وحتى شهادتهم (رض)، جامعاً لهم الأقوال والمواقف، فضلاً عن القبيلة التي ينتمون إليها، والبيت الذي يرجعون إليه، والآباء والأمهات والأخوة والأولاد والأعمام وأبنائهم وما شاكل ذلك مما يحيط بهم ويدور في فلكهم.

وختاماً.. أرجو من الأخوة القرّاء أن لا يبخلوا عنا بالنصيحة والفكرة البنّاءة التي يمكن أن تخدم هذه الثلة من المؤمنين.... فما من كتاب «إلاّ وتجد فيه نقصاً قلَّ هذا النقص أو كثر سوى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

سائلاً المولى جل وعلا أن يوفّقنا لإنجاز الأجزاء الباقية لهذه الموسوعة إنه أرحم الراحمين وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الطاهرين.

حيدر الصمياني

الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي الفقعسي عليه السلام

ديباجة

الحديث عن الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي حديثٌ عن التفاني والإخلاص في أعلى صوره وأشكاله، حديثٌ عن الإيمان والعشق الإلهي، والذي تجده بشكل واضح ممثّلاً بعلاقته بالحسين عليه السلام وانشداده إليه وانجذابه نحوه، بل والفناء في فلكه عليه السلام.

لقد كان هذا الشيخ الهَرِم الكبير - كما سيأتينا خلال الحديث عنه - رمزاً للعطاء وعنواناً للفداء في كلّ زمان ومكان، فلم تكن شيبة حبيب وكِبَر سنّه مانعاً له من الوقوف إلى جانب الحق مهما كلّفه الأمر، حتى ولو أدّى ذلك إلى أن يترك أهله بلا ماء وطعام، بل وحتى لو سُفك في سبيل ذلك دمه الطاهر، وهكذا صنع حبيب بالفعل فاستحق تكريم الحسين عليه السلام له يوم وقف على جسده الطاهر في كربلاء مؤبّناً له بقوله:

«عند الله أحتسبُ نفسي وحُماة أصحابي، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قُتل والله أسدٌ من آساد الله، يذبّ عن حُرَم الله، رحمك الله يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً، تختم القرآن في ليلةٍ واحدةٍ»[1].

(١) مقتل أبي مخنف: ص١٤٧.

أقوال العلماء فيه

١ ـ قال ابن حجر العسقلاني: «حبيب بن مُظهِّر، روى عن عليّ بن أبي طالب (رض)، ذكره الطوسي في رجال الشيعة، وقال أبو عمرو الكشي: كان من أصحاب علي، ثمّ كان من أصحاب الحسن والحسين، وذُكرت له قصّة جرتْ له مع ميثم التمّار، ويُقال إنّ حبيب بن مُظهِّر قُتل مع الحسين»[١].

٢ ـ قال الشيخ المفيد: «ومن أصفياء أصحابه[٢] عمرو بن الحَمِق الخزاعي، عربي، وميثم التمّار، وهو ميثم بن يحيى مولى، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظهِّر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر»[٣].

٣ ـ قال الشيخ علي النمازي: «حبيب بن مظاهر الأسدي، من خواص أمير المؤمنين والحسن والحسين، عَلِمَ المنايا والبلايا، وهو قرين ميثم ورشيد، في غاية الجلالة والنبالة»[٤].

٤ ـ قال الزركلي: «حبيب بن مظهِّر أو مظاهر أو مُطهّر... من القوّاد الشجعان، نزل الكوفة وصَحِب عليّ بن أبي طالب في حروبه كلّها... وعمره خمس وسبعون سنة»[٥].

---

(١) لسان الميزان: ج٢، ص٥٥٤، ٢١٢٩، وقد ذكر ابن حجر في الإصابة: وأنّه أدرك النبي صلى الله عليه وآله تحت اسم (حتيت) وليس (حبيب)، الإصابة: ج١، ١٩٣٩، وكذلك ابن مطهّر وليس مظهّر، الإصابة: ج١، ١٩٣٩.

(٢) يقصد الإمام أمير المؤمنين.

(٣) الاختصاص للشيخ المفيد: ص٣.

(٤) مستدرك سفينة البحار: ج٢، ص١٧٠.

(٥) الأعلام للزركلي: ج٢، ص١٦٦.

٥ ـ قال السيّد الخوئي: «حبيب بن مظاهر الأسدي، ذكره الشيخ في رجاله من أصحاب علي عليه السلام وعدّه أيضاً من أصحاب الحسن عليه السلام من غير توصيف بالأسدي، وذكره البرقي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن شرطة خميسه ومن أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام»[١].

الأسرة التي ينتمي إليها الشهيد

لقد تميّز حبيب بن مُظهِّر (رض) بخصائص إيمانية عظيمة، إضافةً إلى نشوئه في بيت توارث البطولة والشجاعة والوفاء والكرم والجود وإغاثة الملهوف وما شاكل ذلك من صفات العزّ والشرف، وكيف لا يكون كذلك وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بقصص آبائه وأجداده وأعمامه وأقربائه شعراً وأدباً وخُلُقاً وسيرةً تشرأبّ لها الأعناق.

بنو أسد

وهي القبيلة التي ينتمي إليها هذا الشهيد الكربلائي صاحبة الأمجاد والذكْر الجميل، وقد تقدّم بعض الحديث عنها في الجزء الأول من هذه الموسوعة في طيّات الحديث عن الشهيد مسلم بن عوسجة الأسدي(رض).

بنو فقعس

وهو الجدّ الرابع لحبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض)[٢]، وفقعس وبنوه هم

---

(١) معجم رجال الحديث: ج٥، ص٢٥٧٥.

(٢) قبائل العرب: ج١، ص٢٤٦.

الذين يرجعون إلى الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة[١]، وقد تحدّث عنهم البلاذري بشكل يلفت الانتباه إلى أنّ هذه الأسرة لها ميزات خاصة دون بقيّة الأسر الأخرى، حيث تميّزوا بالشجاعة والفصاحة والشعر والنخوة والكرم وما شاكل ذلك من الصفات الحسنة، حتى وصل الأمر إلى أن يمدح أحد الشعراء فقعس بقوله:

ولكن أبوكم فقعساً قد علمتم ... ومنصبكم إن صرتم للمناصب[٢]

وحتى يكون القارئ أكثر فهماً وتفهّماً لهذه الأسرة التي ينتمي إليها الشهيد الكربلائي حبيب من مظهِّر الأسدي، أودّ أن أضع بين يديه بعض شخصيات هذه الأسرة حتى نعلم أنّ هذا النسب الذي يرجع إليه هذا الشهيد لم يكن نَسَباً عاديّاً، بل جمع الكثير من الخصائص التي يُمتدح ببعضها الشعوب والقبائل.

١ـ ربيعة بن ثعلبة بن رئاب بن الأشتر بن حجوان والمكنّى «أبو ثور»، حيث عُرفت فيه الشجاعة المتميّزة حتى على شجعان العرب وذؤبانها، حيث قَتل صخر ابن عمرو (أخا الخنساء).

يقول البلاذري وهو يتحدّث عن شجاعة أبي ثور: (غزا صخر بن عمرو بني أسد فَأَطْرَدَ إبَلَهم، فركبوا في طَلَبه حيث أتاهم الصريخ، فلمّا لحقوه بذات الأثل اقتتلوا قتالاً شديداً فطعن أبو ثور صخراً في جنبه وفات القوم، فكان أهله يمرضونه قريباً من حولٍ حتى ملّوه، فسألتْ امرأةُ سلمى امرأةَ صخرٍ كيف بَعْلُكِ؟ وهو يسمع،

(١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة، باب الفاء، ص٩٢٥.

(٢) الأنساب للبلاذري: ج٣، ٤٩٩.

فقالت: هو لقيٌّ لا حي يُرجى ولا ميت يُنعى، ولقد لقينا الأمرّين. فقال صخر:

أرى أمَّ صــخرٍ مَـا تَمُـلّ عَوَائِـدِي ... وَمَلَّـتْ سُـلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أنْ أَكُوْنَ جَنَازَةً ... عَلَيْـكِ وَمَـنْ يَغْتَـرُّ بِالحَـدَثانِ

قال أبو عبيدة: فلمّا طال به البلاء ونتأت في موضع الجراحة منه قطعة مثل اللَّبَد في جنبه، قالوا له: لو قطعتها وعولج قطعها رجونا أن تبرأ، فقال: شأنكم، وأشفق عليه بعضهم من ذلك فأبى، فأخذوا شفرة فقطعوا ذلك المكان فيئس من نفسه، فقال:

كَأنِّي وَقَدْ أَدْنَوا لِحَرِّ شِفَارِهِم ... مِن الصَّدْرِ دَامِي الصَّفْحَتَيْنِ نَكِيْبُ

فَقُلْتُ لَهُمْ لاَ تَحْرُمُوْنِي فَإِنَّنِي ... مُقِيْمٌ مَكَانِي مَا أَقَامَ عَسِيْبُ)[١]

٢ ـ ربيعة بن حوط بن رئاب بن الأشتر المُكنّى بـ«أبي المهوش الأسدي»، وهو ابن عمّ الشهيد الكربلائي والقائل:

دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُوْنَ قَدْ بَلَغُوْا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُوْنَهُ الأُزُرَا

وقوله:

يَعِيْشُ الفَتَى بِالفَقْرِ يَوْمَاً وَبِالغِنَى ... وَكُلٌّ كَأَنْ لَمْ يَلْقَ حِيْنَ يُزَايِلُهُ[٢]

٣ ـ الكميت بن ثعلبة بن رئاب بن الأشتر بن حجوان، الشاعر المعروف في قصّة «دارة القمر» المشهورة، ذكرها البلاذري بقوله: (حدّثني أحمد بن موسى

---

(١) الأنساب للبلاذري: ج٤، ص١.

(٢) ابن حجر العسقلاني: كتاب الإحابة: الحاء بعدها الواو، حوط بن رئاب وليس ربيعة كما ذكره الكثيرون كالبلاذري وغيره.

الفزاري، قال: كان سالم بن دارة القمر أحد بني عبد الله بن غطفان، ويُقال إنّ دارة القمر أُمّه، ويُقال أبوه وأمّه من بني أسد، هجا رجلاً يُقال له ثابت بن واقع، وكان ثابت فزاريّاً، فقال له:

وَيْحَكَ يَا ابْنَ وَاقِعٍ فَأَنْتَا　　أَنْتَ الَّذِي طَلَّقْتَ لَمَّا جِعْتَا

فغضب له رجل من بني قومه من بني فزارة يُقال له «زميل»، فضرب ابن دارة بالسيف فقتله، وكان الكلبي يقول: دارة القمر أبو سالم قيل له ذلك لجماله، واسمه رويبة بن حَب، قال ابن دارة:

أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوفٌ بها نَسَبِي　　وَهَلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ

مِنْ فَرْعِ قَيْسٍ وَأَخْوَالِي بَنُو أَسَدٍ　　مَنْ أَكْرَمِ النَّاسِ زَنْدِي فِيْهُمُ وَارِي

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: هجا سالم بن دارة في فزارة ففتك به بعضهم فضربه، فقال الكميت:

لاَ تُكْثِرُوْا فِيْهِ العُجَاجَ فَإِنَّهُ　　فِي السَّيْفِ مَا قَالَ ابْنُ دارةَ أُجبهَا

فمضى كلام الكميت مثلاً[1].

٤ ـ عمرو بن نضلة الذي آلى على نفسه أن يطعم رفقةً كان بها السويق والتمر، فبعث مَن يأتيه بذلك فأبطأ رسوله فرحلت امرأة من بني محارب كانت في الرفقة فاتبعها حتى ردّها، وقال:

يَا رَبَّةَ العِيْرِ رُدِّيْهِ لِمَرْبَعِهِ　　لاَ تَظْعَنِي فَتُهِيِّجِي النَّاسَ لِلظَّعْنِ[2]

(١) الأنساب للبلاذري: ج٣، ص٥٠٠.

(٢) الأنساب للبلاذري: ج٣، ص٥٠٠.

٥ ـ خالد بن نضلة بن الأشتر المعروف بـ(خالد المهزول)، وأمّا لماذا اشتهر بالمهزول؟

فلأنّه وكما يقول البلاذري في الأنساب:

«رأى خالد التيس يعتلف، أنفَ تتحرك لحيتُه كتحرّك لحية التيس، فترك الأكل وعرضت له الخلفة حتى أخرج سَرْمَه، فجاء غراب فجعل يقول له: يا غراب، جر فلتجرن بسرم رجل كريم، ويقول أبو اليقظان: إنّه ترك الأكل حتى مات»[(١)].

وفيه يقول أحد أولاده مادحاً له:

وَجَدِّي خَالِدُ المَهْزُوْلُ حَسْبِي ... بِهِ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ زَعِيْمَا[(٢)]

وهكذا القائمة تطول بالأبطال والأفذاذ والذي فيهم مَن كان يُعدّ بألف فارس[(٣)].

الاختلاف في اسم الشهيد وكنيته ولقبه

اسم الشهيد

لقد اختلف العلماء في اسم الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض) إلى آراء متعدّدة، سوف نذكرها ثمّ نشير إلى المشهور عندهم.

---

(١) الأنساب للبلاذري: ج٣، ص٥٠٠.

(٢) الأنساب للبلاذري: ج٣، ص٥٠٠.

(٣) انظر: الأنساب للبلاذري: ج٣، ص٥٠٠، والمقصود به هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان، وكان يعدل - كما يقولون - ألف فارس.

ورد اسم (حبيب) عند الكثير من العلماء من المدرستين، ويبدو أنّه المشهور عندهم كما ذهب إلى ذلك السيد الأمين[١] والعلاّمة ابن داود[٢] والنمازي الشاهرودي[٣] والسيد الخوئي[٤] وآخرون.

بينما ذكره آخرون بلفظ (حتيت) كابن حجر في الإصابة[٥].

اسم والد الشهيد مظهّر أم مظاهر

أمّا اسم والده، فقد ذهب البعض إلى أنّه مُظهِّر، كما مال إلى ذلك الطبري، وأبو مخنف[٦]، والعلاّمة في القسم الأول من الخلاصة[٧]، وابن حجر في لسان الميزان[٨]، والسماوي في إبصار العين[٩].

بينما ذكره جمعٌ مردّداً بين مُظهِّر ومظاهر من دون ترجيح، كالسيد الزنجاني في وسيلة الدارين[١٠].

---

(١) الأعيان: ج٤،٥٥٣ - ٥٥٥.

(٢) رجال ابن داود، القسم الأول: ٣٧٤.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ج٢، ص١٧٠.

(٤) معجم رجال الحديث: ج٥، ص٢٠١ – ٢٠٣. لسان الميزان: ج٢، ص٥٥٤.

(٥) الإصابة لابن حجر: ج٢، ص١٩٥٤ في أحد قوليه.

(٦) الطبري: ج٣، ص٣٢٧.

(٧) الخلاصة: القسم الأول، الباب ١٣، حرف الحاء.

(٨) لسان الميزان: ج٢، ص٥٥٤.

(٩) أبصار العين: ص٥٦.

(١٠) وسيلة الدارين: ص١١٩.

مظهِّر هو الأصح

ويبدو أنّ (مُظهَّر) هو الصحيح دون (مظاهر) كما ذهب إلى ذلك المحقّقون؛ وذلك لسببين:

أمّا الأول: فهو رجزه كما سيأتينا بعد ذلك في الحديث عن شهادته(رض)، فقد ذكر العلماء بأنّ حبيب بن مُظهَّر حينما نزل إلى المعركة ارتجز وهو يقول:

أَنَا حَبِيْبٌ وَأَبِي مُظهَّرُ فَارِسُ هَيْجَاءَ وَحَرْبٌ تَسْعَرُ
أَنْتُمْ أَعَدُّ عُدَّةً وَأَكْثَرُ وَنَحْنُ أَرْضَى مِنْكُمُ وَأَصْبَرُ
وَنَحْنُ أَعْلَى صُحْبَةً وَأَظْهَرُ حَقّاً وَأَتْقَى مِنْكُمُ وَأَعْذَرُ[١]

ولم يذكر أحد رجزاً غير هذا منسوباً إلى هذا الشهيد من غير (مظهّر).

وثانياً: أنّ أهل اللغة يقولون: إنّ هناك كلمات ينطق فيها بحروف الألف ولكنّها لا تكتب حين الكتابة، والأمثال على ذلك كثيرة حتى في القرآن الكريم، حيث تقرأ كلمة (صلاة) بإثبات الألف ولكنّها حين الكتابة لا تثبت، وهكذا كلمة (سموات) (سموت) وكلمة (رحمان) و (رحمن).

ولهذا ربّما كانت كلمة (مظهّر) و(مظاهر) جاءت على وفق هذا السياق، فوقع الاشتباه عند مَن نقل اسم الشهيد الكربلائي، حيث كان ينطق بمظاهر ولكن يكتب (مُظهِّر) (رض).

---

(١) الطبري: ج٣، ص٣٢٧.

نسب الشهيد الكربلائي

وأمّا نسبته فلم يختلف أحد على أنّه أسدي، نعم ذكروا في معرض الحديث عنه أنّه كندي وفقعسي وهذا لا ضمير فيه، إذ الجميع يمثلون جهة واحدة، وأمّا كنيته فالجميع يقولون هو أبو القاسم حبيب بن مُظهِّر الأسدي.

صحابي جليل أم تابعي قدير؟

تحت هذا العنوان أو ما هو في مضمونه وقع العلماء ـ وخصوصاً الرجاليين منهم ـ في بحث ودرس ما إذا كان الشهيد الكربلائي صحابياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أم إنّه كان تابعياً قديراً من روّاد الطبقة الأولى؟

من خلال الرجوع إلى كتب العلماء وما تحدّثوا به وذكروه حول شخصية هذا الشهيد وخصوصاً الرجاليين منهم، يخرج الإنسان بالقول إنّ هناك - إجمالاً - رأيين أو اتجاهين في هذا المجال:

الاتجاه الأوّل

يذهب أصحاب هذا الاتجاه أنّ حبيب بن مُظهِّر الأسدي كان صحابياً جليلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصحاب هذا الرأي - وحسب كلماتهم - إمّا أنّهم يقطعون بصحبة هذا الشهيد الكربلائي كما سيأتي، أو أنّهم يميلون إلى هذا الرأي دون غيره، وهذا ما يمكن لنا أن نتلمّسه من خلال ما تحدّثوا به عن هذا الشهيد، وممّن يذهب إلى هذا الرأي:

١ ـ ابن حجر العسقلاني، حيث يقول في كتاب (الإصابة)[١]: «حتيت[٢] بن مُظهِّر بن رئاب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الكندي ثمّ الفقعسي له إدراك، وعمّر حتى قُتل مع الحسين بن علي، ذكره ابن الكلبي مع ابن عمّه ربيعة بن حوط ابن رئاب»[٣].

ولا شك ولا ريب أنّ قليلَ تأمّلٍ فيما ذكره ابن حجر يُظهر - وبشكل واضح - أنّه يتبنّى الرأي القائل بصحبة الشهيد لرسول الله صلى الله عليه وآله، بل ويرسلها إرسال المسلّمات.

٢ ـ السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه القيِّم (الفصول المهمّة)، حيث يقول وهو يتحدّث عن الصحابة الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله وعُرفوا في نفس الوقت بالولاء والتشيّع لعلي عليه السلام وآل علي عليه السلام: «حبيب بن مظاهر بن رئاب... أدرك أيّام النبي صلى الله عليه وآله، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من إصابته»[٤].

٣ ـ السيد محسن الأمين نقلاً عن كتاب (مجالس المؤمنين):

«ثمّ حكى عن كتاب (روضة الشهداء) ما ترجمته أنّه تشرّف بخدمة الرسول صلى الله عليه وآله وسمع منه أحاديث، وكان مُعزّزاً مُكرّماً بملازمة حضرة المرتضى»[٥].

---

(١) الإصابة لابن حجر: باب الحاء بعدها التاء (حتيت).

(٢) يبدو أنّ الاسم فيه تصحيف من حبيب، خصوصاً وقد ذكره نفس ابن حجر في الإصابة بلفظ حبيب، ج١، ١٩٣٩.

(٣) الإصابة: برقم ١٩٥٤.

(٤) الفصول المهمّة: ص١٩٣.

(٥) أعيان الشيعة: ج٤، ص٥٥٤، ٢٩١.

٤ ـ الشيخ محمد السماوي: «حبيب بن مُظهِّر... كان صحابياً، رأى النبيﷺ، ذكره ابن الكلبي»[(١)].

٥ ـ المازندراني في (معالم السبطين): «وفي الخبر أنّ رسول اللهﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه في بعض الطريق وإذا هما بصِبْيَان يلعبون في ذلك الطريق، فجلس النبيﷺ عند صبيّ وجعل يقبّل بين عينَيه ويلاطفه، ثمّ أقعده في حجره، وكان يُكثر تقبيله، فسُئل عن علّة ذلك فقال: إنّي رأيتُ هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين ورأيتُه يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه، فأنا أحبّه لحبّه لولدي الحسين، ولقد أخبرني جبرئيل أنّه يكون من أنصاره في وقعة كربلاء، وذكر بعض الثقات أنّ ذلك الطفل كان حبيب بن مظاهر الذي فدى الحسين بنفسه ومهجته»[(٢)].

مناقشة رواية معالي السبطين

ومثل هذه الرواية لا يمكن قبولها على إطلاقها لوجود فاصل زمني يقدّر بـ ١٥ سنة على الأقل بين الحسين وحبيب بن مُظهِّر، ومن ثم لا يمكن إطلاق لفظ الصبي فضلاً عن الطفل على حبيب (رض) في زمن رسول اللهﷺ الذي يُفترض أن يكون عُمُره على أقل التقادير ١٥ سنة، ولذلك نحن نميل إلى استبعاد هذه الرواية كما استبعدها المازندراني في معالم السبطين بعد ذكْره لها مباشرة.

٦ ـ ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (حوار مع الشيخ صالح بن عبد

---

(١) إبصار العين: ص٥٦.

(٢) معالم السبطين: ج١، ص٣٦٨.

الله الدرويش) وهو يتحدّث معه حول الشيعة الذين كانوا معاصرين لزمن رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يقول: «فها نحن نضع أمام الشيخ قائمة بأسماء لفيف من الصحابة الذين شهدت أعمالهم على أوصافهم وأفعالهم على نيّاتهم، وأثنى أصحاب الرجال والتراجم عليهم، أو على الأقل سكت عنهم التاريخ، ولنكتف بذكر القليل منهم عن الكثير، وهم: ... حبيب بن مظاهر الأسدي... »[1].

وكذلك ما ذكره في كتابه (تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره)، حيث تحدّث عن لفظ الفقه والفقيه واستعمالاتها بقوله: «وممّا يدلّ على أنّ الفقيه في الصدر الأول بمعنى صاحب البصيرة في الدين، أنّ الحسين عليه السلام بن علي عليه السلام وصف حبيب بن مظاهر الأسدي بالفقيه»[2].

وممّا يؤيّد أنّ مراده من الصدر الأول هو عصر رسول الله صلى الله عليه وآله قولُه بعد ذلك: «نعم، غلب استعمالها في القرن الثالث أو قبله في العارف بالأحكام الشرعية الذي سبر أغوارها، وقد ذكر ابن خلدون أنّ اسم القرّاء يُطلق على أهل الفتيا والفقه من الصحابة»[3].

الاتجاه الثاني

وهناك مَن يرى أنّ الشهيد الكربلائي كان تابعيّاً كبيراً في السنّ، جليلاً في القدر، وذلك اعتماداً على جملة من النقاط، وهي كالتالي:

---

(١) حوار مع الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش: ج٢، ص٩٣.

(٢) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص٢٣.

(٣) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص٢٤.

النقطة الأولى: إنّ كتب الرجال التي تحدّثت عن عصر رسول الله صلى الله عليه وآله لم تتحدّث عنه، لاسيّما صاحبا كتابي (الاستيعاب، وأُسْد الغابة) سوى ابن حجر كما تقدّم.

مناقشة النقطة الأولى

ويَرُدّ على هذا الاستدلال أنّه متى كانت مثل هذه الكتب مقياساً واقعياً لمعرفة الصحابي عن غيره؟! وهل يا ترى كل ما ذكروه صحيح في كتبهم؟ أم أنّ فيه الغَثّ والسمين والدسّ والتزوير وهذا واضح وجلي لكلّ ذي عينين بصيرتين، نعم، نحن قد نستشهد بها ولكن في مقام الردّ من حيث المقوله القائلة:

«**ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم**» [١].

لا أن يُعوَّل عليها فقط، خصوصاً وقد تحدّثتْ كتب أخرى عنه وعن صحبته (رض) كابن حجر في الإصابة.

النقطة الثانية

ما ذكره الشيخ الطوسي في رجاله عن الشهيد، حيث عَدّه من أصحاب الإمام أمير المؤمنين، حيث قال: «أسماء مَن روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام... حبيب بن مظاهر الأسدي» [٢]، ممّا يعني أنّه لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حسب ظاهر كلامه رحمه الله.

النقطة الثالثة: الزركلي: «حبيب بن مُظهِّر أو مظاهر أو مُطهّر بن رئاب بن

(١) مائة قاعدة فقهية، السيّد المصطفوي.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ص٦٠، ٥١٢.

الأشتر... نزل الكوفة وصحب علي بن أبي طالبعليه السلام، تابعيٌّ من القوّاد الشجعان... وعمره خمس وسبعون سنة»[(١)].

مناقشة رأي الزركلي

ويمكن أن يُقال بأنّ كلام الزركلي من الممكن أن يُقبل في حال عدم وجود قرائن على وجود الشهيد وصحبته وإدراكه للنبيصلى الله عليه وآله، أمّا مع وجودها[(٢)] فيمكن أن يكون كلامه - لاسيما في خصوص عمر الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدي وأنه كان ٧٥ سنة - من مؤيّدات الرأي الأول القائل بالصحبة لا الثاني.

يوم الفرقان

لقد تحوّل يوم عاشوراء إلى يوم عظيم من أيام الله، مُخَلَّد في قلوب وضمائر المؤمنين الأحرار، فهو اليوم الذي تميّز فيه الحق من الباطل والإيمان الصادق من الإيمان الكاذب المنافق، فصار بحقٍ يوم الفرقان، فكما أنّ القرآن الكريم وصف يوم انتصار معركة بدر بيوم الفرقان بقوله:

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ .

حتى تحوّلت بدر إلى مَعْلَم مهمّ من معالم أيام الله، مخلّد في التاريخ، فكذلك كانت وستبقى معركة كربلاء ويوم عاشوراء كذلك.

فهاهما الجمعان يتميزان بالمواقف، وها هي الشخصيات تُمتحن بالشدائد، فيمكث منها الصالح القوي في إيمانه، ويذهب جفاءً مَن لا إيمان له ولا صلاح،

(١) الزركلي في الأعلام: ج٢، ص١٦٦.

(٢) وقد تقدّم قبل قليل ما يؤكّد ذلك، لاسيّما في الإصابة لابن حجر.

فلقد عاش حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض) وعاش معه شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وعمر بن سعد وآخرون، ورأى الجميع بأُمِّ أعينهم كيف تعامل معهم علي بن أبي طالب صاحب المبادئ والقِيَم، حيث فتح لهم باب التعبير عن الآراء والمعتقدات بأجمل صورها وأشكالها حتى مع أعدائه وهم الخوارج، ورأوا في نفس الوقت كيف تعامل معهم آل أبي سفيان بدايةً من معاوية والذي قالها لهم صارخةً واضحة في النُخيلة: «ألا وإنّي ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، قد عرفت أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون» (١).

ونهايةً إلى آخر أموي سفياني تسلّط عليهم في الكوفة، ومع ذلك كلّه لم يميّزوا بينهما مع صراحة ووضاحة كلٍ من الفريقين، وليس ذلك إلاّ لعمى البصيرة عندهم وسوء السريرة فيهم ونيّة السوء التي كانوا يحملونها في صدروهم.

نعم، لم ينجوا من ذلك إلاّ قليلٌ منهم، حيث وقفوا إلى جانب الحق مهما كانت النتائج، وهؤلاء هم الذين تحدّث عنهم القرآن الكريم بقوله:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢).

أولئك الذين أَبَوا أن يحشروا مع الظالمين ومنهم حبيب بن مُظهّر الأسدي (رض)، وكأنّ الله عزّ وجلّ شاءت إرادته أن يفترق الحق والباطل في هذه الدنيا وفي الآخرة.

---

(١)البداية والنهاية لابن كثير: ج١١، ص٤٢٩. سير أعلام النبلاء: ج٣، ص١٤٦.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

أمّا في هذه الدنيا فيقول القرآن الكريم:

﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1].

وكأنّ الآية تريد أن تقول أن لا وجود للباطل إلاّ مع غياب الحق.

وأمّا في الآخرة فيقول القرآن:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾[2].

ولمّا كانت إرادة الله متعلّقة بهذا الأمر منذ القِدَم، أبتْ كربلاء إلاّ أن تكون ترجماناً بارزاً ومصداقاً صارخاً لهذا المفهوم القرآني والربّاني، ويبدو أنّ كربلاء ويوم فرقانها مستمرّ إلى أبد الآبدين ما دامت السماوات والأرض، فهي الفرقان في كلّ عام بين أولئك المضحّين في طريق الحسين، نفساً وجهداً ومالاً ووقتاً، وبين أولئك الذين يركضون ويلهثون وراء يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد من خلال ملذّات هذه الدنيا وأهوائها المُضِلّة، بل إنّها الفرقان حتى بين مَن يستفيد من مائدة الحسين ليرقى، وبين مَن يأكل من نفس هذه المائدة ولكنّه لا يعيش الوعي في فكره ولا البصيرة في دينه ولا الاستقامة في سلوكه، فقد جعلها طريقاً للوصول إلى مآربه التي هي أقرب إلى مآرب شمر وشبث وأمثالهما، وهذا في الواقع درس مهمّ وبليغ في نفس الوقت نأخذه من خلال هذا الشهيد السعيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض)، حيث أبى لنفسه أن تُحشر مع مَن انقلب على وجهه وخسر الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الإسراء: ٨١.

(٢) سورة يس: ٥٩.

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾(١).

فأراد أن يميّزها في هذه الدنيا فضلاً عن الآخرة فياليتنا نميز أنفسنا عمّن نعيش معهم ممّن لا يعرفون للدين في نفوسهم أيّ أثر، من خلال المواقف والأحداث التي تتطلّب منّا وقفة وصرخة وغلظة في وجه الباطل عن أولئك الذين لا يملكون من الشجاعة ما يؤهّلهم للوقوف معنا، فإذا ما تميّزنا عنهم فسوف نأتي يوم القيامة متميزين كذلك، مظلّلين برحمة الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(٢).

حبيب بن مُظهِّر الأسدي والعصمة

لقد وصل حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض) إلى درجة عالية من التقوى والعدالة والاتباع لأوامر الشريعة ونواهيها، حتى أنّ الإنسان ليسهل عليه أن يقول وبضرس قاطع إنّ صدور الذنب منه وحاله هذه إمّا أن يكون معدوماً بالكامل، أو أن تكون نسبته بدرجة من القلّة بحيث لا تُعدّ ولا تحسب، وهذه العصمة التي وصل إليها هذا الشهيد الكربلائي لا شك بخلاف تلك العصمة الواجبة التي وصل

(١) سورة الحج: ١١.

(٢) سورة المطففين: ٢٩ - ٣٦.

إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث تُعدّ عصمة واجبة بخلاف الأخرى التي لا تكون واجبة.

ونعني بالعصمة غير الواجبة هي تلك التي لا يكون صاحبها قوله وفعله وتقريره حجّة شرعية يُسار على أساسها ويُستدلّ على الحكم من خلالها، بينما في عصمة المعصوم الواجبة يكون الأمر كذلك، وبعبارة أخرى: يمكن أن تكون عصمة أهل البيت عصمة تكوينية بمعنى تعلّق الإرادة الإلهية تكويناً بعصمتهم كما هو مقتضى قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1].

يقول الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (أهل البيت عليهم السلام سماتهم وحقوقهم): «والقرائن التي ستمرّ عليك تدلّ على أن الإرادة في الآية تكوينية لا تشريعية، بمعنى أنّ إرادته التكوينية تعلّقت بتكوين الاشياء، وإبداعها في عالم الوجود تعلّقت أيضاً بإذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام وتطهيرهم» [2].

وأمّا عصمة أصحاب الأئمة عليهم السلام لا سيّما الشهيد الكربلائي فيمكن أن تكون عصمة اكتسابية، وهذه العصمة لا تختصّ بفرد من هذه الأمّة دون فرد آخر، وإنّما هي لجميع عباده المخلصين؛ لأنّ الجميع مأمور بها من قِبل الله تبارك وتعالى كما في قول الله تعالى:

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) أهل البيت سماتهم وحقوقهم: ص٨٣.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[(١)].

ومتى علم الله سبحانه وتعالى باستعداد العبد للاعتصام بحبل الله عزّوجل والابتعاد عن معصيته، أفاض عليه سبل الوصول إلى ذلك، ومن ثم يمكن أن يكون مشمولاً حتى بآيات الاصطفاء التي تحدّث عنها القرآن الكريم في أكثر من آية، كقوله:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[(٢)].

خصوصاً إذا أخذنا الاصطفاء بمعنى التصفية[(٣)]، وبما أنّهم تحرّكوا في طريق تصفية نفوسهم من الأكدار والأقذار وممّا عَلِقَ بها من شهوات هذه الدنيا ورذائلها، فقد أعانهم الله على هذا بأن أعطاهم القدرة عليه ومنحهم سهولة الوصول إليه، فضلاً منه ورحمة، وهو القائل:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[(٤)].

ولقد تحدّث السيد الشهيد الصدر الثاني في كتابه القيّم (أضواء على الثورة الحسينية) حول هذا الموضوع بما لا مزيد له، حيث ذكر جملة من الأدلّة العقلية والنقلية، والتي تؤكّد على أنّ بعض أصحاب الحسين معصومون بما فيهم الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض).

---

(١) هود: ١١٢.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) التفسير الكبير للرازي: ج٤ ص٢٣، دار الفكر – بيروت.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

يقول الشهيد الصدر: «إنّ أمثال هؤلاء الأصحاب والمقرّبين للأئمة عليهم السلام قد ربّاهم المعصومون عليهم السلام وكانوا تحت رعايتهم وتوجيههم وأمرهم ونهيهم ردحاً طويلاً من الزمن، إلى حدٍّ يُستطاع القول إنّهم فهموا الاتجاه المعمّق والارتكازي - لو صحّ التعبير - للمعصومين، ومن هنا كان باستطاعتهم أن يطبّقوا هذا الاتجاه في كلّ أقوالهم وأفعالهم، كما يُستطاع القول إنّ الأصحاب (رض) تلقّوا من الأئمة عليهم السلام توجيهات وقواعد عامّة في السلوك والتصرف أكثر ممّا هو معلن بين الناس بكثير، بحيث استطاعوا أن يطبّقوا هذه القواعد طِيلة حياتهم»[1].

حبيب بن مُظهِّر الرجل الفقيه

ذكر السيد الزنجاني في (وسيلة الدارين في أنصار الحسين) كتاباً من الحسين عليه السلام أرسله إلى حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض)، وهذا نصّه: «مِن الحسين ابن علي إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أمّا بعد يا حبيب، فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغيرة، فلا تبخل علينا بنفسك، يجازيك جدّي رسول الله يوم القيامة»[2].

إنّ هذا الكتاب الذي بَعث به الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مُظهِّر ليحمل في طيّاته وكلماته الكثير من النقاط المهمة، والتي سوف نتعرّض إليها إن شاء الله تعالى في وقت لاحق في طيّات هذه الدراسة حول شخصية حبيب، ولكنّنا نريد

(١) أضواء على الثورة الحسينية: ص٤٣ - ٤٤.

(٢) وسيلة الدارين في أنصار الحسين: ص١٢٠ - ١٢١.

أن نسلّط الأضواء في هذا الوقت حول معنى كلمة (الفقيه) والتي وردت في كتاب الحسين وعلاقتها مع الشهيد الكربلائي (رض)، فنقول:

معنى كلمة الفقيه

كلمة الفقيه يمكن أن تُحمل على أحد معانٍ ثلاثة لا رابع لها، وفي كلّ هذه المعاني الخير كلّ الخير إلى الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي.

المعنى الأول الواعي والبصير

إنّ المراد من الفقيه: الواعي والبصير وصاحب البيّنة من دينه، فقد وردت هذه الكلمة (فقيه) ومشتقّاتها في معاجم اللغة وفي القرآن الكريم وفي السنّة النبوية المُطهَّرة بمعنى الواعي والفَطِن والبصير والعالم وما شاكل ذلك.

يقول ابن منظور:

(الفقيه: العالم بالشيء والفهم له... وفي حديث سلمان أنّه نزل على نبطيّة بالعراق، فقال لها: هل هنا مكان نظيف أصلّي فيه؟ فقالت طهّر قلبك وصلّ حيث شئتَ، فقال سلمان: فقهت: أي فهمت وفطنت... ويقول الفقه: الفطنة، وفي المثل: خير الفقه ما حاضرت به، وشرّ الرأي الدّبرى)[١].

أمّا القرآن الكريم فقد تحدّث وعلى نفس الشاكلة وفي آيات كثيرة عن هذه المفردة (الفقه)، وفي جميعها أراد معنى الفهم الدقيق للدين والعميق للشريعة وإدراك المعنى والغاية والسر، يقول القرآن الكريم وهو يتحدّث عن موسى عليه السلام

---

(١) لسان العرب: ج٥ ص٣٤٥٠، (مادّة فقه).

في طلبه لله عزّ وجلّ:

﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (١).

وعندما دعا شعيب قومه إلى عبادة الله سبحانه وتعالى والالتزام بأوامره ونواهيه، قالوا له:

﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ (٢).

أي لا نفهم كثيراً ممّا تقول وتتحدّث، وقوله:

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٣).

أي يعلمون ويفهمون، وقوله:

﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٤).

أي يفهمون، وقوله:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (٥).

أي لا يعون بها ولا يفهمون، وهكذا آيات كثيرة كلّها تُشير إلى نفس هذا المعنى أو ما يقارب منه.

أمّا السنّة النبوية المُطهَّرة، فقد ورد فيها هذا المعنى كثيراً لقوله صلى الله عليه وآله:

---

(١) طه: ٢٧ – ٢٨.

(٢) هود: ٩١.

(٣) الأنفال: ٩٨.

(٤) الأنفال: ٦٥.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

«نظر الله عبداً سمع منّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرُبّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه، ورُبّ حامل فقه ليس فقيهاً» [١].

والمتأمّل في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المتقدّم يخرج بنتيجة مفادها: أنّ الفقيه المراد به هنا هو صاحب البصيرة في دينه الذي خلص إلى معاني النصوص واستطاع أن يخلص تبعاً لذلك إلى العبر والفوائد التي حوتْها، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ربّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه» أي أقدر منه على التعرّف على مراد الله سبحانه وتعالى، وقوله: «ليس بفقيه» يعني ليس عنده قدرة على استخلاص الدروس والمواعظ والعبر التي تضمّنتْها هذه النصوص. ويقول صلى الله عليه وآله في حديث آخر:

«مِن فقه الرجل أن يقول لِمَا لا علم به: الله أعلم» [٢].

وقوله صلى الله عليه وآله:

«إنّ طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإنّ من البيان لسحراً» [٣].

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«ألا أنبئكم بالفقيه كلّ الفقيه؟ مَن لم يؤس عباد الله من روح الله ولم يؤمنهم من مكره» [٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٥، ص١٨٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: مسألة ٢٧٩٨.

(٣) صحيح مسلم: ح٨٦٩.

(٤) معاني الأخبار: ص٤٧.

ويقول ابن القيّم في كتابه (مفتاح دار السعادة): (بل لم يكن السلف يطلقون اسم الفقيه إلاّ على العالم الذي يصحبه العمل كما سئل سعد بن إبراهيم عن أفقه أهل المدينة فقال: أتقاهم)[١]. وربّما من هنا جاء الحديث عن النبيﷺ:

«مَن يُرِد الله به خيراً يفقّهه في الدين» [٢].

والفقه في الدين المراد به حتماً ليس هو معرفة الأحكام لوحدها والقدرة على استخلاصها، وإنّما المراد بالفقه في هذا الحديث وفي غيره كما تقدّم هو الوعي والبصيرة والفهم العميق للدين الملازم بالضرورة للتقوى والورع والزهد والخوف من الله سبحانه وتعالى.

المعنى الثاني القَرَّاء للقرآن الكريم

ورد في بعض الأخبار وفي كتب العلماء ما يوحي أنّ المراد بالفقهاء في الصدر الأول للإسلام هم القُرّاء للقرآن الكريم والحَمَلَة له حفظاً وتفسيراً وتلاوةً وتدبّراً، فقد ورد في حقّ هؤلاء أنّهم كانوا إذا قرأوا عشر آيات من القرآن الكريم لا ينتقلون إلى غيرها حتى يحفظوها ويفهموا معناها ويعملوا بها، وللتدليل أكثر أنّ الفقهاء هم القرّاء أو العكس في الصدر الأول للإسلام أذكر هنا مثالاً، وهو شخصية معاذ بن جبل (رض)، حيث عُدّ فقيهاً وقارئاً للقرآن في آنٍ واحد، يقول المصنف في كتاب (فضائل القرآن الكريم) في مسألة مَن قرأ في عهد النبيﷺ: (حدّثنا ابن إدريس عن شعبة عن قتادة، قال: سمعتُ أنساً يقول: قرأ معاذ وأبي

---

(١) مفتاح دار السعادة: ج١، ص٨٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين.

وسعد وأبو زيد، قال: قلتُ: ومَن أبو زيد؟ قال أحد عمومتي)[(١)].

ويذكر البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال: سمعتُ النبيﷺ يقول:

«ستقرئوا القرآن عند أربعة... ومعاذ بن جبل» [(٢)].

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري على صحيح البخاري: (وقد أخرج ابن حبّان والترمذي من حديث أبي هريرة رفعه: نعم الرجل معاذ بن جبل، كان عقبياً بدرياً من فقهاء الصحابة... وقد صحّ عن عمر أنّه قال مَن أراد الفقه فلْيأتِ معاذاً» [(٣)].

المعنى الثالث المفتي

أن يكون المراد من صفة (الفقه) التي تمتّع بها الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي، هو قدرته على فهم النصوص والإفتاء كما هو حال الفقيه في عصرنا هذا، نعم ربّما كانت المسألة في عصر الصحابة ليست بتلك الدرجة الكبيرة من الإمعان والنظر والدراسة كما هو حال الفقيه في عصرنا هذا، وممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه هو ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره)، حيث يقول:

(كان الافتاء هو الإجابة على السؤال، فالكلمة جاءت بمعنى واحد في فتوى

(١) المصنّف لابن أبي شيبة: ج٤، مسألة ٤٣٨٩، ص٢٤.

(٢) صحيح البخاري: باب مناقب معاذ بن جبل: ح٣٥٩٥.

(٣) فتح الباري في صحيح البخاري: ح٣٥٩٥، حاشية رقم١.

الصحابة والتابعين والفقهاء، والجميع يجيبون عن السؤال ويفتون بالحكم، بَيْد أنّ إجابة الطائفتين الأوليين كانت تقتصر على الكتاب والسنّة غالباً خلافاً لفتوى الفقهاء، حيث يطعمونها بالإمعان والنظر في مصادر التشريع أكثر ممّا عليه الصحابة والتابعون)[١].

حبيب بن مُظهِّر الأسدي وعلم المنايا والبلايا

ذكر العلاّمة الشيخ علي النمازي الشاهرودي‌قُدِّسَ سِرُّهُ في كتابه القيّم (مستدركات علم الرجال): (حبيب بن مظاهر الأسدي من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين‌عليهم السلام، عَلِمَ المنايا والبلايا، وهو قرين ميثم ورشيد، في غاية الجلالة والنبالة»[٢].

لقد عشق حبيب بن مُظهِّر الإسلام عشقاً عظيماً وذاب في قادته، حتى لم يكن ليرى لنفسه وجوداً مع وجودهم، ابتداءً من رسول الله‌صلى الله عليه وآله ثمّ من بعده أمير المؤمنين والحسن والحسين‌عليهم السلام، ولقد تميّزت علاقة الشهيد مع أمير المؤمنين بشكل خاص؛ وذلك لطول المدة التي صحبه بها، حتى صار له موضع خاصة لديه، فكان الإمام يسرّه بعلوم وأسرار لم يُسرّ بها إلاّ القلّة القليلة من أصحابه الثقات والتي يراهم الإمام يحملون استعداداً كبيراً لقبولها؛ وذلك لأنّ العلوم لا يمكن إعطاؤها إلى الناس بدرجة واحدة، بل لابدّ من النظر إلى الجهة المخاطبة بهذه العلوم، حتى ورد عن رسول الله‌صلى الله عليه وآله قوله:

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص٢٥ – ٢٦.

(٢) مستدركات علم الرجال: ج٢، ص١٧٠.

«نحن معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وآله:

«ما حدّث أحدٌ قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة عليهم»[(٢)].

ولهذا ينبغي أن تقدم العلوم بشكل تدريجي حالها حال الوصفة الطبية التي يقدمها الطبيب إلى مريضه في أن يأخذ الدواء الفلاني على شكل جرعات، لعلم الطبيب أنّ أخْذ الدواء دفعةً واحدةً يعني الموت والهلاك، وما أجمل تلك الأبيات التي نُسبت في كتب العلماء إلى حفيد الإمام أمير المؤمنين علي بن الحسين عليه السلام وهو يشير إلى هذه الحقيقة الإيمانية:

إنّـي لأكـتمُ مِـن عِلْمِـي جَـوَاهِرَهُ ... كَيْ لاَ يَرَى العِلْمَ ذُو جَهْلٍ فيَفْتَتِنَا
وَقَـدْ تَقَـدَّمَ فِـي هَـذَا أَبُـوْ حَـسَنٍ ... إِلَـى الحُـسَيْنِ وَأَوْصَـى قَبْلَـهُ الحَـسَنَا
فَـرُبَّ جَـوْهَرِ عِلْـمٍ لَـوْ أَبُـوْحُ بِـهِ ... لَقِيْـلَ لِـي: أَنْـتَ ممّـنْ يَعبـدُ الوَثَنَـا
ولاسْـتَحَلَّ رِجَـالٌ مُـسْلِمُوْنَ دَمِـي ... يَـرَوْنَ أقـبحَ مَـا يَأتونَـهُ حَـسَنَا[(٣)]

وهذه باعتقادي واحدة من جملة الأدلّة على أحقّية الإمام أمير المؤمنين وولايته الإلهية، فها هو القائد الإلهي يربّي الناس مِن حوله ويرفع درجاتهم ويلتقطهم التقاط الطير للحَبّ الجيّد من الحبّ الرديء، إنّه يلتقطهم إذا رأى عندهم مثل هذا الاستعداد، حتى ولو كانوا في بيوت مَن يختلف معهم في الرأي كمحمد بن أبي بكر وغيره، فقد أخذهم الإمام وربّاهم وأودعهم علوماً عالية

---

(١) الآداب الشرعية، فصل مخاطبة الناس على قدر عقولهم: ج٢، ص١٥٥.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة: ج١١، ص٢٨٦.

(٣) تفسير الآلوسي: ج٦، ص١٩٠.

المستوى كعلوم البلايا والمنايا، حتى صار بعضهم يفوق حتى عبد الله بن عباس في علمه، وإليك نموذجاً يبيّن أهمّية هذا العلم وتميّز مَن أوتيه على الآخرين، فيُنقل: (أنّ ابن عباس جلس يوماً بين يدي ميثم التمار كالتلميذ بين يديّ معلّمه، فقال له ميثم: يا بن عباس، سلني ما شئتَ من تفسير القرآن، فلقد تعلّمت تنزيله من أمير المؤمنين وعلّمني تأويله)(١).

ويظهر من خلال قراءة الروايات - وكما سوف يأتينا بعد ذلك - أنّ الشهيد الكربلائي حبيب بن مُظهِّر الأسدي كان من الذين حظوا بهذه المنزلة الرفيعة عند الإمام أمير المؤمنين، حتى خصّهم بعلم المنايا والبلايا.

وأعظم علم البلايا والمنايا بتقديري أن يخبِر الإنسان بموته متى وكيف، خصوصاً إذا كان هذا الموت سيأتي بأقسى أشكاله وعلى يد شرّ البرية طغياناً وكفراً، مع صدق القائل ويقين الخبر.

ولا شك أنّ مثل هذا الأمر سيترك أثره في نفس المخاطب به والذي سيجري عليه مضمون الخبر، ومن ثم فمن الممكن أن يصدر منه ما يعكس مثل هذا الأثر من كلمة تضجّر أو قلق أو خوف أو ما شاكل ذلك، ولكنّنا نجد مثل هؤلاء الأبدال يتلقّون مثل هذه الأخبار بنفوس مطمئنّة وراضية بقضاء الله بدرجة عالية جداً، بل إنّ بعضهم ليتحدّث بما سوف يجري عليه بالشكل الذي ربّما يُفهم السامع، كأنّ مثل هذا الأمر سيجري على غيره لا عليه، وما ذاك إلاّ لعظيم إيمانهم وسموّ أنفسهم وعلاقتهم المتميزة بالله سبحانه وتعالى وبالإمام

---

(١) بحار الأنوار: ج٤، ص١٢٨، ح١١، نقلاً عن معرفة اختيار الرجال للطوسي.

أمير المؤمنين عليه السلام.

ينقل العلاّمة آية الله الحاج سيد محمد حسين الحسيني الطهراني قدس سره في كتابه (معرفة الإمام) في القسم المتعلّق بالإمام أمير المؤمنين وإخباره بالمغيّبات: «لقد أخبر الإمام أمير المؤمنين بمقتل ثلّة من أصحابه، منهم حجر بن عدي، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد النخعي، وميثم التمّار، ومحمد بن أكتم، وخالد ابن مسعود، وحبيب بن مظاهر، وجويرية بن مسهر، وعمرو بن الحَمِق، وقنبر، ومزرّع وغيرهم، ووصف قاتليهم وكيفية قتلهم»[١].

وهكذا نرى أنّ الشهيد الكربلائي حبيب بن مُظهِّر قد تقدّم إليه من الإمام كما تقدّم إلى غيره وقت وفاته وكيفيّتها، ولقد جرى عليهم جميعاً ما ذكره لهم أمير المؤمنين لفظاً ومعنى، فها هو حجر يخرج من الدنيا شهيداً ويُدفن في مرج عذراء[٢]، ورشيد الهجري تُقطّع يداه ورجلاه ثمّ لسانه ويُصلب[٣]، وهذا ميثم التمّار يطعن في خاصرته حتى انبعث الدم من منخريه[٤]، وذاك قنبر يُذبح بيد الحجّاج، وهكذا الآخرون.

ولقد كان من بين هؤلاء الذين أخبروا بما يجري عليهم حبيب بن مُظهِّر حيث ينقل الكشي رواية يؤكّد فيها على هذه الحقيقة، وفي نفس الوقت يتبيّن لنا من خلالها متى الاستعداد الكبير الذي كان يحمله هذا الشهيد(رض)

---

(١) كتاب معرفة الإمام: ج١٢، القسم الخامس، أخباره بمقتل بعض أصحابه.

(٢) الطبقات لابن سعد: ج٦، ص٢١٧ – ص٢٢٠.

(٣) رجال الكشي: ص٥١ – ٥٢.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٢، ص١٢٨ – ص١٢٩.

للقاء نهايته، روى الكشي عن فضيل بن الزبير[١]، قال: (مرّ ميثم التمّار على فرس له، فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحادثا حتى اختلف عنقا فرسيهما، ثمّ قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه، فتُبقَر بطنه على الخشبة، فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر، له خفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه، فيقتل ويُجال برأسه في الكوفة، ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أكذب من هذين، قال: فلم يفترق المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فقالوا: افترقا، وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي ويُزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم، قال: فمَا ذهبت الليالي والأيام حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب وقد قُتل، ورأينا كلّ ما قالوا)[٢].

ولا شك ولا ريب أنّ مَن يقرأ هذه الرواية ويتدبّر فيها، يخرج بنتيجة أنّ هؤلاء الرجال كانوا على يقين من ربّهم ونبيّهم وإمامهم أمير المؤمنين، حتى أنّهم كانوا ينقلون أدقّ التفاصيل فيما يجري عليهم، وكأنّ الأمر سينزل بهم ويحلّ عليهم الآن، وهذا لعمرك يقين لا يمكن أن يوجد إلاّ عند هؤلاء وأمثال هؤلاء (رض).

---

(١) صاحب مقتل للحسين يُعرف بمقتل: (الفضيل بن الزبير)، ذكره صاحب نقد الرجال أنّه كوفي أسدي، من أصحاب الصادق عليه السلام، نقد الرجال: ج٤، ص٢٧.

(٢) رجال الكشي: ص٧٨، الرقم١٣٣. منتهى المقال: ج٢، ص٣٢٨.

إشكال وردّه

وربّما يرد في ذهن البعض وهو يقرأ سيرة هذا الشهيد - لاسيّما فيما يتعلّق بإخبار أمير المؤمنين له في وقت مقتله وطريقتها - أنّ هذا يتعارض مع ما ينقل في القرآن الكريم:

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[1]!

لا شك أنّ علم الغيب من مختصات الله سبحانه وتعالى، وليس لغيره - حتى الأنبياء والأئمة - أن يعلم ذلك، ولكن هذا لا يعني إغلاق أبواب علم الغيب بالكامل، بل إنّ اطلاع الأنبياء على بعض المغيبات جزء من الفيض الذي ذكره لنا القرآن الكريم.

حيث يقول:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[2].

وقوله:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء﴾[3].

---

(١) الأعراف: ١٨٨.

(٢) الجن: ٢٦.

(٣) التكوير: الآيات ٢٠ - ٢٤.

وقوله:

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ... وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (١).

وهذه الآيات وغيرها تؤكّد على هذه الحقيقة القرآنية، وهي أنّ هناك نوعاً من الارتباط بين الرسل والأنبياء وبين عالم الغيب، نعم هناك ما يُعرف بـ(علم الغيب الذي استأثر الله به)، وهذا لا يطّلع عليه أحد، لا نبيّ مرسل ولا ملك مقرّب وهو المقصود بقوله:

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ (٢).

ولذلك نحن نعتقد أنّ كلّ العلوم التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء فيما يتعلّق بعلم الغيب أو غيره، أَطْلَعَ بها أهل بيته لاسيما ابن عمّه ووصيه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وهم بدورهم أطلعوا خُلّص أصحابهم عليها، إذ في ذلك مصلحة يرونها راجحة، بل إنّنا لنجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلع عموم أمّته على إخبار الغيب كالإخبار المتعلّق بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والدجّال ونزول السيد المسيح، والإخبار بأشراط الساعة، وما شاكل ذلك.

وعليه فلا مشكلة في وجود علم المنايا والبلايا عند أئمة أهل البيت التي أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما يتوافق مع القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة.

---

(١) آل عمران: ١٧٩.

(٢) الأنعام: ٥٩.

حبيب بن مُظهِّر الأسدي والانسجام مع الشباب

ربّما تكون ظاهرة الانسجام بين مكوّنات الحركة الحسينية أمراً يلفت النظر ويستحق الدرس والبحث، لاسيّما فيما يتعلّق بالفوارق العُمرية التي كانت موجودة بين أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلم ينقل لنا التأريخ ما يمكن أن يعكّر صفو هذا الانسجام، فكان الكبير إلى جانب الصغير، وكان الشيخ إلى جانب الشاب كلّ منهم يرى نفسه جندياً عند الحسين عليه السلام ولا فرق في ذلك، وهذه نقطة ملفتة للنظر وتستحق الاهتمام؛ لأنّ الفوارق العُمرية لابدّ أن تؤتى أكلها وأثرها في الواقع الخارجي، لاسيّما في أوضاع صعبة كالذي مرّ فيها أنصار الحسين عليه السلام.

فلابدّ من أفكار وفهْم مختلف للأحداث والطريقة في معالجتها، كما حصل في معركة أُحُد حينما استشار رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين في القتال، فكان رأي كبار السنّ أن يقاتلوهم في داخل المدينة ويتحصّنوا في البيوت وينقضّوا عليهم، وأمّا الشباب فكان رأيهم أن يقاتلوهم خارج المدينة قائلين يا رسول الله ما قوتل قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا، فقدّر لهم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الاندفاع ونزل على رأيهم(١).

ومثل هذا الأمر لا يُعدّ مثلبة أو منقصة لهم، ولهذا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخذ برأيهم كما تقدّم، ومن ثم يمكن أن يجري نفس هذا الأمر مع أصحاب أبي عبد الله في طريقة المواجهة وأسلوبها، ولكنّنا مع ذلك كلّه لم نجد شيئاً من هذا القبيل مطلقاً في كربلاء، فكلّ واحد منهم كان يشعر أنّه جنديّ في جيش الإمام الحسين

(١) انظر: المغازي للواقدي: ص٢٠٨ - ٢١٤.

ومَن معه، لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم، وإنّي لعلى يقين أنّ حبيب بن مُظهِّر وأمثاله من شيوخ الأنصار لم يكونوا يتعاملون مع شباب الأنصار تعاملاً فوقياً، فلا يتحدّثون معهم ولا يجلسون إليهم ولا يشاركونهم فيما يمكن أن يجري عليهم كما هو حاصل ومعمول به في كثير من الحروب والمعارك، حيث تجتمع قيادات الحرب وتتّخذ القرارات ثمّ على الآخرين أن يسمعوا ويطيعوا.

وإنّي لعلى يقين أنّ مثل هذا لم يحصل، فإنّ المنقول عنهم (رض) هو مشاركتهم لهم في كلّ صغيرة وكبيرة، حتى أنّ الحوراء زينب عليها السلام نقلتْ لنا في روايات كثيرة عن أحداث ليلة العاشر من المحرم[1] أنّ حبيباً جلس مع أنصار الحسين كلّهم - كهولهم وشبابهم - وحثّهم على القتال وإلى بذل المُهَج والأرواح قبل الحسين وأهل بيته، وكان يخاطب في ذلك مسلم بن عوسجة الأسدي الذي بلغ من الكبر عتيّاً، وعمرو بن جنادة الأنصاري الذي لم يبلغ الحلم، خطاباً واحداً لا يفرّق فيه بينهما، وهذا بتقديري درس مهمّ وأساس من دروس الحركة الحسينية نأخذها من خلال هذا التلاؤم والتلاحم والانسجام بين مكوّنات ما يمكن أن يصطلح عليه بكوادر الحركة الحسينية.

فكل الشرائح قد انتظمت في بوتقة واحدة من أجل أن تواجه الظلم والبغي والعدوان؛ ولهذا نجحوا في ثورتهم وانتصروا في ثَباتهم وأعطوا كلّ هذا العطاء عبر التاريخ للأحرار وللثوار في العالم، ولسان حالهم يقول إلينا: إذا ما أردتم النصر والحظوة عند الله والناس، عليكم أن تكونوا أمّة واحدة، وليس هذا بين

---

(١) ليلة عاشوراء في الحديث والآداب للشيخ عبد الله الحسن: ص٥١.

مكوناتها المذهبية فقط، بل أن تكونوا أمّة واحدة حتى فيما يتعلّق بالفوارق العُمرية.

وعلى شيوخ الأمّة وكهولها أن يعيشوا المسؤولية في أنفسهم أوّلاً، وثانياً أن لا ينسوا أنّ في المجتمع طاقات شبابية مهمّة عليهم أن يسلّطوا الأضواء عليها، وأن يكملوا معها ثورة التغيير الحقيقي، والتي يمكن أن تترك أثرها وآثارها في الحياة الخاصة والعامّة، وأنّ ما يجري في هذه الأيام من انتفاضة عارمة هزّت عروش الظالمين الذين تسلّطوا على صدر الأمة الإسلامية مدة طويلة من الزمن، ابتداءً من تونس ومصر وليبيا واليمن والأردن، وانتهاءً بما لا يعلم نهايته إلاّ الله سبحانه وتعالى.

إنّ مثل هذه الثورات والتي عبّر عنها بـ(تسونامي المنطقة العربية أو الشرق الأوسط) لم يكن ليعطي كلّ هذا الأثر لولا تعاضد الشباب مع الشيوخ والشيوخ مع الشباب في حركة لا تجد لها مثيلاً إلاّ في خط الإسلام الأصيل في حركة الحسين عليه السلام في كربلاء.

لقد وقف حبيب بن مُظهِّر يضرب أروع أمثلة البطولة والفداء والتضحية والعطاء إلى جانب الثلّة الشبابية المؤمنة، والتي قامت بدورها بجهاد قلّ مثيله وتفنّنٍ في الدفاع عن الإسلام ملفتٍ للنظر، فكأنّه الطوفان الذي ابتلع عروش الظالمين، حيث اشترك فيه ماء السماء وعيون الأرض، ثمّ التقى الماء على أمر قد قُدِر(١).

(١) سورة القمر: ١١ – ١٢: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾.

حبيب بن مُظهِّر الأسدي والعبادة

ربّما لا يبالغ الإنسان إذا ما قال إنّ عبادة أصحاب الحسين عليه السلام إمّا هي معدومة النظير أو - لا أقل - نادرة الوجود، حيث تميّزوا جميعاً بعبادة وعشق مُميَّز لله سبحانه وتعالى، فكلّ مَن ترجم وتحدّث عن واحد من أصحاب الحسين عليه السلام كان يصفه بالناسك العابد الزاهد القارئ للقرآن وما شاكل ذلك من هذه الكلمات، ولعلّ ما ذكره العلماء بالتواتر عنهم ليلة العاشر من المحرم ليكشف - وبشكل لا يقبل الشك - أنّهم بلغوا مرتبة عالية جدّاً من السموّ الروحي، حيث باتوا تلك الليلة بين داعٍ ومصلٍّ وقارئ للقرآن ومستغفرٍ، فكان لهم دوي كدويّ النحل[(١)].

كل ذلك استعداداً للقاء الله سبحانه وتعالى، بل إنّ درجة العشق والحب للعبادة تبلغ أعلى مستوياتها عند أصحاب الحسين عليه السلام حينما لا ينسون حتى وقت فضيلة الصلاة فضلاً عن الصلاة نفسها، وهو الوقت الذي ربّما لا يلتفت إليه الكثير من المؤمنين في أوقات الرخاء لا البلاء، ولكنّ الأمر يختلف مع أنصار سيد الشهداء، فالمهم عندهم أن يتشبّعوا ويمتلئوا من عبادة الله سبحانه، وهذا الأمر لا يمكن أن يكون بأعلى مستوياته إلاّ في وقت فضيلة الصلاة، كلّ هذا وهم يعيشون في ظرف خطير ووقت عسير، فهم قلّة وحولهم جيش من الأعداء لا يعرف الله ولا رسوله مُحدِق بهم من كل جانب.

يقول المجلسي: (جاء أبو ثمامة الصيداوي وقال للإمام الحسين عليه السلام: نفسي

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٤١.

لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء القوم قد اقتربوا منك، لا والله، لا تُقتل حتى أُقتل دونك، وأُحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال:

ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين، نعم هذا أول وقتها)[1].

ثمّ يقف الحسين ليصلّي بأصحابه المتبقين معه صلاة الجماعة، فأيّ حبّ للعبادة هذا؟! وأيّ شوق للوقوف بين يدي الله؟! لا شكّ أنّها العبادة المتميّزة في كربلاء، ويقول الشاعر:

سِمَةُ العبيدِ مِنَ الخشوعِ عَلَيْهِمُ ... للهِ إنْ ضَمَّتْهُمُ الأَسْحَارُ
وَإِذَا تَرَجَّلَتْ الضُّحَى شَهِدَتَ لهم ... بِيْضُ القواضب أنَّهُمْ أَحْرَارُ[2]

وربّما كانت هذه العبادة التي تحلّى بها أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء هي أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت بعض الجماعات في جيش عمر بن سعد ينتقلون إلى صفّ معسكر الحسين عليه السلام، يقول السيد ابن طاووس:

(وبات الحسين وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً)[3].

وكانت من بين عبادة هؤلاء المتميّزة عبادةٌ أعظم تميّزاً، ألاَ وهي عبادة حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض)، هذا الرجل الذي ارتقت عبادته إلى مدارج

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢١.

(٢) ديوان السيد حيدر الحلّي: القسم الحسيني، ص٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ص٣٩٤.

الكمال العالية حتى وصلت إلى درجة أن خصّها الحسين عليه السلام بكلمات بيّنت قيمتها وعظمتها، وذلك حينما وقف عليه الحسين عليه السلام وقال:

«لله دَرّك يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً تختمُ القرآن في ليلة واحدة»(١).

وقد أشار إلى هذه الحقيقة السيد الأمين حينما قال:

«كان يحفَظ القرآن كلّه، وكان يختمه في كلّ ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر »(٢).

وأمّا عن معنى هذه العلاقة الخاصّة والمتميّزة لحبيب مع القرآن الكريم التي ذكرها له الحسين عليه السلام، فقد تحدّث عنها السيد محمد حسين الحسيني الطهراني بقوله: (ولقد كان حبيب بن مظاهر الأسدي الكوفي، الشيخ الكبير المتداعي، قارئ القرآن، وفقيه أهل البيت عليهم السلام، حينما سقط على الأرض في معركة كربلاء في سبيل إعلاء القرآن قال الإمام الحسين: «لله درك يا حبيب... »، ولقد كان هؤلاء - بلا شكّ - من واجدي المراتب القرآنية العالية، ومن الذين لمسوا حقائقه، قال سيد الشهداء عليه السلام:

«كتاب الله على أربعة أشياء، على العبادة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبادة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»)(٣).

---

(١) حبيب بن مظاهر للمظفّري: ص١١.

(٢) أعيان الشيعة: ج٢٠، ص٦٩.

(٣) معرفة الإمام للسيد محمد حسين الطهراني: ج٣، القسم العاشر، معنى القرآن وأصحاب الحسين عليه السلام.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه العبادة التي تمتّع بها حبيب (رض) لم تكن عبادة مجرّدة عن الوعي والبصيرة كما هو حال الكثير من أبناء هذه الأمّة، حيث تراهم يسجدون الليل كلّه لله ولكنّهم يتحوّلون في النهار من حيث يشعرون أو لا يشعرون إلى مطيّة الشيطان والسلطان، إنّ عبادة حبيب كانت من نوع وسنخ عبادة الأحرار، والتي وصفها سيد الشهداء عليه السلام بقوله:

«**إنّ العباد ثلاثة، قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة**» (١).

وإنّما أصبحت هذه العبادة هي أفضل من غيرها؛ وذلك لأنّ صاحبها إنّما يقوم بتكليفه وأداء ما عليه لأنّه يرى الله أهلاً لهذا التكليف وهذا الأداء، وهناك فرق كبير وواسع بين مَن يعبد الله عزّ وجلّ من أجل أن يدفع عن نفسه الضُرّ والبأس - كذاك الذي لا يترك الصلاة خوفاً مِن أن تناله عقوبة تارك الصلاة - وبين مَن يعبد الله حبّاً وشوقاً نتيجة معرفته به وبعظمة آلائه ونِعَمه عليه، فمثل هذا الإنسان لا يبقى في دائرة أداء الواجب فقط، وإنّما يتعدّاها إلى غيرها من المستحبّات، ومع كلّ هذا لا يرى نفسه قد وفّت حق الله أو استوعبت استحقاقه عليها.

وما أجمل كلمة القرآن الكريم وهو يتحدّث عن هذه النخبة من

---

(١) وسائل الشيعة: ج١، ص٦٢.

المؤمنين، والذي أقطعُ أنّ منها هذا الشهيد الكربلائي حبيب بن مُظهِّر الأسدي، ما أجمل القرآن وهو يخبرنا بوجود جماعة من الأولياء لا ينامون كما ينام الناس على فراشهم، حيث منعهم حبّ الله وشوقه ووَلَهُ الوقوف بين يديه من أن يناموا، يقول القرآن:

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [(١)].

يقول الطبرسي في تفسير هذه الآية: (أي ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاة الليل، وهم المتهجّدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة، عن الحسن ومجاهد وعطاء، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله)[(٢)].

ويقول الإمام أمير المؤمنين:

«**إلهي، ما عبدتُكَ خوفاً من ناركَ ولا طمعاً في جنّتكِ ولكن رأيتك أهلاً للعبادة فعبدتُكَ**»[(٣)].

وهذا الذي عاشه علي بن أبي طالب ومِن بعده الحسن والحسين عليهم السلام في طريقة التعامل مع الله، قد تأثر فيه كلٌّ مَن تبعهم صادقاً في اتّباعه ومخلصاً في ولائه، حيث كانوا يُقبِلون - كأئمّتهم وقادتهم عليهم السلام - على العبادة وهم مشتاقون إليها، وكأنّهم هم المقصودون في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:

«**ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات، ولا يقطعهم عن عظمتك**

(١) السجدة: ١٦.

(٢) مجمع البيان: تفسير آية ١٦ من سورة السجدة.

(٣) بحار الأنوار: ج٤١، ص١٤.

سهوُ الغفلات، الخُشّع الأبصار، فلا يرومون النظر إليك، النواكس الأذقان، الذين طالت رغبتهم فيما لديك، المستهترون بذكر آلائك، والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنّم تزفر على أهل معصيتك: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك» [(١)].

حبيب بن مُظهِّر مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

كلّ مَن تحدّث عن الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي ذكر أنّه كان من خُلَّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخاصّته وحامل علومه، لاسيّما عِلْم المنايا والبلايا، وأنّه نزل الكوفة وصحب عليّاً في حروبه الثلاث [(٢)]، ولقد كانت صحبة الشهيد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام طويلة جدّاً، حيث امتدّت منذ زمن ما قبل وفاة ورحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر يوم من أيّام علي عليه السلام، حتى عدّه علماء الرجال من أصحابه عليه السلام [(٣)]، فضلاً عن محبّته للحسن والحسين عليهما السلام، وعدّته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام من الأصفياء، حيث ينقل الشيخ المفيد وهو يتحدّث عن أصحاب الإمام علي عليه السلام: (ومن أصحابه عمرو بن الحَمِق الخزاعي، وميثم التمّار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر) [(٤)].

---

(١) الصحيفة السجادية: ص١١، دعاؤه في الصلاة على حملة العرش وكلّ ملك مقرّب.

(٢) إبصار العين في أنصار الحسين: ص١٠٠ - ١٠٦.

(٣) معجم رجال الحديث: ج٥، ص٢٠١ - ٢٠٣.

(٤) الاختصاص: ص٢.

ولقد تحمّل فيها الشهيد الكربلائي الكثير الكثير من المآسي والمِحَن والأكدار والإحن وهو إلى جانب إمامه وسيّده أمير المؤمنين، لاسيّما في تلك الحقبة الحَرِجة التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي الحقبة التي تنازلت فيها الأمّة عن وصيّة نبيّها في خصوص الإمامة والخلافة والوصاية له عليه السلام من بعده، في تلك المرحلة ظلّ عليّ جليس البيت، يعيش الألم والحسرة وهو يرى تراثه نهباً، وما أعظم تلك الكلمة التي قالها علي عليه السلام وهو يتحدّث عن ذاك الظرف الخاص الذي مرّ به عليه السلام، وكذلك مَن كان معه من المخلصين:

«وطفقتُ أرتأي بين أن أصول بيدٍ جذّاء أو أصبرُ على طخية عمياء، يَهرم بها الكبيرُ ويشيبُ فيها الصغيرُ، ويكدح فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربَّه، فرأيتُ أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذى وفي الحلقِ شجى، أرى تراثي نهباً» (١).

ولقد بانت معالم صعوبة تلك الحقبة أكثر حينما وصل علي عليه السلام إلى سِدّة الحكم، لا برغبة شخصية منه، وإنّما بعد أن أقبل الناس من كلّ حدب وصوب يسألونه أن يتسلّم زمام السلطة والحكم، بعد أن رأوا بأمّ أعينهم ظلمَ مَن مضى، وكيف تسلّط الأدعياء والطلقاء من خلالهم على مقدّرات هذه الأُمّة ومقدّساتها، ولكن ما إن وصل إلى سِدّة الحكم حتى خرجت عليه أصحاب المطامع والمصالح والأهداف الدنيوية وسائر قبائل قريش؛ لأنّها كانت تعلم أنّ عليّاً سيتعامل وفق منهج رسول الله صلى الله عليه وآله في تعامله معهم، حينما وقف أمام جشعهم

(١) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج١، ص٣١.

وظلمهم وحاربهم في كلّ ما كانوا يتمتّعون به من صفات دنيّة قائمة على الباطل.

ولمّا رأت كلّ هذه المجاميع ذلك من عليٍّ وتيقّنتْ به، أشعلتْ عليه حروباً ثلاثاً ما أنزل الله بها من سلطان، ابتداءً من واقعة الجمل وانتهاءً بالنهروان، فضلاً عن الإرهاب الأموي المتمثّل بالنهب والقتل والترويع الذي كان يصنعه معاوية وعصابات الإجرام التابعة له.

ولا شك ولا ريب أنّ وقوف الناس إلى جانب علي بن أبي طالب عليه السلام في تلك المرحلة الصعبة تمثّل مكرمة وفخراً للإنسان، حيث يعني الوقوف إلى جانب علي عليه السلام تعريض المال والنفس والأهل إلى الضرر الحقيقي، ومع ذلك كلّه فقد ثبتتْ معه فئة من المؤمنين من حوله، وفدتْه بالغالي والنفيس وحافظت عليه كما يحافظ الإنسان على عينَيه، حتى وُصِفوا تارةً بالحواريين وأخرى بالأصفياء وأخرى بالمخلصين، وما شاكل ذلك من هذه الصفات التي تكشف كلّ واحدة منها معدن هؤلاء وأصالتهم، وكان من بين هؤلاء حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض)، هذا الرجل الذي لازم عليّاً ملازمة الظلّ للشخص، فلم يكن يفارقه لا في صغيرة ولا في كبيرة، فكان معه في حلّه وترحاله.

حبيب بن مُظهِّر من حواريي علي عليه السلام

أطلقتْ بعضُ الروايات على جماعة خاصة من أصحاب علي عليه السلام أنّهم كانوا من الحواريين، ومن هذه الروايات ما ذكره المجلسي عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام، حيث يقول:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين حواري محمّد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر، ثمّ ينادي أين حواري عليّ بن أبي طالب وصيّ محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم التمّار مولى بني أسد وإدريس القرني» [(١)].

صحيح أنّ هذه الرواية وأمثالها لم تُدخل الشهيد الكربلائي حبيب بن مُظهِّر الأسدي معهم، ولكن من خلال ملاحظة جملة من النقاط يتبيّن لنا أنّ الشهيد يُعدّ من حواري أمير المؤمنين عليه السلام، بل ومن ساداتهم.

١ـ يقول ابن منظور: (الحواريون صفوة الأنبياء عليهم السلام، وقال الزجاج: الحواريون خُلصانُ الأنبياء عليهم السلام وصفوتهم). ويقول: (وتأويل الحواريين في اللغة: الذين أخلصوا ونقّوا من كلّ عيب). ويقول: (قيل لناصر نبيّه حواري إذا بالغ في نصرته، تشبيهاً بأولئك، والحواريون الأنصار: وهم خاصة أصحابه). ويقول (الحواريّ: الناصح، وأصله الشيء الخالص، وكلّ شيء خلص لونه فهو حواريّ) [(٢)].

وإلى نفس هذا المعنى أشار الشيخ الطبرسي في مجمعه بقوله: (وقال الكليني وأبو روق: الحواريون أصفياء عيسى، وكانوا اثني عشر رجلاً، وقال عبد

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٢، ص٣٤٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج٢، ص١٠٤٤، مادّة (حور).

الله بن المبارك: سُمّو حواريين لأنّهم كانوا نورانيين، عليهم آثار العبادة ونورها وحسنها، كما قال تعالى:

﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (١).

وربّما هذا المعنى هو المروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حينما سُئل: لِمَ سُمّي الحواريون الحواريين؟ قال:

«أمّا عند الناس فإنّهم سُمّو الحواريين لأنّهم كانوا يقصّرون الثياب من الوسخ بالغسل، وأمّا عندنا فإنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب» (٢).

فتبيّن فيما سبق أنّ لفظة الحواريين إنّما تُطلق على أتباع الأنبياء ومَن لهم صفات خاصة مِن تقوى وزهد وعبادة، وخلوص وإخلاص في درجاته العالية، وهذا المعنى - لا ريب ولا شكّ - قد تمثّل في أصحاب الإمام أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام بشكل عام، لاسيّما الأبدال منهم، أمثال حجر وعمرو بن الحَمِق وحبيب بن مُظهِّر وسلمان وأبي ذر والمقداد وآخرين.

ومن ثم يكونون أولى من غيرهم في هذا اللفظ، بل يكون الشهيد حبيب بن مُظهِّر أعظمهم منزلةً وأفضلهم مكانةً؛ وذلك لأنّه اشترك معهم في كلّ هذه الصفات وزاد عليها الشهادة بين يدي ريحانة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة من خلال الرواية التي تروى عنه عليه السلام

---

(١) تفسير مجمع البيان: تفسير الآية ٥٢ من آل عمران.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٢، ص٤٦٤.

حينما سأل حبيباً قائلاً: **يا حبيب، ما يزين الرجل**؟ فقال: العلم والحلم والشجاعة، فقال له الإمام: **أحسنتَ يا حبيب، وكلّها مجموعة فيك، وكذا بقيت فضيلة رابعة وسوف تنالها إن شاء الله**، فقال حبيب: وما هي؟ قال: **هي الشهادة**.

٢ ـ ورد في بعض المصادر اللغوية والتفسيرية أنّ المراد من الحواريين هم الصفوة من أتباع الأنبياء[١]، وهذا المعنى بالنص ورد في كتاب الاختصاص للشيخ المفيد، حيث قال: (ومن أصفياء أصحابه - يقصد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - عمرو بن الحَمِق الخزاعي عربي وميثم التمّار... وحبيب بن مظاهر الأسدي...)[٢].

إنّ نفس لفظة الحواريين قد أُطلقت على جماعةٍ ذُكروا في رواية الاختصاص للشيخ المفيد، أمثال محمد بن أبي بكر، وميثم التمّار، كما في الرواية المتقدّمة عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام[٣]، فهم الصفوة في الاختصاص، وهم الحواريون في البحار، ممّا يعني أنّ الذين أُطلق عليهم هذا اللفظ إنّما ذُكروا للمثال وليس للحصر، فيكون حبيب بن مُظهِّر الأسدي داخلاً معهم.

حبيب بن مُظهِّر من شرطة الخميس

ورد في كثير من المصادر التاريخية لاسيّما الرجالية منها أنّ حبيب بن مُظهِّر كان من شرطة الإمام أمير المؤمنين، بل وفي بعضها أنّ أقلّ درجاته أنّه من شرطة الخميس، وهي تكفي لوحدها لإثبات جلالته ووثاقته، يقول السيد الخوئي وهو

---

(١) التفسير الكبير للرازي: تفسير الآية ٥٢ من آل عمران. لسان العرب: ج٢، ص١٠٤٤، (مادّة حور).

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد: ص٣.

(٣) وقد تقدّمت قبل قليل فلتراجع.

يتحدّث عنه (رض): «وذكره البرقي من أصحاب أمير المؤمنين ومن شرطة خميسه»[(١)].

ويقول أهل اللغة: إنّ (الشرطة جمع شرط، سُمّوا بذلك لأنّهم أُعدّوا لذلك، وأعلموا أنفسهم بعلامات، وقيل هم أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت، وفي حديث بن مسعود: «تشرط شرطة للموت لا يرجعون إلاّ غالبين، هم أوّل طائفة من الجيش تشهد الواقعة»)[(٢)].

والخميس كما يقول أهل اللغة هو الجيش: (والخميس: الجيش، وقيل: الجيش الجرّار، وقيل: الجيش الخشن، وفي المحكم: الجيش يخمس ما وجده، وسُمّي بذلك لأنّه خمسة فِرَق: المقدّمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة، ألاَ ترى قول الشاعر:

قد يضربُ الجيشُ الخميسُ الأزدرا)[(٣)]

وإنّما لقّبهم وأطلق عليهم مثل هذا الاسم الإمامُ أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه شارطهم وشارطوه كما في الرواية التي ذكرها الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص: (محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر عن أحمد بن أبي عبد الله قال: قال علي بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم:

«تشرّطوا فأنا أشارطكم على الجنّة، ولستُ أشارطكم على ذهب

---

(١) معجم رجال الحديث: ج٤، ص٢٢٣٦، مادّة (شرط).

(٢) لسان العرب: ج٢، ص١٢٦٤، مادة (خمس).

(٣) لسان العرب: ج٢، ص١٢٦٤، مادّة (خمس).

وفضة، إنّ نبيّناصلى الله عليه وآله قال لأصحابه: تشرّطوا فإنّي لست أشارطكم إلاّ على الجنّة، وهم سلمان والمقداد... »(١).

فيظهر من كلّ ما تقدّم دور هذه الفئة وعظمة المسؤولية المناطة بها، فهي أشبه بالقوّات الخاصة التي تحتفظ بها الدولة في أوقات الشدّة أو عند بداية الحروب لحسمها، إضافة إلى المسؤوليات الداخلية للبلاد كحفظ النظام والاستقرار وإقامة الأحكام والقوانين الإسلامية، لاسيّما في المسائل الحساسة والمهمّة.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ المنخرط في قوات عسكرية كهذه في ظلّ حكومة الإمام أمير المؤمنين لا شكّ أنّه يُعدّ من خيار المؤمنين وثقات الإمام فضلاً عن شجاعته وبسالته، ولقد أشار الإمام أمير المؤمنين إلى فضل هذه الجماعة في أكثر من مناسبة، لاسيّما حينما أراد أن يتحدّث مع عبد الله بن يحيى الحضرمي:

«أبشر يا بن يحيى، فإنّك وأباك من شرطة الخميس حقّاً، أخبرني رسول الله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سمّاكم شرطة الخميس على لسان نبيهصلى الله عليه وآله» (٢).

ولقد كان للشهيد الكربلائي دور مهمّ في هذه الشرطة وهذه القوّة الضاربة، والتي كانت تمثّل بالنسبة إليهعليه السلام بمثابة اليد التي يحمل بها السيف.

فهنيئاً للشهيد هذا الفضل الكبير من الله تعالى، والذي وصل إلى درجة أن

---

(١) الاختصاص: ص٢ – ٣.

(٢) رجال الكشي: ص٤.

يسجّل اسمه في سجلّ شرطة الإمام أمير المؤمنين وسِجل الشهداء مع ولده الحسين عليه السلام في كربلاء[١].

حبيب بن مُظهِّر في الكوفة

بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين ظلّ حبيب إلى جانب ولده الإمام الحسن لاسيّما فيما مرّ عليه من مآسٍ كبيرة وفتن متعدّدة وتخاذل غير مسبوق من قِبل الأمّة، والتي انتهت آخر الأمر بقبول الإمام الحسن عليه السلام للصلح مرغماً، وكان حبيب بن مُظهِّر إلى جانب الإمام في كلّ هذه الشدائد التي مرّت عليه فادياً له بنفسه ومهجته.

وبعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام وتسلّط معاوية على رقاب الأمّة ظلماً وجوراً، وتسلّط أمثال زياد بن أبيه على الكوفة، فقد تمّت تصفية الكثير من قيادات علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته بشكل لم يعهد من قبل، قتلاً وسجناً وتشريداً، حتى أنّ الإنسان ليأخذه العجب كيف استطاع هذا الشيخ الهرم - حبيب ابن مُظهِّر - أن يفلت من أيدي هؤلاء الظلمة، الذين تتبّعوهم تحت كلّ حجر ومدر، ولكنّ الله إذا أراد شيئاً هيّأ له أسبابه، فالله سبحانه وتعالى أراد لهذا الشيخ الذي أفنى كلّ عمره من أجل الإسلام أن تنتهي حياته بنهاية تشرئبّ لها الأعناق وتخفق لها القلوب وتتمنّاها كلّ النفوس الصادقة والمخلصة لله سبحانه وتعالى.

بقي حبيب بن مُظهِّر (رض) في الكوفة مختفياً بين هذا البيت وذاك، وربّما

---

(١) وسيأتينا مزيد من الحديث عن هذه القوّة الضاربة ونحن نتحدّث عن الشهيد القائد الحلاّس بن عمرو الراسبي (رض).

كان من جملة أسباب بقائه هو قوّة وهيبة وسلطان عشيرته التي ينتمي إليها وهم بنو أسد، حيث كان لهم وجود واضح وبارز في الكوفة، وكان حبيب زعيم هذه القبيلة وسيّدها بلا منازع.

ظلّ حبيب على هذا الحال مراقباً للأحداث ومتّبعاً لأوامر إمامه الحسين عليه السلام الذي أمرهم بالصبر والسكوت ولزوم البيوت مادام معاوية على قيد الحياة، فقد روى البلاذري: (لمّا تُوفّي الحسن بن علي عليه السلام اجتمعت الشيعة ومعهم بنو جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب المخزومي وأمّ جعدة هي أم هانئ بنت أبي طالب في دار سليمان بن صرد، فكتبوا للحسين كتاباً بالتعزية، وقالوا في كتابهم: إنّ الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممّن مضى ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك المنتظرة لأمرك، وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن حال رأي الكوفة فيه وحبّهم لقدومه وتطلّعهم إليه، وإن قد لقوا من أنصاره وأخوانه مَن يرضى هَدْيَه ويطمئنّ إلى قوله ويُعرف نجدته وبأسه، فأفضوا إليه ما هم عليه من شنآن ابن أبي سفيان والبراءة منه، ويسألونه الكتابة إليهم، فكتب الحسين عليه السلام إليهم:

«أنّي لأرجو أن يكون رأي أخي عليه السلام في الموادعة ورأيي في جهاد الظالمين رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض واخفوا الشخص واكتموا الهوى واحترسوا من الأضناء ما دام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتيكم رأيي إن شاء الله»)[1].

وفي رواية أخرى وهو يتحدّث مع محمد بن بشر الهمداني:

(1) أنساب الأشراف: ج3، ص151 – 152. الأخبار الطوال للدينوري، ص222.

«ليكن كلّ امرئ منكم حِلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل حيّاً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا ويؤتينا رشدنا ولا يكلنا إلى أنفسنا، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[1].

حبيب والاجتماع الأول للشيعة

بمجرّد أن هلك معاوية ووصلت الأخبار إلى مسامع شيعة أهل البيت عليهم السلام فرحوا واستبشروا خيراً بموته وهلاكه، فاجتمعت كبار شخصياتها في الكوفة على وجه السرعة، وكان الاجتماع في بيت سليمان بن صرد الخزاعي (رض).

روى أبو مخنف عن الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال: (اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فذكرنا هلاكه فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إنّ معاوية قد هلك وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل، قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من سليمان بن صرد والمُسَيَّب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مُظهِّر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنّا نحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها وغصبها فَيْأَهَا

---

(١) أنساب الأشراف: ج٣، ص١٥٠، تحقيق المحمودي.

وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثمّ قَتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُوْلَةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنّه ليس علينا إمام فأقْبِلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشر في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلتَ إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك)(١).

ثمّ سرَّحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعَين حتى قَدِمَا على الحسينعليه السلام بمكة لعشر مضينَ من شهر رمضان.

ثمّ بدأت بعد ذلك الرسائل والكتب تترى إلى الحسين من أهل الكوفة، فورد عليه في يوم واحد ست مائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عدّة منها في نوب متفرّقة اثنا عشر ألف كتاب(٢).

ومن خلال هذه الوثائق وغيرها يتبيّن لنا أنّ الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي كان من أوّل الداعين إلى هذا الاجتماع والمنظّرين إليه والمبادرين إلى عقده مع ثلة من أصحاب السوابق الإيمانية، وهذا إذا دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ هذا الرجل لم يتزعزع إيمانه ولم يقلق تمسّكه بأئمّته رغم كلّ الظروف الصعبة التي مرّ بها، وما زالت قائمة آنذاك في الكوفة والتي يمكن أن يتعرّض من خلالها إلى الموت الحقيقي، ومع كلّ هذا نجد الشهيد علماً بارزاً من أعلام هذا الاجتماع، بل وكان من سادات العمل بعد ذلك كما سيأتي في حركة مسلم بن عقيلعليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص٢٧٧. الإرشاد: ص٢٠٣.

(٢) انظر: اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٥.

دور حبيب بن مُظهِّر في ثورة مسلم بن عقيل

ما إن وصلت رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام حتى بعث إليهم سفيره وثقته من أهل بيته مسلم بن عقيل، التي كانت مهمّته تعبئة الأمّة إيمانياً وروحياً من أجل الوقوف بقوة أمام ما يمكن أن تواجهه الأمّة الآن وفي المستقبل من ويلات مع بني أميّة، لاسيّما حكومة يزيد بن معاوية، والمهمّة الأخرى هي دراسة الوضع العام في داخل الكوفة من قِبل مسلم بن عقيل وإرسال التقرير إلى الإمام الحسين عليه السلام لاتخاذ الموقف اللازم والمناسب في تلك المرحلة الخطرة.

وفعلاً جاء مسلم إلى الكوفة واختار دار المختار بن أبي عبيد الثقفي محلاًّ ومكاناً له، وبدأت تُعقد الاجتماعات السياسية والاجتماعية، وكانت على مستويين: مستوى عام لكلّ الناس أو ما يمكن أن نعبّر عنه بالمستوى الشعبي، خصوصاً عندما كانت الدعوة غير سرّية ومكان مسلم بن عقيل مُشَخَّصاً ومعروفاً.

وهناك مستوى آخر من الاجتماع وهو الخاص، حيث كان يخصّ النخب الاجتماعية والسياسية والعشائرية في داخل الكوفة، ولقد نقل لنا التاريخ صوراً لبعض الجوانب التي حصلت في هذه الاجتماعات التي تؤكّد بشكلّ واضح وصريح عظمة تلك الشخصيات المجتمعة وحِنْكتها وشوقها إلى الشهادة بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل عليه السلام.

ومن هذه الصور ما يذكره المقرّم في كتابه القيّم: (ووافت الشيعة مسلماً في دار المختار بالترحيب وأظهروا له من الطاعة والانقياد ما زاد في سروره وابتهاجه، فعندما قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام قام عابس بن شبيب الشاكري وقال: إنّي لا

أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم، ولا أغرك بهم، والله، إنّي أحدّثك عمّا أنا مُوَطِّن عليه نفسي، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلاّ ما عند الله، ثمّ قال حبيب ابن مظاهر: قد مضيت ما في نفسك بواجز من القول، وأنا - والله الذي لا إله إلاّ هو - على مثل ما أنت عليه، وقال سعيد بن عبد الله الحنفي مثل قولهما)[١].

ويضيف الطبري نصاً مُكَمِّلاً لهذا النص عن علي بن الحجاج حينما يقول: «سألت محمد بن بشير الهمداني هل كان منك قول أنت (يعني بعد قول عابس وحبيب وسعيد هل تكلمت أنت؟) فقال له: إنّي كنتُ أحبُّ أن يُعزَّ أصحابي بالظفر، وما كنتُ لأحب أن أقتل وكرهت أن أكذب» [٢].

ولا شكّ أنّ مثل هذه الاجتماعات كانت تضمّ فيما بينها حتى الشخصيات المختلفة في درجة الولاء والإيمان والمبدئية والقِيَم، كان أتباع أهل البيت قد شخّصوها وعرفوها أنّها لم تكن - لا في الماضي ولا في اليوم - محلّ ثقة واعتناء من قِبلهم، ولكنّهم مع ذلك قرّروا عدم إثارتها ومواجهتها، لاسيّما في هذه المرحلة الحساسة من حركة مسلم بن عقيل عليه السلام على أن يعالج مثل هذا الأمر فيما بعد، بشكل يضمن أن يُعطى كل ذي حقٍ حقه، وفي هذه الدائرة يمكن أن نمثل بمحمد بن بشير الهمداني صاحب النص الثاني الذي ذكره الطبري، حيث كان حاضراً في هذا الاجتماع ولكنّه كان أشبه وأقرب إلى قول الفرزدق للإمام

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ص١٤٧.

(٢) الطبري: ج١، ص١٩٩.

الحسين عليه السلام حينما سأله عن أهل الكوفة: إنّ قلوبهم معك وسيوفهم عليك، فكان يريد النصر لأهل البيت ولأتباعهم، ولكنّه في نفس الوقت كان لا يريد مثل هذا النصر أن يتمّ من خلال قتْل نفسه أو تعريضها للأذى.

ولقد لفتت انتباهي فقرة من فقرات كلامه حينما قال: (كرهت أن أكذب)، والتي تصبّ في صالح ما نريد أن نتحدّث عنه في ذلك الاجتماع، حيث أراد لكلامه - والله العالم - الإشارة إلى حديث بعض تلك الشخصيات المتلوّنة بتلوّن الهوى والدنيا، حينما كانت تتحدّث بقوة في داخل هذا المجلس وتدعو إلى الوقوف والقتال، وما شاكل ذلك من تلك الكلمات التي كانت مُشَخَّصة ومعروفة من قِبل مَن عاش مثل هذه النفوس وكيفية تعاملها مع علي عليه السلام وولده الحسن عليه السلام.

ومن هنا نعرف ونقيّم في نفس الوقت كلمة الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض) حينما أكّد على ما ذكره عابس، سواء في جانب التصميم على الشهادة أو التخوّف وضرورة الحذر من قِبل أمثال هؤلاء الأدعياء، ومن هذه النقطة بالذات لم نجد أحداً ممّن ذكره التاريخ وقف إلى جانب مسلم بن عقيل ثمّ من بعده سيد الشهداء ثمّ وُفّق للشهادة بين يديه، لم نجد أحداً من هؤلاء إلاّ وقد أُسندت إليه مهمّة كبيرة، وهي أخذ البيعة للإمام الحسين من قِبل أهل الكوفة، وكان على رأس أولئك الجماعات شخصية حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض)، الذي كان له دور كبير في هذه الحركة المباركة. مما يعني أنّ مسلماً كان قد شَخّص هذه العناصر الولائية دون الآخرين.

ولئن كان التاريخ قد أغفل عن جهل أو عمد بنود هـذه البيعـة التـي أخـذها مسلم بن عقيل عليه السلام وأركان ثورته من الناس للإمام الحسين عليه السلام، فيمكن للإنـسان أن يقطع أنّها لم تكن غير تلك البيعة التي أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله مـن الأنـصار فـي العقبة الأولى والثانية، تلك البيعة التي غيّرت مجرى التـاريخ وأعطـت للنبـي صلى الله عليه وآله زخماً كبيراً وواسعاً في الوقوف أمام طغاة قريش وكفّارهـا، ومـا أجمـل البيعـة إذا كانـت لله ولرسـوله وإقامـة الـصلاة وإيتـاء الزكـاة والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر والإصلاح في أمّة رسول الله، كما هي في الواقع الـشعارات الحـسينية التـي خرج بها الإمام الحسين ودعا الناس إلى الوقوف إلى جانبه من أجل الـدعوة إليهـا والعمل بها.

ولقد قرأتُ في بيعة الأنصار لرسول الله مبدأً عظيماً كشف في الواقـع مـدى الإيمان العميق الذي كان يكنّـه الأنـصار لـه صلى الله عليه وآله، وذلـك حينمـا قـال لهـم رسـول الله صلى الله عليه وآله:

«تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقـة فـي العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنـصروني فتمنعوني إذ قدمت عليكم ممّا تمنعون منه أنفـسكم وأزواجكـم وأبنائكم»، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وهي النقطة المهمّة: «ولكم الجنّة»[1].

وهكذا كانت البيعة من قِبل المؤمنين لمسلم بن عقيل في الكوفة، إنّهـا بيعـة

---

(1) البداية والنهاية: ج3، ص157.

الموت من أجل الله عزّ وجلّ والجنّة، ثبت عليها مَن كان خائفاً من الله ورسوله، معروفاً بالولاء لأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله، ونكل عنها وتراجع مَن غَرّتْه الدنيا وباع آخرته بالثمن الأوكس الأدنى.

إشارة لابدّ منها:

تداعيات التفرق عن مسلم بن عقيل

وهنا ونحن نتحدّث عن هذه النقطة بالذات فقد تتوارد إلى الذهن مجموعة من الأسئلة المهمّة، والتي ترتبط بنفس هذه البيعة التي أخذها مسلم بن عقيل من أهل الكوفة، وكيفية انكفاء الناس عنه وعدم بقائهم معه إلى آخر نفس، لاسيّما وهم بايعوه على السمع والطاعة والجهاد بين يديه.

وإذا كان هناك مَن يذكر ويدّعي وجود أسباب ومبررات لهذا النكول والتراجع - ككون الكوفة ليست كلّها من جنس الموالين، بل هي عبارة عن خليط غير متجانس من الأفكار والتيارات والإيديولوجيات الدينية والمذهبية والقومية والعشائرية - فإنّ مثل هذه الأسباب والأعذار يمكن أن تُقبل في دائرة عامّة المبايعين، ولا شك فيهم الصالح والطالح والسليم والسقيم، أمّا في دائرة القمم الإيمانية العالية وأصحاب السوابق الجهادية والذائبين في خط أهل البيت عليهم السلام، فلا يمكن أن تُقبل بأيّ حال من الأحوال.

أسئلة مهمة تحتاج إلى جواب

ربما لا يملك الإنسان نفسه وهو يقرأ ويسمع ما جرى وحصل مع مسلم بن

عقيل في الكوفة إلا وتتجمع في ذهنه الأسئلة تلو الأسئلة عن ذلك فكيف يمكن أن نقبل أن يعيش مسلم بن عقيل لوحده في الكوفة بشكل غير مسبوق، حتى أنّ الرواة ينقلون أنّه صلّى صلاة المغرب والعشاء وبعد انتهائها خرج من باب كندة فلم يجد أحداً يدله على الطريق؟[1]، كيف يمكن لعاقل أن يقبل مثل هذه النتيجة؟! أين ذهب عابس وحبيب وأمثالهما ممّن لا تأخذه في الله لومة لائم؟ أين كانوا حينما وصل الأمر إلى أن يُقتل ويُجرّ مسلم وهاني في شوارع الكوفة وأزقّتها؟ لاسيّما ونحن نقطع أنّ حبيباً وأمثاله من الشهداء بين يدي الحسين عليه السلام لم يكونوا قد اعتقلوا قبل هذا اليوم، ولم يكونوا قد قُتلوا قبل ذلك اليوم، ولم يكونوا قد التحقوا وتوجّهوا إلى الحسين قبل ذلك اليوم، كيف ذاك وهم لم يعلموا بوقت خروج الحسين عليه السلام من مكّة والذي صادف في نفس اليوم الذي استشهد فيه مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، وهو يوم ٨ ذي الحجة سنة ٦٠هـ

وهنا يزداد الأمر تعقيداً وتكبر الحيرة أكثر فأكثر، حتى كأنّها تريد أن تأخذ بمجامع العقل كلّه.

وقد يعتذر بعضهم أولاً

وقد يعتذر البعض بأنّ هؤلاء الشهداء الأبطال قد هيّأوا أنفسهم واستعدّوا للخروج من أجل الشهادة بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومن ثم خرجوا إليه مبكرين أو متخفّين بعد ذلك[2].

---

(١) انظر: أعلام الورى بإعلام الهدى: ص٢٤٤.

(٢) انظر: أضواء على الثورة الحسينية: ص٢٢٢.

ردٌّ على الاعتذار الأول

وهذا العذر لا شكّ فيه ما فيه من الشبهات التي إذا أردنا أن نقبلها فإنّما تُقبل مع غير هؤلاء الأبدال، وأمّا معهم فلا وألف لا، فهؤلاء يعلمون قبل غيرهم أنّ امتثال أمر الحسين عليه السلام في الوقوف إلى جانب مسلم بن عقيل هو بمثابة الوقوف إلى جانب شخص الحسين عليه السلام والشهادة بين يديه، فالمهم عندهم هو أداء التكليف الملقى على عاتقهم من قِبل الحسين، سواء أكان هذا التكليف معه عليه السلام أم مع غيره، وسواء أكان في الكوفة أم في كربلاء أم في غيرهما من المناطق، ولذا يصعب علينا أن نقبل مثل هذا العذر مع هؤلاء الثلّة من المؤمنين.

وقد يعتذر بعضهم ثانياً

وقد يعتذر البعض الآخر عن مثل فعل هذا النكول والتراجع عن مسلم بن عقيل من قِبل الناس، بأنّ هؤلاء الأبطال قدّروا أنّ الأمر قد انتهى وأنّ القتل هو المصير الحتمي والنهائي لمثل هذه الثورة، ومن ثم حاولوا أن ينقذوا أنفسهم من القتل، فلربّما الحياة تحتاج إليهم بعد ذلك، ومن ثم يمكن أن يخسروا هذه النفوس في جهاد الظالمين في أماكن أكثر تأثيراً من هذه الثورة التي جرت في الكوفة وبانت علائم فشلها، فقرّروا الخروج من أتون هذه الثورة التي انتهت بنظرهم[١].

ردٌّ على الاعتذار الثاني

وهذه كذلك لا يمكن قبولها بأيّ حال من الأحوال، فإنّ انتهاء هذه الثورة وبيان فشلها أمامهم لا يمكن أن يكون مبرراً لهذه الفئة المؤمنة الواعية في أن

---

(١) انظر: أضواء على الثورة الحسينية: ص٢٢٢.

تترك مسلم بن عقيل فريسةً سهلة يفعل به ابن زياد ما يشاء، إذاً أين ذهب عابس الذي قال وهو بين يدي مسلم بن عقيل: (والله لأجيبنكم إذا دعوتم ولأقاتلنّ معكم عدوَّكم ولأضربنّ بسيفي دونكم الخ...)؟!

الأسئلة تترى من جديد إلى الذهن

وهكذا يترى بعد السؤال، أين ذهب قول الشهيد حبيب بن مُظهِّر وهو يؤكّد على نفس مقالة الشهيد عابس؟ أين ذهب وعي حبيب وبصيرته وهو صاحب هذه الأرجوزة التي تكشف عن مدى يقينه بقضيته العادلة حيث يقول:

أنتم أعدُّ عدّةً وأكثرُ ونحنُ أعلى حجّةً وأصبرُ

أين ذهب كل هذا الصبر إذاً؟ وأين ذهبت كل هذه البصيرة الواسعة التي كانت تُميّز في مثل ذلك الموقف بين جيش جرار يحمل كل إمكانيات القمع والقتل، وبين جيش صغير لا يحوي معه إلاّ أسلحة سهلة صغيرة بسيطة، ولكنّهم كانوا يحملون أعلى درجات الإيمان واليقين بالله عزّ وجلّ، كما هو معنى أرجوزة حبيب المتقدّمة.

طريق لمعالجة المشكلة

وحتى يمكن أن نعالج كل هذه الأسئلة والإشكالات التي تقدّمت، ويمكن أن يُجاب عليها بشكل صحيحٍ ومقبولٍ عقلاً وعرفاً، لابدّ من التعامل مع ما ذكره المؤرخون حول قصّة مسلم بن عقيل - لاسيّما في خصوص انكفاء الناس عنه بشكل كلّي لا جزئي - بشيء من التأمّل والتفكّر والنظر، فإنّ المسألة باعتقادي تستحق النظر والبحث، آخذين في الوقت نفسه في نظر الاعتبار أنّنا مهما ذكرنا

من نقاط فإنّنا لا يمكن أن نصل إلى مرحلة القطع فيما نذهب إليه؛ لأنّ البحث في المسألة التأريخية لا يمكن القطع بها، لاسيّما إذا تعلّق الأمر في تفاصيلها، إلاّ في مجموعة قليلة منها ثبتت في التواتر، وأمّا فيما عداها فمن حقّ الإنسان الباحث أن يُعمل فِكره ونظره فيها، مستنداً في ذلك إلى مجموعة من الوسائل والآليات العلمية التي يمكن أن يستعين بها في هذا الإطار.

ومن هنا - وحتى لا أترك القارئ في مجموعة من الإشكالات والأسئلة حول ما تقدّم - أودّ أن أذكر مجموعة من النقاط، أرى من اللازم الإشارة إليها والتأمّل فيها، ثمّ يُترك الأمر إلى القارئ ليحكم بعد ذلك ويرى هل يمكن قبول أو عدم قبول ما نقل عن هذه المرحلة من صور وأحداث، لاسيّما عن شخصيات هذه المرحلة من المؤمنين الموالين دون غيرهم؟

نقاط لابدّ منها:

١ ـ لابدّ من افتراض أنّ هناك صوراً مفقودة في قصة مسلم بن عقيل عليه السلام يمكن من خلالها أن نجمع بين الصور المتناقضة، وهذا الافتراض الذي نذكره تستدعيه طبيعة الأحداث التي نُقلت إلينا، وقد أشار إلى هذا الافتراض أو لنقل بعبارة أخرى مفتاح هذا اللغز مجموعةٌ من العلماء الباحثين في هذا المجال، منهم السيد محمد صادق الصدر في كتابه (أضواء على الثورة الحسينية)، حيث يقول:

(ولعلّ السؤال الأخير الذي يمكن عرضه في هذا الصدد ما قاله بعض الأذكياء لبعض العلماء عمّا روي في التأريخ من أنّ مسلم بن عقيل تفرّق عنه أصحابه كلّهم في يوم واحد أو عشية واحدة، حتى أصبح يتلبّد في أزقّة الكوفة

في ظلام الليل لا يجد مَن يؤويه، مع العلم أنّ من الكوفيين مَن هم على درجة عالية من الإخلاص للحق المتمثّل في مسلم بن عقيل والحسين عليه السلام، أمثال حبيب ابن مظاهر ومسلم بن عوسجة وآخرين، بدليل أنّ هذين المذكورين استُشهدا مع الحسين في كربلاء، إذاً فإخلاصهم محرز، فلماذا تفرّقوا عن مسلم في تلك الليلة وتركوه وحيداً حائراً؟!)[1].

وإن كنّا غير موافقين على ما أجاب به السيد الشهيد رحمه الله على مثل هذا التساؤل[2]، ولكنّه أجاد في عرض هذه القضية التي تحتاج إلى دراسة معمّقة للخروج بنتائج مرضية ومتناسبة مع عظمة الشخصيات المتحدَّث عنها في هذه الواقعة.

٢ ـ من الواضح أنّ مثل هذه الصور المفقودة في حركة مسلم بن عقيل والتي غابت أو – بتعبير أدق – غُيِّبت لأسباب ترجع برمّتها إلى صالح السلطة الحاكمة، المتمثّلة ببني أمية ويزيد بن معاوية، حيث كان الجميع يبحث دائماً عمّا يؤدّي إلى تشويه صورة الكوفة إجمالاً وهي عاصمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك تشويه صورة الموالين لأهل البيت عليهم السلام من خلال تشويه صورتهم، وهم بشكل بعيد عن الخُلُق والإنسانية، وقد لا يحتاج الإنسان أن يسهب في بيان مدى الحديث الذي وضعه بنو أمية على الكوفة وأهلها من خلال وعّاظ السلاطين وعلماء الجور ومَن لا حظّ لهم بالعلم فضلاً عن الدين، حيث كتبوا كثيراً في

(١) أضواء على الثورة الحسينية: ص٢٢٢.

(٢) انظر: أضواء على الثورة الحسينية: ص٢٢٢.

غدرهم لعليّ ثمّ من بعده الحسن ثمّ من بعده مسلم بن عقيل ثمّ من بعده الحسين، وهكذا مع أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأنا لا أريد هنا أن أردّ على هذه الأراجيف الباطلة والأكاذيب الكالحة، ولكنّني أريد - فقط - أن أنوّه إلى أمرٍ مهمّ، وهو أنّ كلّ مَن يطالع وقائع حرب صفّين وعظمتها وما جرى فيها سيخرج بنتيجة مفادها عظمة تضحيات أهل العراق الموالين منهم، وهم يدافعون عن خطّ الإمامة، فضلاً عن عشرات الأحاديث التي وردت في مدح أهل الكوفة، كقول علي عليه السلام:

«يا أهل الكوفة، جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته، سمعتم فأطعتم ودعيتم فأجبتم»(١).

وقوله:

«لا تسبّوا أهل الكوفة، فوالله إنّ فيهم لمصابيح الهدى» (٢).

و**«الكوفة جمجمة الإسلام وكنز الإيمان»** (٣).

أمّا تشويه صورة الموالين فيها فقد اتّخذ أشكالاً متعدّدة، منها ما ذكرناه قبل قليل، ومنها قصّة معقل الجاسوس، حيث يذهب بعض المحققين إلى أنّها قصّة مفتعلة لا وجود لها، والغاية الأساس من ذلك هو إظهار ضعف شخصيات

---

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي: ص٥٨٣، من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: رقم الحديث ٤٤٥.

(٣) الطبقات لابن سعد: ج٦، ص١ - ٦.

الموالين، وأنّها بسيطة إلى درجة كبيرة بحيث لا تستطيع أن تصمد أمام شخص جاسوس كهذا، حيث استطاع خلال مدة وجيزة أن يصل إلى القلب، ومن ثم ينهي كلّ هذه التنظيمات التي مضى على ترتيبها مدة طويلة من الزمن، وفي نفس الوقت تُظهر هذه القصة قوّة بني أمية ومَن يتبعهم من وُلاة، ومن ثم سيكونون هم أقدر على الحفاظ على دفّة العباد والبلاد.

وباعتقادي أنّ هذه الرواية التي تريد أن تشير إلى انكفاء الناس بالكامل عن مسلم بن عقيل في الكوفة جاءت ضمن هذا السياق وهذا الهدف، حيث تريد أن تقول ولمَن يهمّه الأمر، سواء أكان ذلك في زمن يزيد وبني أمية أم بعدهم: إنّكم إذا دافعتم عن الكوفة بأنّها ليست شيعية، ومن ثم حصل الذي حصل وابتعد الناس عن مسلم بن عقيل، إذاً فماذا تقولون عن الموالين وأصحاب السوابق الإيمانية من أتباع أهل البيت عليهم السلام؟ ومن ثم يحاولون خلال هذه الأكاذيب تسقيط هذه الشخصيات التي ما فتئتْ تدافع عن أهل البيت بكلّ ما تملك من مال وجهد ونفس.

٣ ـ إنّ سيرة هؤلاء الشهداء لاسيّما حبيب بن مُظهِّر ومسلم بن عوسجة وعابس وأمثالهم قبل يوم ورود مسلم بن عقيل، بل وفي يوم وروده واجتماعه بهم، ليؤكّد حرص هذه الجماعات على الشهادة، وأنّها على استعداد للقتل بين يديه بلا أدنى ريبة أو شك في ذلك، والذي يراجع كلماتهم (رض) يكتشف مثل هذه الحقيقة بشكل سريع، هذا من جانب.

ويوجد جانب آخر هناك وصورة أخرى وموقف آخر ينقله لنا التاريخ

عنهم، أنّهم قُتلوا بين يدي إمامهم وسيّدهم الحسين عليه السلام وبشكل ملفت للنظر، حيث استبسلوا جميعاً في الدفاع عنه، بل وتفنّنوا في مثل هذه الشهادة، فإذا كان الأمر كذلك فلابدّ أن نفترض وجود صور أخرى وموقف آخر غير هذا الذي ذكر مع مسلم بن عقيل في صلاة المغرب والعشاء الأخيرة التي صلاّها مع الناس في الكوفة، ومثل هذا الأمر يدعو إليه العقل من خلال المقدّمات التي ذكرناها سابقاً، وبخلاف هذه النتيجة نكون قد وضعنا العقل جانباً في قضية ما كان ينبغي للعقل أن يتجنّبها.

٤ ـ وأمّا الاعتماد على ما ذكره المؤرخون في هذا الموضوع فلا يمكن قبوله مطلقاً؛ لكونه لا ينسجم مع طبيعة الأحداث والأشخاص، وما يدريك لعلّها كانت من جملة الموضوعات التي ذكرها بعضهم وأخذها عنهم الآخرون؛ لأنّها كانت تصبّ إمّا في صالح النظام الحاكم آنذاك أو لأنّها تصبّ في صالح حقد هذا المؤرّخ على أهل البيت عليهم السلام وعلى شيعتهم، وكم ذكر لنا التاريخ صوراً لا وجود لها، وربّما الواقع الذي نعيش فيه يكشف لنا سرّ ما كتبه الأوائل، حيث ما زالت الحناجر الطائفية والأيادي والأقلام الحاقدة تأخذ معينها ومراد حديثها من خلال ما كتبه هؤلاء المؤرّخون.

وعليه لا يمكن أن نأخذ بكل ما ورد في تاريخ الطبري مثلاً، لا لشيء إلاّ لأجل أنّ الطبري قد روى مثل هذا الأمر، وإلاّ إذا كان الأمر كذلك فإنّ الإنسان ربّما يصل إلى درجة لا يستطيع معها حتى أن يدافع عن نفسه، نعم نحن ننقل عن الطبري وغيره إذا كان يتماشى مع عقيدتنا بأهل البيت عليهم السلام وبأشياعهم وأتباعهم

وما ورد عنهم فيهمعليهم السلام حقّاً وصدقاً، وإنّ ما يتنافى مع ذلك نضرب به عرض الجدار، غير مأسوف عليه؛ لأنّ هذه الكتب مهما علتْ وغلتْ فلا يمكن أن تكون قرآن هذه الأمّة ودستورها الذي لا يناقش ويجب العمل به بشكل تعبّدي، حتى وإن لم تُفهَم بعض الأمور فيه.

٥ـ ثم ما الداعي إلى أداء مسلم بن عقيلعليه السلام لصلاة الجماعة هذه وفي مثل هذه الليلة الصعبة، والتي لاحت بها علامات سيطرة عبيد الله بن زياد على الأوضاع في الكوفة؟

ما معنى أن تقام مثل هذه الصلاة في هذا الظرف الخاص؟ لاسيما ونحن نعلم يقيناً أن مسلم بن عقيل، سوف يقيمها مع خُلّص أصحابه المؤمنين بحركته وقيامه في الكوفة بل والذين يمثلون أركان هذه الحركة المباركة.

ومن ثم إقامة الصلاة جماعة تعني بشكل ضمني تجمعاً لكل هذه العناصر أو أغلبها ومن ثم سيتحولون إلى لقمة سائغة بيد عبيد الله بن زياد الذي يريد هو ومن يدور في فلكه الانقضاض عليهم وبأسرع فرصة.

وقد يقال بأن مسلم بن عقيل أراد بهذه الصلاة تحصيل الثواب الأكثر فالصلاة جماعة خير من الصلاة بشكل فردي والصلاة في المسجد خير من الصلاة في البيت.

أقول إن مسلم بن عقيلعليه السلام الذي خاض الحروب والغزوات وخبرها عَلِمَ وبشكل قاطع ان الحرب خدعة لاسيما إذا كان عدوه لا يحمل من القيم الإنسانية فضلاً عن الإسلامية شيئاً كبني أمية وعليه لا يمكن له أن يكون بتلك الدرجة من

السذاجة بحيث يجعل هذه الصلاة طريقاً سهلاً لابن زياد في الحصول عليه بل والمؤيدين له.

بل إننا نرى أن الشريعة الإسلامية التي فرضت صلاة الخوف بشكل معين وفي ظل شروط خاصة، لم تترك حتى مسألة الحذر من العدو بشكل كامل، بل وضعت لذلك ضمانات تحفظ من خلالها هذه الأعداد المصلّية، يقول القرآن الكريم:

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً ﴾ [1].

ولا شك ولا ريب أن مسلم بن عقيل هو ابن الشريعة والمتربي على يديّ أئمتها ولا بد أن يكون مطّلعاً على هذه النقطة بشكل كامل، ولذلك أعتقد أن صلاة الجماعة هذه غير موجودة أصلاً ولم يكن قد صلاّها مسلم بن عقيل عليه السلام، وإنّما هي كذبة وفرية افتراها بنو أمية ومن لف ودار في فلكهم والغاية الأساس منها هو تشويه صورة الموالين أمثال حبيب ومسلم بن عوسجة وغيرهما من الأبدال، بأنهم أهل غدر وختل وخديعة.

فإذا كنتم تدافعون عن مجمل الانقلاب في الكوفة سابقاً وإن الشيعة والموالين لم يكونوا في جملة الانقلابيين إن صح التعبير، حيث امتلأت بهم السجون والقبور والبراري سجناً وقتلاً وتشريداً، فماذا تقولون فيمن ترك مسلم بن عقيل لوحده في آخر ساعات حياته فريسة لابن زياد بعد ما فرّ عنه ولم يقف

(١) النساء/ ١٠٢.

خلفه حتى في آخر صلاة صلاها والتي لا يقف خلفه فيها مصلياً في ذلك الظرف الخاص إلا من كان موالياً شيعياً مخلصاً؟

ومن ثم أُريدَ من خلال هذه الصلاة إرسال هذه الرسالة المهمة عبر العصور وهي الرسالة التي سعت الماكنة الأموية بكل ما أوتيت من قوة للترويج إليها وتثقيف الأمة على أساسها ابتداءً من اليوم الأول بعد واقعة كربلاء والى يومك هذا حتى سرت هذه الأكذوبة فيما بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وللأسف الشديد.

٦ـ ثمّ كيف يمكن أن يتناسب ما حصل وجرى في صلاة الجماعة هذه ـ على فرض وجودها تنزلاً ـ من تفرّق الموالين والمخلصين وفيهم على أقلّ تقدير ٧٠ شهيداً من شهداء كربلاء كانوا قد التحقوا بعد ذلك بالحسين وقتلوا بين يديه.

أقول كيف يمكن أن يتناسب كل ذلك الغدر والخذلان منهم مع قول الحسين عليه السلام بعد ذلك بمدّة وجيزة من الزمن لم تستغرق أكثر من شهر حينما جمعهم ليلة العاشر من المحرّم وقال:

«**ما رأيت أصحاباً أوفى وأبّر من أصحابي**».

حيث مدحهم الحسين عليه السلام بصفة مهمة وأساسية ألا وهي الوفاء بل الأوفى على وفق قوله عليه السلام؟

أفيمكن أن يمدح الغادر والخاذل للحق بالوفاء؟

أم يمكن أن يحابي الحسين عليه السلام ويجامل في دين الله ويشوه الحقائق على الناس وهو الذي أعطى دمه من أجل الدين والدفاع عنه؟

٧ـ وبغض النظر عن كل ما تقدم، فإن مثل هذا الأمر لم يحصل مع من تقدم ومن تأخر من أئمة أهل البيت في الكوفة، حيث لم ينقل التأريخ ان الناس كانت قد انكفأت عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة بشكل كامل بحيث لم يبقَ خلفه أو معه أحد من أصحابه وشيعته، مع شدة المأساة والظلامة التي مر بها الإمام أمير المؤمنين سواء أكان مثل هذا الأمر في حرب الجمل أم صفين أم مع الخوارج بل حتى حينما رفعت المصاحف وضغط الكثير من جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عليه في ضرورة القبول بقي إلى جانبه جماعة من المخلصين والموالين أمثال مالك الأشتر.

ومثل هذا الأمر كذلك لم يجرِ مع الإمام الحسن عليه السلام مع شدة الخذلان الذي لاقاه من أهل الكوفة بل ومن المقربين له أمثال عبيد الله بن العباس ـ إن صحت الرواية عنه بذلك ـ ومع كل ما مرّ وحصل من مظلومية نجد أن هناك من المخلصين من وقف إلى جانبه وبقي مدافعاً عنه أمثال عبد الله بن العباس وقيس ابن سعد بن عبادة وأمثالهما.

بل إننا نرى أن مثل هذا الأمر لم يجرِ حتى مع الحسين عليه السلام، حيث لم تخذل الأمة بكاملها سيد الشهداء بل وقف إلى جانبه مجموعة من الناس فدوه بالغالي والنفيس.

وهكذا مع بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإذا كان الأمر كذلك فَلِمَ يجري مثل هذا الأمر مع مسلم بن عقيل فقط في داخل الكوفة ومن ثم يُترك وحيداً فريداً لا يجد أحداً يدلّه على الطريق؟

الحسين عليه السلام يراسل حبيب بن مُظهِّر الأسدي

ربّما تكون رسالة الإمام الحسين عليه السلام - التي سوف نذكرها بعد قليل - إلى حبيب بن مُظهِّر الأسدي من جملة مميزات هذا الشهيد على غيره، حيث لم يحدّثنا التاريخ الموجود بين أيدينا أنّ الحسين عليه السلام راسل جماعة أو أشخاصاً بشكل منفرد في الكوفة غير هذا الشهيد رضي الله عنه وغير أولئك الذين كانوا في البصرة من أصحاب الأخماس فيها، وها نحن نذكر هنا نصّ هذا الكتاب محاولين تسليط الأضواء عليه وعلى أهمّ النقاط المهمّة فيه.

كتاب الحسين إلى حبيب

روى الفاضل الدربندي في كتابه (أسرار الشهادة) كتاباً من الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مُظهِّر، هذا نصّه:

«من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر

أمّا بعد..

فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغَيرة، فلا تبخل عنّا بنفسك، يجازيك جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة» [1].

---

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٩٠.

النقاط المهمة التي حواها كتاب الحسين

وقد حمل هذا الكتاب الحسيني إلى الشهيد الحسيني - إذا صح التعبير - مجموعة من النقاط، أرى من اللازم الإشارة إليها:

١ ـ لا شكّ أنّ هذا الكتاب يكشف - وبشكل كبير - مدى الاحترام العالي والتأثير المُميِّز الذي تضمّنته هذه الشخصية في الواقع الإسلامي والاجتماعي، وسيأتينا بعد ذلك دور حبيب في دعوة بني أسد للالتحاق بركب الحسين عليه السلام.

٢ ـ أشار الحسين عليه السلام في كتابه بكلمة «الرجل» إلى معنى الثبات وعدم الانجرار وراء الفتن مهما عظمت وجلّت، وهذا مفهوم قرآني عظيم أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية، لاسيّما في سورة الأحزاب بقوله:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [1].

وقوله:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ [2].

فليس كل مَن حمل الذكورة رجلاً في نظر القرآن، فهناك الرجل وهناك مَن لا يمكن تشبيهه إلاّ بعقول ربّات الحجال كما يقول الإمام علي عليه السلام:

«يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال»[3].

---

(١) الأحزاب، ٢٣.

(٢) التوبة، ١٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٨، ص ٦٨٠.

٣ ـ كلمة «الفقيه» التي وردت في هذا الكتاب لا شكّ أنّ فيها منقبة للشهيد حبيب، تزيده فخراً وكرامة فوق ما يحمله من فخر وكرامة، وقد تقدّمت معاني هذه الكلمة فيما سبق فراجع[١].

٤ ـ الإيمان بالله عزّ وجلّ وبرسوله وبهذا الدين يُحَتِّم على الإنسان أن ينصر الله ورسوله، ما في ذلك من ريب، ولكن ممّا يزيد الأمر مسؤولية أكبر وتكليفاً أعظم في هذه النصرة على الإنسان، هو قربه من رسول الله واطلاعه وبشكل مكثّف على حياته وعلاقاته وأحاديثه وأحكامه، وهذا كذلك معنى قرآني اتّبعه القرآن مع نساء النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ بقوله:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾[٢].

وربّما يكون هذا المعنى هو الذي أشار إليه الإمام الصادقعَلَيهِالسَّلَامُ مع الشقراني بقوله:

«الحسنُ من كلّ أحد حَسَنٌ ومنكَ أحسنُ لقربِكَ منّا، والقبيحُ من كلّ أحدٍ قبيحٌ ومنكَ أقبح؛ لمكانك منّا»[٣].

وعلى نفس هذا السياق خاطب الحسينعَلَيهِالسَّلَامُ حبيب بن مُظهِّر بهذه اللهجة، فهو الأعرف والأدرى برسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ وبأهل بيته ومدى احترامه(رض) لهمعَلَيهِمُالسَّلَامُ ودعوة الأمّة إلى نصرتهمعَلَيهِمُالسَّلَامُ.

---

(١) في طيّات الحديث عن علاقة حبيب بالفقه.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

(٣) سفينة البحار: ج١، ص٧٠٨.

٥ ـ ذكر الإمام في كتابه ما يحمله حبيب وأسرته من خُلُق رفيع وشيمة نبيلة إضافة إلى الغَيرة على هذا الدين، خصوصاً وأنّه يعلم أنّ صاحب الغيرة لا يمكن أن يصبر وهو يرى بأمّ عينه انتهاك حرمات الله ومقدّساته، فهذا هدهد سليمان – وهو لم يكن بشراً بل كان حيواناً – قد غضب وتألّم يوم رأى بلقيس وقومها يسجدون للشمس من دون الله، حتى جاء وأعلن غضبه أمام سليمان عليه السلام، ولم يقل حين رأى ذلك: مالي ولهم، فذنبهم على جنبهم كما يقولون، فإذا كان حال الهدهد هكذا على دين الله، فما بالك بالأولياء والصلحاء، ولهذا نجد الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى هذا المفهوم المكنون في نفس الشهيد (رض) من أجل أن يُحفّزه على الجهاد أكثر فأكثر.

٦ ـ في قبال كلّ هذه التي سوف يقدّمها حبيب من بذلٍ للغالي والنفيس فإنّ هناك ثمناً عظيماً ينتظره، ألا وهو مجازاة رسول الله صلى الله عليه وآله له بنفسه(رض)، هذا الرسول الذي يقول عنه القرآن إنّه سيعطى منزلة عظيمة:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (١).

حتى ليغبطه على ذلك الأوّلون والآخرون، هذا كلّه والنداء يسمعه الجميع:

«**يا محمّد، ارفع رأسك، سل تُعْطَه، اشفع تُشَفّع**» (٢).

فما بالك بمَن تكون مجازاته في ذلك اليوم عند هذا الإنسان؟ كيف سيكون حاله؟ وكيف ستكون كرامته ومنزلته؟

---

(١) الضحى: ٥.

(٢) كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي: ج٢، ص٣٢٧.

٧ ـ أودّ الإشارة هنا إلى نقطة أراها مهمّة حول مجمل هذا الكتاب الذي أرسله الحسينعليه السلام إلى حبيب (رض)، حيث إنّه لم يرسل إليه بشكل مبكّر، بل أرسل إليه متأخّراً جدّاً، بل وبعد خروج الحسين من مكّة باتجاه الكوفة، ممّا يعني أنّ أصل النصرة حاصلة وثابتة من خلال إرسال حبيب الكتب إلى الحسين ودعوته للحضور إلى الكوفة، والتعهّد له ببذل المال والنفس بين يديه، أو بعد ذلك من خلال حركة مسلم بن عقيلعليه السلام، حيث تحوّل حبيب إلى ركن مهمّ من أركان هذه الثورة المباركة.

وعليه فإنّ هذا الكتاب لا يعني مطلقاً طلب النصرة من حبيب ابتداءً، وإنّما هو من باب شحذ الهمّة أكثر، وربّما كان موجّهاً بالدرجة الأولى إلى مجمل الموالين في الكوفة لأجل إيصال رسالة، مفادها: إذا كان هذا الشيخ الهرم مطلوباً للنصرة، فإنّكم ستكونون مطلوبين من باب أولى.

وصول حبيب بن مُظهِّر إلى كربلاء

يذهب الكثير من المؤرّخين والمحققين إلى أنّ وقت وصول الشهيد حبيب ابن مُظهِّر الأسدي إلى الحسين في كربلاء كان في اليوم السادس من المحرم عام ٦١ هـ وذلك بعد أن تسلّم رسالة الحسينعليه السلام وفهم ما يريده فيها، وبعبارة أخرى: إنّ وصول الشهيد إلى كربلاء كان على إثْر وصول الرسالة إليه.

وبما أنّنا نُقدّر أنّ الرسالة لم تُرسل إلى حبيب إلاّ في منطقة قريبة من كربلاء أو ربّما بعد وصول الحسين إليها في ٢ محرم، فلابدّ أن يكون وصول الشهيد إليه في ما يمكن أن يقدّر بالسادس من محرم أو ربّما قبله بقليل، وهذا

المعنى يمكن للإنسان أن يتلمّسه في قول الخوارزمي في مقتله حيث يقول: (والْتَأَمَتْ العساكر عند عمر لستّ أيام مضينَ من محرم، فلمّا رأى ذلك حبيب بن مظاهر الأسدي جاء إلى الحسين عليه السلام فقال له...)[١]، ممّا يعني أنّ الشهيد كان في كربلاء اليوم السادس من محرم قطعاً، فلربّما كان التحاقه بالحسين في اليوم السادس من محرم أو قبله بقليل على أقل التقادير.

زوجة الشهيد حبيب والموقف الإسلامي

إن كان القرآن الكريم قد تحدث عن مواقف بعض النساء في طريق الجهاد والدعوة إلى الله عزّ وجلّ أمثال أم موسى، والتي يقول عنها القرآن:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٢].

حيث تحمّلت التكليف والمسؤولية الإلهية وصنعت مع ولدها ما لم تصنع أم برضيعها.

أو تلك المرأة الصالحة - زوجة فرعون - التي تركت كلّ شيء بعد أن آمنت بالله وصدّقت رسلَه، ومن ثم خرجت من كلّ ما يمكن أن تفكّر به كلّ امرأة من عزّ ومال وجاه، وتحمّلت أشدّ الآلام في هذا الطريق وهي تقول:

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١، ص٣٤٥.

(٢) القصص: ٧.

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١].

وهكذا صور أخرى من البطولة والشجاعة قلّ نظيرها.

أقول إذا كان القرآن قد ذكر كلّ هذا، فلقد خلّفت كربلاء وما قبلها وما بعدها صوراً من المواقف الإسلامية والإنسانية للنساء تقف لها البشرية إجلالاً وإكباراً، حيث وقفنَ مواقفَ قلّ أن يقفها الكثير من الرجال، ولقد كان من بين هذه النسوة زوجة هذا الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي، التي كانت تقول بعد أن وصلت رسالة الحسين عليه السلام له: (بالله عليك يا حبيب، لا تقصّر عن نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله)[٢].

ولكنّ الشهيد أراد أن يختبرها ليكشف عن عظمة معدنها وإيمانها، ولتبقى أسوةً حسنةً تشرئبّ لها الأعناق عبر الزمن، فقال لها: (أخاف على أطفالي من اليتم وأخشى أن تُرمّلي بعدي، فقالت: ولنا التأسّي بالهاشميات والبُنَيَّات والأيتام من آل رسول الله، والله تعالى كفيلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل. فلمّا عرف حبيب منها حقيقة الأمر دعا لها وجزّاها خيراً وأخبرها بما هو في نفسه وأنّه عازم على المسير والرواح، فقالت: لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قالت: بالله عليك يا حبيب، إذا قدمتَ على الحسين عليه السلام قبّل يديه ورجليه نيابةً عنّي، واقرأه عنّي السلام، فقال: حبّاً وكرامةً)[٣].

---

(١) التحريم: ١١.

(٢) معالي السبطين: ج١، ص٣٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ج١، ص٣٧٠.

حبيب بن مُظهِّر الأسدي في كربلاء

إنّ كان التأريخ قد سجّل للشهيد حبيب بن مُظهِّر مواقف كثيرةً قبل يوم عاشوراء، فإنّ يوم عاشوراء قد حمل في طيّاته الكثير من المواقف مع قصر المدّة الزمنية، وها نحن مُسجِّلون بعض هذه المواقف والتي يفتخر الإنسان ويرفع رأسه عالياً بها:

١ . الموقف الأوّل: ويحك ياقرة أنّى ترجع إلى القوم الظالمين؟

ينقل الطبري في تاريخه: (بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الأخمسي[1] فقال: ائتِه فسلْه ما الذي جاء به وماذا يريد؟

وكان عزرة ممّن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه، فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلّهم أبى وكرهه، وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي - وكان فارساً شجاعاً ليس يردّ وجهه شيء — فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لافتكنّ به؟

فقال عمر بن سعد: ما أريد أن تفتك به، ولكن ائتِه فسلْه ما الذي جاء به؟

فأقبل إليه، فلمّا رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله، قد جاءك شرّ أهل الأرض وأجرأه على دم وأفتكه، فقام إليه فقال: ضع سيفك، قال: لا ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّي أُبلغكم ما أُرسلتُ به

---

(١) هو ممّن كتب إلى الحسين عليه السلام ثمّ كان مع عمر بن سعد، وكان رئيساً على الخيل، مستدركات علم الرجال للنمازي: ج٥، ٢٣٤. ولكن انظر ماذا يقول عنه ابن حبّان: (ثقة، يروي عنه أحمد في مسنده)، ابن حبّان: ج٥، ٢٧٩.

إليكم، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم، فقال له: فإنّي آخذ بقائم سيفك ثمّ تكلّم، قال: لا والله، لا تمسّه، فقال له: أخبرني ما جئتَ به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه فإنّك فاجر، فاستبّا ثمّ انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فدعا قرّة بن قيس، فلمّا رآه الحسين مُقبلاً قال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مُظهِّر: هذا رجل من حنظلة تميم، وهو ابن أختنا، ولقد كنتُ أعرفه بحسن الرأي، وما كنتُ أراه يشهد هذا المشهد)[1].

وهنا لابدّ لنا من الإشارة إلى نقطة مهمّة قبل أن نسترسل في الحديث الذي رواه الطبري، وهذه النقطة متعلّقة بما ذكره الشهيد حبيب بن مُظهِّر عن قرّة، حيث وصفه بأنّه حسن الرأي، وكان يعتقد أنّه لا يقف مثل هذا الموقف، وهنا ينقدح في الذهن سؤال مهم مفاده: هل يمكن يا ترى لإنسان (عاقل) معروف بين الناس بحسن السيرة والسلوك أن يقف أمام الحسين عليه السلام؟

باعتقادي أنّ هذه المسألة لا دخل لها بما يحمل الإنسان من فكر ومعرفة، وإنّما لها علاقة مباشرة بقدرة ذلك الإنسان على الصبر وتحمّل نوَب الزمان والشدائد التي تترتّب على المواقف، وإلاّ فهناك الكثير ممّن يحملون القرآن والسنّة حفظاً وتلاوةً وربّما تفسيراً وفهماً، ولكنّهم مع ذلك وقفوا يوم النهروان يقاتلون مَن شهد القرآن بصدقه وجهاده وإيمانه وسابقته.

وهكذا نجد أمثال هؤلاء يسيرون دائماً في ركاب الظلمة والسلاطين، حتى عُرفوا بـ(وعّاظ السلاطين)، ويبدو أنّ قرة بن قيس وإن كان معروفاً في داخل

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٣٤.

الكوفة بحسن الرأي والسيرة، ولكن يبدو أنّ كلّ هذا ما دام الأمن والأمان على المال والنفس والأهل والولد موجودَينِ، أمّا مع عدمهما فإنّ الموقف هو ما يطلبه الظالمون، وهذا ما حصل، فحينما بعث عمر بن سعد قرّة بن قيس إلى الحسين عليه السلام وهو العارف بكلّ منهما، لبّى هذه الدعوة من دون أن يتّخذ الموقف الذي يقتضيه حُسن الرأي الذي يحمله.

والذي يدلّ على ما ذكرناه هو تكملة الحديث الذي ذكره الطبري، حيث يتبيّن فيه أنّه وبعد الحديث مع حبيب وتحذيره إيّاه من بقائه في رِكَابِ الظَّلَمَة ووعْد قُرّةَ له بأن يرجع إلى عمر بن سعد وإخباره الخبر ثمّ يرى رأيه بعد ذلك، ولكنّه لم يفكّر في الأمر ولم يرجع، وربما يكون قد فكّر ولكنه فضّل دنياه على آخرته.

يقول الطبري: «فجاء حتى سلّم على الحسين عليه السلام وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين: كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أَقْدِمْ، فأمّا إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنهم، ثمّ قال له حبيب بن مُظهِّر: ويحك يا قرّة بن قيس، أنّى ترجع إلى القوم الظالمين، انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معك، فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي»[١].

وهذا درس لابدّ للإنسان أن يتفهّمه في حياة هذا الشهيد وموعظته لقرّة بن قيس، فكم عندنا مثل قرّة في حياتنا، كلّ إنسان يدعوه التكليف الإسلامي إلى اتخاذ موقف ما، وهو يرى أنّ هذه القضية يمكن أن يقفها ولكن من دون أن تترتّب خسائر مادية أو معنوية، فإنّه يؤدّيها، أمّا مع هذه الخسارة فهو لا يعرف

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٣٤.

التكليف ولا المسؤولية الإسلامية، بل يكون مَثَله مَثَل أولئك الذين تحدّث عنهم الحسين بقوله:

«الناسُ عبيدُ الدنيا، والدينُ لَعقٌ على ألسنتهمْ يَحوطونَهُ ما دَرَّتْ معائشُهمْ، فإذا مُحّصوا بالبلاءِ قَلَّ الديَّانونَ» [(١)].

٢ . الموقف الثاني: أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم حبيب بن مُظهِّر وبني أسد

ربّما يكون حبيب بن مُظهِّر الأسدي قد تميّز عن الآخرين من شهداء كربلاء بأنّه الشهيد الوحيد الذي لم يكتفِ بدعوة قومه للوقوف معه لنصرة الحسين حتى وصل إلى كربلاء، فقد ورد في كتب التأريخ والمقاتل:

(وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فقال: يابن رسول الله، ههنا حي من بني أسد، أتأذن لي في المصير إليهم فأدعوهم إلى نصرتك فعسى الله أن يدفع بهم عنك؟ قال: قد أذنت لك، فخرج حبيب إليهم في جوف الليل متنكّراً حتى أتى إليهم فعرفوه أنّه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك؟ فقال: إني قد أتيتُكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتُكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيّكم، فإنّه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتُكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالوا بها شرف الدنيا والآخرة، فإنّي أقسم بالله لا يُقتل

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٦ – ٣٨٧.

أحد منكم في سبيل الله مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً، إلاّ كان رفيقاً لمحمدﷺ في علّيين، قال: فوثب إليه رجل من بني أسد يُقال له عبد الله بن بشر فقال: أنا أوّل مجيب إلى هذه الدعوة، ثمّ جعل يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمَ القَوْمُ إِذ تَوَاكَلُوْا وَأَحْجَمَ الفُرْسَانُ إِذْ تَنَاقَلُوْا

أنّيْ شُجَاعٌ بَطَلٌ مُقَاتِلُ كَأنَّنِي لَيْثُ عرينٍ بَاسِلُ

ثمّ تبادر رجال الحي حتى الْتَأمَ منهم تسعون رجلاً[(١)]، فأقبلوا يريدون الحسينعليه السلام، وخرج رجل في ذلك الوقت من الحي حتى صار إلى عمر بن سعد فخبّره بالحال، فدعا ابن سعد برجل من أصحابه يُقال له الأزرق، فضمّ إليه أربعمائة فارس وجّهه نحو حي بني أسد، فبينما أولئك القوم قد أقبلوا يريدون عسكر الحسينعليه السلام في جوف الليل إذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات وبينهم وبين عسكر الحسين اليسير، فناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً وصاح حبيب بن مظاهر بالأزرق: ويلك، مالك ومالنا، انصرف عنّا ودعنا يشقى بنا غيرك، فأبى الأزرق أن يرجع، وعلمتْ بنو أسد أنّه لا طاقة لهم بالقوم فانهزموا راجعين إلى حيِّهم، ثمّ إنّهم ارتحلوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أن يبيتهم، ورجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين فأخبره بذلك فقالعليه السلام: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله)[(٢)].

والملفت للنظر في هذا النص المتقدّم أنّ الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي

---

(١) انظر: قصّة كربلاء لعلي نظري، ص٢٢٥.

(٢) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٦٧.

لم ينطلق في دعوة قومه لنصرة الحسين عليه السلام من منطلق أنّه سيد قبيلته وزعيم كبير من زعمائها، ومن ثم يحرّك فيهم الروح القبلية والعشائرية، ولكنّه أبى إلاّ أن يدعوهم دعوة الإسلام والإيمان، دعوة قائمة على أساس الدين والعقيدة وما يتطلّبه الإيمان بالله ورسوله والوقوف أمام الظالمين من آثار؛ ولهذا تراه ذكر مفردات كثيرة تؤكّد هذا المعنى في كلمته مع قومه: (أدعوكم إلى نصر بن بنت رسول الله... كان رفيقاً لمحمد صلى الله عليه وآله في علّيين).

كما أنّ النص المتقدّم يبين في نفس الوقت - كما هو واضح - مدى الاستجابة السريعة لهذا الحي في نصرة الحسين عليه السلام، بل وعقيدتهم فيه عليه السلام، وربّما يتلمّس الإنسان مثل هذا المعنى في حديث عبد الله بن بشر وأرجوزته التي بادرت الرجال بعدها حتى وصل العدد إلى تسعين فارساً من هذا الحي الصغير، وهذا الرقم بتقديري يكشف مقدار الاستجابة الكبيرة التي حصلت في هذا الحي لحركة الحسين عليه السلام.

وأغلب الظنّ أنّهم كانوا صادقين في مشاعرهم تجاه نصرة الحسين عليه السلام، ولكنّ وجود أحد أفراد هذه القبيلة في جوّ وهوى عمر بن سعد وإخباره بما جرى وحصل، جعلت المعادلة تنقلب وتذهب باتجاه آخر ربّما لم يكن مقصوداً منذ البدء، والدليل على ذلك قتالهم الشديد مع جيش ابن الأزرق الذي انتهى بانسحابهم خوفاً على أنفسهم من القتل بعد أن رأوا أن لا طاقة لهم بهم، وهذا المعنى ليس عيباً يمكن أن يسجل عليهم من قِبل البعض كما يحلو له، فبقاؤهم يقاتلون ربّما يعني فناءهم عن آخرهم.

نعم، ربّما تأتي هنا مسألة ارتحالهم ليلاً بكامل قبيلتهم إلى مكان آخر غير المكان الذي كان يعيشون فيه، فيتمسك بها البعض في الحديث عنهم، ولكنّي اعتقد أنّ عملية الارتحال كانت تنسجم مع الخوف من ابن سعد وابن زياد ومسألة انتهاك حرمات هذه القبيلة، من خلال تعريض نسائها وشيوخها إلى السجن والتعذيب.

٣. الموقف الثالث: أما والله لبئس القوم عند الله غداً

يقول المُقرَّم في مقتله: (نهض ابن سعد عشيّة الخميس لتسعٍ خَلَوْنَ من المحرم، ونادى في عسكره بالزحف نحو الحسين، وكان عليه السلام جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه وخفق برأسه، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّك صائر إلينا عن قريب، وسمعتْ زينب أصوات الرجال وقالت لأخيها: قد اقترب العدو منك، فقال لأخيه العبّاس: اركب بنفسي أنت حتى تلقاهم واسألهم عمّا جاء بهم وما الذي يريدون، فركب العباس في عشرين فارساً فيهم زهير وحبيب وسألهم عن ذلك، قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب، فانصرف العباس يخبر الحسين بذلك، ووقف أصحابه يعظون القوم، فقال حبيب بن مُظهِّر:

أَمَا واللهِ، لبئس القوم عند الله غداً قوم يُقدمون عليه وقد قتلوا ذرّية نبيّه وعترته وأهلِ بيته وعُباد أهل هذا المصر المتهجّدين بالأسحار الذاكرين الله كثيراً، فقال عزرة بن قيس: إنّك تزكّي نفسك ما استطعت؟ فقال زهير: يا عزرة، إنّ الله قد زكّاها وهداها، فاتّقِ الله يا عزرة فإنّي لك من الناصحين)[1].

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ص٢٥٦.

وفي هذا النص نجد أنّ أصحاب الحسين عليه السلام لا يألون جهداً من أجل هداية مَن يستطيعون هدايته؛ ولهذا نجد أنّ الشهيد حبيب بن مُظهِّر يبادر هو من أجل بيان عظمة ما يمكن أن يُرتكب في حقّ الدين، من خلال قتل هذه الثلّة المؤمنة التي عرفت عند أهل الكوفة جميعاً بأنّهم المتهجدون بالأسحار والعُبّاد والذاكرون الله كثيراً.

وبدل أن يقبل عزرة مثل هذا الكلام ويتّخذ الموقف الذي يمليه عليه دينه وإنسانيّته، وإذا به يخرج حتى عن حدّ الاعتدال في كلامه ليتّهم حبيب بأنّه ممّن يريد أن يشير إلى نفسه وصلاحها وقربها من الله سبحانه وتعالى، ولا يريد بذلك إلاّ الرياء (معاذ الله)، مع أنّ عزرة هو أعرف به من غيره، فقد خَبِرَه هو وخَبِرَه غيره، فكان الإيمان المتجسّد في الخارج عقيدة وسلوكاً منذ أن كان يافعاً وإلى أن صار شيخاً هرماً كبيراً، ولكنّ الله عزّ وجلّ أراد لهذا الرجل –بسبب تمسّكه بالباطل مع علمه به وعدم نصرته للحق مع معرفته له – أن يختم على قلبه ويجعل عليه غشاوة، ومن ثم يكون مصداقاً للآية الكريمة:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(١)].

٤ . الموقف الرابع: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً

روى أبو مخنف في مقتله أنّ الحسين عليه السلام خطب في كربلاء خطبةً، وفي أثناء كلامه وحديثه الذي كان يوجّهه إلى أهل الكوفة ومَن وقف أمامه قائلاً لهم

(١) البقرة: ٧.

أن يسألوا جابراً الأنصاري وأبا سعيد الخدري وغيرهما أنّهم سمعوا رسول الله يقول له ولأخيه:

«**هذان سيّدا شباب أهل الجنّة**» [١].

اعترضه شمرٌ فقال له: (هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب: والله، إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك) [٢].

ماذا يريد أن يقول شمر بقوله: (هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدري ما تقول).

هل يريد أن يُكذِّب الحسينَ عليه السلام بقوله وهو يعلم أنّه الصادق ابن الصادقين؟

أم هل يريد أن يُكذِّب الحسينَ عليه السلام في نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

أم إنّه يريد أن يبطل دعوة الحسين عليه السلام إلى سؤال مَن إذا سألوه أخبرهم بمقالة رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه الحسن عليه السلام: هذان سيدا شباب أهل الجنّة؟

أم يريد أن يقطع حديث الحسين عليه السلام من الاسترسال خوفاً من الفضيحة أكثر أمام الناس؟

أم إنّه البغض والحقد والكراهة لعلي عليه السلام وآل علي عليه السلام؟

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج٢، ص٤٣٨، رقم الحديث ٧٩٧.

(٢) إبصار العين: ص٦٨، نقلاً عن أبي مخنف.

وأراها قد اجتمعت في شخص هذا الصلف النطف، هذا الذي له السوابق والمآثر في كلّ خسّةٍ ورذيلة، فهو الذي جلس على صدر الحسين عليه السلام لحزّ رأسه، وهو الذي هجم على خيام بنات رسول الله لترويعهنّ، وهو الذي جاء بكتاب الأمان لأبي الفضل العباس فأبى إلاّ الدفاع عن الحسين عليه السلام، ولكن ماذا يقول الإنسان فيمَن لا يعرف التاريخ أجرأ منه على حزب الحق ولا أقسى ولا أشدّ غلظةً منه، وكأنّ الله نزع الرحمة من قلبه كاملاً، إضافة إلى دناءة المولد[1]، وسوء الحضن أباً وأمّاً.

ولمّا رأى الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي كلّ هذه الصلافة مع الحسين عليه السلام في اعتراض الشمر عليه، ناداه برفيع صوته غير آبه به وبمَن معه من الجُنْد: (والله، إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً)، يعني إذا كنتَ باعتراضك هذا تريد أن تدافع عن موقف الكفر والضلال الذي تِقفه أمام الحسين عليه السلام، فإنّ مثل هذا الأمر يمكن أن تُموّهه على مَن أعمى الله بصره من الرؤية وسمعه من الفهم وقلبه من التفقّه، أمّا مَن كان على بيّنة من ربّه فلا يمكن أن يُخدع، بل إنّي أشهد على أعظم من العبادة على حرف واحد،

حيث أوصلتْك مطامعك الشخصية وهواك الذي أضلّك إلى العبادة على سبعين حرفاً، ومثل هذا الأمر أنت لا تعيه ولا تعرفه؛ لأنّ الله قد طبع على قلبك، ومَن يطبع الله على قلبه فهو محجوب عن رحمة الله ورضوانه:

---

(١) راجع مستدركات علم الرجال: ج٤، ص٢٢٠: (وهناك قصّة ذكرها في أمّ الشمر وزناها، وأنّ شمراً تولّد بعد ذلك من الزنا).

﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ... إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[(١)].

ومن ثم أنا أشهد أنّك صادق في دعواك، وأنّك لا تفهم ما يقول لا بمعنى أنّ مقالة الحسين عليه السلام لا تُفهم، أو لا يمكن فهمها، بل لأنّ قلبك قد أُغلق عن كلّ هداية.

معنى العبادة على حرف

يقول ابن منظور: (الحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سُمّي الحرف من حروف الهجاء... وحرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحيةٍ منه، كأنّه ينتظر ويتوقّع، فإن رأى من ناحيةٍ ما يُحب وإلاّ مال إلى غيرها)[(٢)].

ويقول السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾[(٣)].

(وهذا صنف آخر من الناس غير المؤمنين الصالحين، وهو الذي يعبد الله سبحانه بانياً عبادته على جانب واحد دون كل جانب، وعلى تقدير دون كلّ تقدير، وهو جانب الخير، ولازمة استخدام الدين للدنيا، فإن أصابه خيرٌ استقرّ بسبب ذلك الخير على عبادة الله واطمأنّ إليها، وإن أصابتْه فتنة ومحنة انقلب ورجع على وجهه من غير أن يلتفت يميناً وشمالاً، وارتدّ عن دينه تشؤّماً أو رجاء

(١) المطففين: ١٥.

(٢) لسان العرب: ج٢، ص٨٣٨، مادّة (حرف).

(٣) الحج: ١١.

أن ينجو بذلك من المحنة والمهلكة)[١].

وهذا هو الدرس الذي ينبغي علينا أن نَعِيَه ونحن نقرأ هذا الموقف للشهيد حبيب بن مُظهِّر (رض) مع شمر بن ذي الجوشن، حيث يريد منّا الشهيد أن نعيش العبادة مع الله ولكن لا على حرف، ومن ثم نكون مطيّة للشيطان والسلطان يفعل بنا ما يشاء، بل لابدّ أن تكون هذه العبادة متمكّنة منّا تمكّناً كبيراً من خلال وعينا بها وفهمنا الصحيح لها، وإذا ما تمكّنت العبادة من قلب إنسان فلا يمكن أن تهزّه الفتن مهما علتْ وعظمت.

ومن هنا نجد أنّ مضمون العبادة عند الشمر يختلف عن مضمون العبادة عند الحسين عليه السلام وأصحابه، فذاك جعل الدين والعبادة لَعِقاً على لسانه، يحوطه ويحفظه ما دام عائداً له بالعوائد المادية المعنوية، أمّا إذا انعدمت هذه العوائد فلا إله يُعبد ولا نبي يُطاع ولا دين يُتّبع، بينما أصحاب الحسين عرفوا من الحسين عليه السلام أنّ العبادة لله يجب أن تكون في كلّ حالاتها وأوضاعها، ففي السراء والرخاء عبادة، وفي الضراء والبأساء عبادة، وحين البأس عبادة، وفي الغنى عبادة، وفي الفقر عبادة، وفي السلامة عبادة، وفي السقم عبادة وهكذا، وهذه هي العبادة التي ينبغي على كلّ مؤمن أن يعيشها لله عزّوجل.

وأخيراً علينا أن نتأمّل في كلام الحسين عليه السلام الذي قاله عند وصوله إلى كربلاء في شهر محرم عام ٦١هـ والذي أرسله إلى كلّ مَن يهمّه الأمر، لاسيما أتباع الحسين عليه السلام ومحبّيه والمتعلّقين به.

---

(١) تفسير الميزان: ج١٤، ص٣٥١.

«الناس عبيد الدنيا والدين لَعِقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما دَرّتْ معائشُهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون» [١].

٥ . الموقف الخامس: زعمت أنها لا تقبل من آل الرسول

ذكر المؤرّخون أنّ الحسين عليه السلام صلّى بأصحابه صلاة الخوف يوم العاشر من المحرّم، وبينما هم يريدون الصلاة وإذا برجل من جيش عمر بن سعد - واسمه الحصين بن تميم - يقول: (إنّها لا تقبل)، فقال له حبيب بن مُظهِّر: (زعمت أنّ الصلاة من آل الرسول لا تقبل وتقبل منك يا حمار، ثمّ حمل عليهم حصين بن تميم فخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه وحمله أصحابه) [٢].

وأنا أقرأ هذا النص المتقدّم لأسلط الأضواء عليه - لاسيما فيما يتعلق بموقف الشهيد حبيب (رض) - قادني فكري راغماً إلى حيث النصوص الكثيرة في حقّ عبادة الحسين عليه السلام وصلاته، لاسيّما قول الإمام الصادق عليه السلام في زيارة وارث:

«أشهد أنك قد أقمت الصلاة» [٣].

فقلتُ في نفسي: يا سبحان الله! هل يمكن أن يكون هناك مسلم عاقل يحترم دينه وعقله يقول بمقالة هذا الإنسان؟!

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٣، ص٣٢٦.

(٣) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي: زيارة وارث.

وهل يمكن أن يقول أحد: أنا مسلم، لي ما للمسلمين، وعليّ ما عليهم، وهو يقف أمام نصوص قرآنية واضحة وصريحة في مدح سيد الشهداء كآية التطهير وآية المودّة وآية المباهلة وآية الإطعام وما شاكل ذلك من الآيات التي اتفق الفريقان على نزولها به عليه السلام؟!

هل يمكن أن تصل الجرأة بأحدٍ من الناس حتى يخاطب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الشكل من الخطاب، وهو الذي قال له رسول الله:

«**إمام قام أو قعد**»؟![1].

من هنا نجد أنّ ردّة فعل الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي كانت شديدةً تجاه ذلك الإنسان، حتى خاطبه يقول: (زعمتَ أنّها لا تُقبل من آل الرسول وتقبل منك يا حمار).

وكأنّه يريد أن يقول له: لقد أعمى الله بصرك وأصمَّ سمعك وأقفل فؤادك عن كلّ هدى وصلاح، حتى ما عدتَ لتميّز بين الأشياء مهما كانت واضحة وجليّة أمامك، حتى أوصلك هذا الضلال والسقوط في وادي المعاصي والذنوب إلى أن تقبل يزيد بن معاوية خليفة وإماماً، معتقداً بصلاته وتقتدي بها، بل وتتّبعه حتى يوصلك في نهاية هذا الطريق إلى جهنّم وساءت مصيراً.

---

(١) هو مضمون حديث للنبي يقول فيه: (**الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا**)، رواه الصفوري في نزهة المجالس: ج٢، ص١٨٤. والصدّيق القنوجي في شرح صحيح مسلم في باب المناقب وآخرون.

وفي الوقت نفسه تنكّرتَ بأشد الوسائل قمعيةً ووحشية إمامةَ الحسين عليه السلام وخلافته عليك! وهو الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حسين منّي وأنا من حسين»[١]، و**«أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً»**[٢]، و**«حسين سبطٌ من الأسباط»**[٣].

ومن ثم تنكر حتى صلاة الحسين عليه السلام وعبادته، فتقولها وبضرس قاطع غير آبه بها ولا خائف منها: (إنّ صلاة الحسين عليه السلام لا تقبل)! يا لها من جرأة عظيمة تكاد السموات يتفطرنَ منها وتتدكدك على الأرض وتخرّ الجبال هدّاً !

فيا ترى، إذا لم تُقبل صلاة الحسين عليه السلام، فأيّ صلاة سوف تُقبل وتُرفع بعده عليه السلام ؟

شتّان بين موقفك وموقف الحر بن يزيد الرياحي، ذاك الذي بُعث للجعجعة بالحسين وبمَن معه، وإذا به من حيث يشعر أو لا يشعر ينجذب إلى صلاة الحسين عليه السلام فيقف خلفه يصلّي جماعة ومعه جنده، وما ذاك إلاّ لأنّه عرف قدر صلاة الحسين عليه السلام وقيمتها، وعرف أنّ عروج صلاة الحسين عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى سوف يترك أثراً إيجابياً في عروج صلاة مَن يصلّي خلفه.

بل إنّك - والحديث ما زال في لسان حال الشهيد الكربلائي - لم تصل حتى إلى تلك الدرجة التي وصل إليها كبار المجرمين في كربلاء، أمثال خولى

---

(١) مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢، ح١٤.

(٢) السلسلة الصحيحة: رقم ١٢٢٧.

(٣) صحيح الترمذي: رقم ٢٩٧٠.

ابن يزيد الأصبحي، هذا الذي اشترك في قتل الحسين عليه السلام وحمل رأسه، ولكنّه في نفس الوقت كان يعرف قدر الحسين ومنزلته، بل ومنزلة أمّه وأبيه، حيث يقول:

امْلأْ رِكابِي فِضّةً أو ذَهَبَاً ... إنّي قَتَلْتُ السيّدَ المُحَجّبا

قَتَلْتُ خيرَ النَّاسِ أُمّاً وَأَبَاً(١)

وبتقديري لقد كشف الحسين عليه السلام بصلاته وصلاة أصحابه زيفَ مَن يدّعي الإسلام كذباً وزوراً ممّن وقف أمامه، حيث فضح هويتهم اللادينية وبيّن إلحادهم وكفرهم، لاسيّما بعد أن صاروا يرمونهم بالسهام والنبال وهم واقفون للصلاة بين يدي الله سبحانه وتعالى، حتى سقط جماعة من أصحاب الحسين عليه السلام بين شهيد وجريح.

فبانت بذلك طبيعة المعسكرين اللذَين وقفا يوم العاشر من المحرم، فمعسكر الحسين يقاتل من أجل الدين، والمعسكر الآخر يقاتل الدين متمثلاً بتلك الصفوة من الأمّة ويحارب شعيرة الإسلام الأولى.

من هنا نفهم سبب موقف الشهيد الصارم والحازم مع هذا الضال المنحرف، حيث لم يكتف بالرد القولي، بل رأى أنّ أمثال هؤلاء يجب أن يُقتلوا حتى لا تلوّث الحياة بلوثهم؛ لهذا (خرج إليه حبيب بن مُظهِّر وضرب وجه فرس الحصين بالسيف، فشبّ به الفرس ووقع عنه، فحمله أصحابه واستُنقذ)(٢).

---

(١) معالم المدرستين: ج٣، ص٣١٧.

(٢) معالي السبطين: ج١، ص٣٧٢.

إشكال وردّه:

وقد يستشكل بعضهم وهو يقرأ قول حبيب لهذا الرجل: (حمار)، فيقول: هل يناسب مثلاً مقام حبيب أن يتلفّظ بهذا الكلام؟ لاسيما وقد وردت في بعض الروايات بدل كلمة (حمار) (خمار)[1]، فيكون الأمر أكثر استغراباً واستنكاراً وعدم ملاءمة مع شخصيته (رض)؟ أفلا يكون ذلك داخلاً في باب السباب وقد ورد أنّ «سباب المؤمن فسوق» [2]؟

أمّا بالنسبة إلى الاعتراض القائل بأنّ هذه الكلمة لا تتناسب مع مقام حبيب، فنقول: إنّ القرآن الكريم قد تلفّظ بها وبغيرها قبل ذلك في مواضع متعدّدة، منها على نحو المثال لا الحصر حديثُهُ عن أهل الكتاب، وهم الجماعة الذين أُعطُوا العلم والمعرفة ولكنّهم لم يعملوا بها ولم يستفيدوا منها، يقول القرآن الكريم:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

وكذلك في معرض حديثه عن ذلك الذي آتاه الله الكتاب والحكمة ولكنّه

(١) كما وردت هذه اللفظة في جملة من الكتب، منها: أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٦. لواعج الأشجان: ص١٥٦.

(٢) سنن الترمذي: حديث ٢٦٣٤، باب ما جاء سباب المؤمن فسوق.

(٣) الجمعة: ٥.

لم يهتدِ بهما، حيث يقول:

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[١].

وأُطلق لفظ الأنعام على كلّ مَن لم يستفد من الأجهزة العظيمة التي زوّده الله بها، وهي السمع والبصر والفؤاد، يقول القرآن:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٢].

ويبدو أنّ مثل هذا الأمر كان جارياً في لغة العرب ومستعملاً عندهم بشكل واسع، حيث كانوا يشبِّهون بعضهم ببعض الحيوانات لوجود صفات مشتركة من جانب، ومن جانب آخر لِمَا للبيئة التي يعيشونها من أثر كبير عليهم، لاسيّما فيما يرتبط بالحيوان ودوره الكبير في حياتهم، وللمثال أذكر هنا شاهدين على ما ذكرناه:

١ ـ قال طرفة العبد:

كُلُّ خَلِيْلٍ كُنْتُ خَالَلْتُهُ ... لاَ تَـرَكَ اللهُ لَهُ وَاضِحَةَ

كُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَةِ[٣]

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) مجمع الأمثال للميداني: ج٢، ص٢٧٥، رقم ٣٨٣١، وقد تمثّل به الإمام الحسن المجتبى في بعض ←

٢ ـ وقال مروان بن محمد:

يَمْشِي رُوَيْداً يُرِيْدُ خَتْلَكُمْ كَمَشْيِ خِنْزِيْرَةٍ إِلَى عَذْرَه[1]

هذا كلّه على رواية (حمار)، وأمّا على رواية (خمّار) كما وردت في بعض المصادر، فنقول: إنّ هذا محمول على أنّ الطرف المقابل كان فاسقاً فاجراً معلناً بالفسق والفجور، ومن ثم جاز نعتُه بمثل هذه الصفة التي كانت فيه، وكيف لا يكون شارباً للخمر ومعلناً به وهو يرى إمامه يزيد شارب الخمر ومُعلِن الفسق والفجور كما قال الحسين عليه السلام، ومَن كانت هذه صفته فلابدّ من فضحه وتسليط الأضواء عليه، خصوصاً وأنّ الشهيد الكربلائي كان أعرف به حيث كان يعيش معه بالكوفة.

يقول الشيخ المفيد في كتاب المقنعة: (وقول القائل للمعلّم: أنت خسيس أو وضيع أو رفيع أو نذل أو ساقط أو نجس أو رجس أو كلب أو خنزير أو مسخ وما أشبه ذلك، يوجب التعزير والتأديب وليس فيه حدّ محدود، فإن كان المقول له ذلك مستحقاً للاستخفاف لضلاله عن الحق لم يجب على القائل له تأديبٌ، وكان باستخفافه به مأجوراً، ومَن قال لغيره: يا فاسق، وهو على ظاهر الإسلام فقد صدق عليه وأُجر في الاستخفاف به)[2].

→

كلامه للناس.

(١) الحيوان للجاحظ: ج٤، ص٦٣.

(٢) المقنعة للشيخ المفيد: ص٧٩٦.

٦ ـ الموقف السادس: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة

يقول الطبري وهو يتحدّث عن شهادة مسلم بن عوسجة (رض): (إنّ الحسين عليه السلام مشى لمصرع مسلم بن عوسجة ومعه حبيب بن مظاهر الأسدي، فدنا منه حبيب فقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة، فقال مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بجميع ما أهمّك، حتى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، قال: بل أوصيك بهذا الغريب رحمك الله، وأهوى بيده إلى الحسين عليه السلام أن تموت دونه، قال: أفعل وربِّ الكعبة، فما أسرع من أن مات في أيديهم)[١].

يَحار المرء، كيف له أن يعبّر عن مثل هذا الموقف المشرّف العظيم؟!

وكيف يمكن أن تعبّر الألفاظ وتستوعب مهما بلغت في سباكتها ودقّة حروفها وأدب كاتبها مثل هذه المعاني الكبيرة؟

ولكنّه الحبّ في الله الذي تجسّد في شخص الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرّم حتى وصل إلى درجة العشق والوَلَه، ومثل هذا الحبّ إذا حلّ في قلب إنسان فإنّه يصنع المعجزات، ويصل إلى درجة يكون فيه منطق المحب مختلفاً عن منطق الآخرين، فضلاً عن الأفعال التي قد تكون في نظر غيرهم أشبه بالأساطير منها إلى الحقيقة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٤٩.

مسلم بن عوسجة وحبيب بن مُظهِّر

لقد عاش كل من الشهيدين حبيب بن مُظهِّر الأسدي ومسلم بن عوسجة (رض) الحبّ في الله في أعلى صوره وأشكاله، فقد التقيا عليه منذ نعومة أظفارهما وهما ما زالا شابين في زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعاشاه في كلّ مرحلة من مراحل حياتهما، مُجسَّداً في كلّ صغيرة وكبيرة بينهما، فقد جاهدا الكفار والمنافقين معاً، وحملا مشعل الإسلام إلى الناس معاً، كما وقفا أمام الظالمين واستهتار المتجبّرين لاسيّما الطلقاء وأبناء الطلقاء الذين تسلّطوا على رقاب هذه الأمّة فنهضا لردعهم والوقوف أمامهم إلى جانب الإمام أمير المؤمنين ثمّ الحسن ثم كانت الوقفة الكربلائية التي قلّ نظيرها مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والملفت في وقفة الحسين أنّهما وقفا معه حيَّين وأوصيا به ميِّتَين، وهذه لعمرك تمثّل أعلى درجات الحبّ والولاء، بل وأرقى درجات الأخوّة، حيث يدّخر مسلم بن عوسجة (رض) هذه الوصية لأخيه الذي عاش معه طويلاً حبيب ابن مُظهِّر الأسدي (رض) دون سواه، وهذا درس كبير علينا أن نَعِيَه ونفهمه ونستلّه من حياة هذا الشهيد الكربلائي.

درس كبير الأخوّة والمحبّة في الله

ورد في الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قوله:

«سبعةٌ يظلّهم الله تحت ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه... ورجلان تحابّا في الله وتفرّقا عليه... » [1].

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري: ص٥٧، باب ما جاء في الحب في الله.

وإنّما يظلّهم الله عزّ وجلّ في ذلك اليوم الذي يحتاج المرء فيه إلى الظلال؛ لشدّة الحر ولعظمة الخوف، حيث يقول القرآن الكريم:

﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾(١).

لقربهم من الله أوّلاً، وجليل ما قدّموه من أعمال ثانياً.

وواحدة من هذه الجماعات السبعة المظلّلة وهي: «رجلان تحابّا في الله وتفرّقا عليه»، حيث لم تكن الصداقة والأخوّة بينهما قائمة على أساس المصالح المادّية التي سرعان ما تذهب ويحلّ محلّها البوار والحقد الدفين، وتنشأ على أساسها ألوان من المشاكل الاجتماعية وغيرها، بل كانت الأخوة والصداقة بين هذين الأخوين - اللّذين تحابّا في الله عزّ وجل - أخوّة من نوع آخر، أخوّة تمثّل في واقعها أعلى درجات النعم التي يقدّمها الله على عباده، وما ذاك إلاّ لأنّها قرينة الإيمان والحب في الله.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الأخوّة إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٢).

وكان الله عزّ وجلّ يريد أن يقول إنّ القيمة الكبرى عندي هي الأخوّة الإيمانية المنطلقة على أساس الدين والعقيدة، وإذا كان الأمر كذلك فلا أخوّة بلا إيمان ولا إيمان بلا أخوّة.

ولأهمية هذه الأخوّة القائمة على أساس الإيمان حاول الإسلام تجسيدها

---

(١) طه: ١٠٢.

(٢) الحجرات: ١٠.

عملياً بين المسلمين بعد الهجرة النبوية المباركة المدنية مباشرة، حيث آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار.

يقول ابن هشام في سيرته: (قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يُقَل: «تآخوا في الله أخوين أخوين»، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي، فكان رسول الله سيّد المرسلين... وعلي بن أبي طالب أخوين)[1].

وهنا لابدّ من الإشارة أنّ هذه الأخوّة هي التي أرادها الإسلام أن تتحرك في حياة كلّ من هذين الأخوين اللّذين تآخا في الله وتُحفظ حقوقها فيما بينهما في كلّ صغيرة وكبيرة متعرّضان إليها، فإنّ حقوق الأخوّة لرسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تُحفظ وتُؤدّى إلاّ من خلال أخوّة علي بن أبي طالب، وهذه واحدة من جملة فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام والتي ملأت الخافقين.

شهادة حبيب بن مُظهِّر الأسدي

ينقل الشيخ الطوسي: (ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي فقال له يزيد بن خضير الهمداني وكان يُقال له سيّد القراء: يا أخي، ليس هذه بساعة ضحك، قال: فأيّ موضع أحق من هذا السرور؟ والله، ما هو إلاّ أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين)[2].

لا أخالك وأنت تقرأ معي كما قرأت هذا النص الشريف عن كربلاء البطولة

---

(١) سيرة ابن هشام: ج٢، ص١٢٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ج١، ص٢٩٣.

والتضحية والفداء إلاّ أن تترك لفكرك كما تركتُ لفكري العنان في أن يجمع لك صوراً من اليقين والاطمئنان بوعد الله عزّ وجلّ بالشكل الذي لا يستطيع حتى القلم أن يترجمه بكلمات وألفاظ مهما كانت متميّزة في أدبها وبلاغتها.

فإنّ الخوف من الموت والقلق من حلول الأجل أمر محسوس ومشاهد عند الناس؛ لأنّ الناس يميلون إلى الحياة والبقاء ويفرّون من الموت والفناء، ولكن مثل هذه المعادلة قد تغيّرت في كربلاء، حيث تحوّل الخوف إلى فرح وسرور والقلق إلى بهجة واستبشار بوعد الله عزّ وجلّ، وما أعدّه لأوليائه وأهل طاعته حينما يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [1].

ولقد كان الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي يتمنّى أن يأتي هذا اليوم الذي ينال فيه مِثْل هذا الوسام الحسيني، من خلال الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام؛ ليحظى بعزّ الدنيا وكرامة الآخرة.

شهادة حبيب بعد صلاة الظهر

وشاءت إرادة الله عزّ وجلّ أن يُستقبل هذا الشهيد مضرّجاً بدمائه بعد صلاة الظهر يوم العاشر من المحرم، يقول المازندراني في معالم السبطين: (حين استأذن الحسين أهلَ الكوفة لصلاة الظهر وطلب منهم المهلة لأداء الصلاة، قال له الحصين بن نمير[2]: صلّ، لا تقبل منك، فقال له حبيب: إنّها لا تُقبل زعمت الصلاة من آل

(١) فصلت: ٣.

(٢) قد مرّ عليك سابقاً أنّه الحصين بن تميم، فتأمّل.

الرسول! وتُقبل منك يا حمار. فحمل الحصين عليهم فخرج إليه حبيب وضرب حبيب وجهَ فرس الحصين بالسيف فشبّ به الفرس، ووقع عنه فحمله أصحابه)[1].

هنا لم يستطع الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي صبراً، حيث طفح به الكيل وهو يرى أمامه هؤلاء الطغاة وما يصنعونه بعترة المصطفى صلى الله عليه وآله وبثقله الذي خلّفه فيما بينهم، يقول أبو مخنف: (سلّم حبيب على الحسين عليه السلام وودّعه وقال: والله يا مولاي، إنّي لأرجو أن أتمّم صلاتي في الجنّة وأقرأ أباك وجدّك وأخاك عنك السلام)[2].

وبعد أن ودّع الحسين نزل إلى ساحة المعركة وجعل يحمل عليهم يميناً وشمالاً وهو يقول:

أُقْسِمُ لَوْ كُنَّا لَكُمْ أَعْدَادَا　　　أَوْ شَطْرَكُمْ وَلَّيْتُمُ الأَكْتَادَا

يَا شَرَّ قَوْمٍ حَسَبَاً وَأَدَّا

ثمّ جعل يحمل عليهم ويقول في رجزه:

أَنَا حَبِيْبٌ وَأَبِي مُظهَّرِ　　　فَارِسُ هَيْجَاءٍ وَحَرْبٍ تَسْعَرُ

أَنْتُمْ أَعَدُّ عُدَّةً وَأَكْثَرُ　　　وَنَحْنُ أَوْفَى مِنْكُمُ وَأَصْبَرُ

وَأَنْتُمْ عِنْدَ الوَفَاءِ أَغْدَرُ　　　وَنَحْنُ أَعْلَى حُجَّةً وَأَظْهَرُ

حَقّاً وَأَتْقَى مِنْكُمُ وَأَعْذَرُ[3]

---

(١) معالم السبطين: ج١، ص٣٧٢.

(٢) معالم السبطين: ج١، ص٣٧٣.

(٣) معالم السبطين: ج١، ص٣٧٣.

ولقد قُلتُها سابقاً وأقولها هنا وأكرّرها كلّما سنحت الفرصة: إنّ أشعار وأراجيز شهداء كربلاء تحتاج - بحق - إلى كتاب مستقل يؤلّف حولها؛ وذلك لعظمة المفاهيم التي حوتْها، فها هو الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي يشير إلى ما أشار إليه القرآن الكريم إلى قلّة أعداد المسلمين أمام كثرة أعدائها في أيام المواجهة:

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ * الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(١)].

وكأنّه يريد أن يقول: إنّ شعار المؤمنين في حروبهم وشأنهم دائماً في صراعاتهم مع أعدائهم، أنّهم ما كانوا ينتصرون بعدّتهم ولا بعتادهم فحسب، فهي مقدمات، وإنّما كان النصر يتنزّل عليهم مع قلّتهم وكثرة أعدائهم؛ لأجل إيمانهم بالله أوّلاً، ولصبرهم أمام عدوهم ثانياً، وهذا هو عين ما أراد الشهيد حبيب أن يقوله: (أنتم أعدّ عدّة وأكثر، ونحن أوفى منكم وأصبرُ).

فضلاً عن الأبيات الأخرى التي أراد أن يشير من خلالها إلى غدرهم بالحسين عليه السلام بعد مبايعتهم له، وذلك حينما جاء وقت الإيفاء بها (وأنتم عند الوفاء أغدرُ، ونحن أعلى حجّة وأظهرُ).

---

(١) سورة الأنفال: ص٦٥ - ٦٦.

ولا شكّ أنّهم أعلى مجداً وأعظم برهاناً وأبين طريقاً وسبيلاً حينما ثبتوا على بيعتهم ووفوا لإمامهم وحفظوا عترة نبيّهم وأطاعوا الله في وُلاة أمرهم، حقاً إنّهم سيكونون بذلك أتقى عند الله وأعذر (حقاً وأتقى منكم وأعذر).

يقول المازندراني: (ثمّ برز يقاتل اثنين وستّين فارساً، فحمل عليه رجل من بني تميم - يُقال له بديل بن حريم من بني عقفان - فضربه بالسيف على رأسه، وحمل عليه آخر من بني تميم وطعنه برمحه فوقع، وذهب ليقوم فضربه الحصين ابن نمير على رأسه بالسيف فسقط، فنزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه، فقال له: أنا شريكك في قتله، فقال التميمي: والله، ما قتله غيري، فقال الحصين: اعطنيه أعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنّي شريكك في قتْله، ثمّ خذه أنت فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تُعطاه على قتلك إيّاه، فأبى عليه، فأصلح قومهما فيما بينهما على ذلك فدفع إليه رأس حبيب فعلّقه بعنق فرسه، فجال به في العسكر، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه فأخذه التميمي فعلّقه في لبان فرسه، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد وجال به في الكوفة)[(١)].

قصة الرأس الشريف

إذا كان للبطولة عنوان وللشجاعة شأن ولسان لقالت إنّ ما صنعه أهل الكوفة مع رأس الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي - على كبره وشيبته وجلالة قدره من قطع الرأس الشريف والتنازع في قتله كما تقدّم - ليشير وبشكل واضح إلى مدى الشجاعة العالية والبطولة العظيمة والبسالة الملفتة للنظر التي تمتّع بها هذا

(١) معالم السبطين: ج١، ص٣٧٣.

الشهيد (رض)، ولله در الشاعر حيث يقول فيه:

آسَـــادُ مَلْحَمَـــةٍ وَسَـــمُّ أَسَـــاوِدٍ وَشُـــوَاظُ بَـــرْقِ صَـــوَارِمٍ وَلَهِيْـــبُ

الـرَّاكِبِيْنَ الهَـوْلَ لَـمْ يَنْكُـبْ بِهِـمْ وَهْـــنٌ وَلاَ سَـــأَمٌ وَلاَ تَنْكِيْـــبُ

أَبْكِـيْكُمُ وَلَكُـمْ بِقَلْبِـي قُرْحَـةٌ أَبَـداً وَجُـرْحٌ فِـي الفُـؤَادِ رَغِيْـبُ[1]

تقول الرواية:

(فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر[2] رأس حبيب فعلّقه في لبان فرسه، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب وهو يومئذٍ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، كلّما دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه فارتاب به، فقال مالك: يا بني، تتبعني، قال: لا شيء، قال: بلى يا بني، أخبرني؟ قال له: إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي، أفتعطينيه حتى أدفنه؟ قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قَتْله ثواباً حسناً، قال له الغلام: لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلاّ أسوأ الثواب، أَمَا والله، لقد قتلتَه خيراً منك، وبكى)[3].

وشاءت إرادة الله أن يؤخذ ثأر هذا الشهيد على يد ولده القاسم، كما شاءت إرادة الله أن يؤخذ ثأر الحسين عليه السلام على يد ولده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) أدب الطف: ج٨، ص١٦٧، والأبيات من قصيدة كبيرة للسيد إبراهيم ابن السيد حسين بحر العلوم في رثاء الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدي (رض).

(٢) المراد به غير الحصين بن تميم.

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٤٦.

الولد يطلب ثأر أبيه

وبقيت لوعة الألم التي أشعلها قاتل الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي تغلي في نفس ولده القاسم، لا تهدأ له عبرة ولا تسكن له زفرة حتى هيّأ الله عزّ وجلّ له أسباب الأخذ بثأر والده (رض)، وتمضي الأيام ثقيلةً على ولد الشهيد الكربلائي، حتى إذا جاء زمن مصعب بن الزبير وحربه مع عبد الملك بن مروان، وإذا بابن الزبير يستعين لقتال عبد الملك بجملة من مجرمي واقعة الطف وقتلة أهل البيت وأنصارهم، فكان من جملة من التحق منهم قاتل حبيب بن مُظهِّر الأسدي (رض).

يقول أبو مخنف في مقتله: (فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همّة إلاّ اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلمّا كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا[(١)]، دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل في طلبه والتماس غُرّته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار، فضربه بسيفه حتى برد)[(٢)].

---

(١) باجُمَيرى – بضمّ الجيم وفتح الميم وياء ساكنة وراء مقصورة –: موضع دون تكريت، ذكر الأخباريون أنّ عبد الملك بن مروان كان إذا هَمّ بقصد مصعب بن الزبير بالعراق يخرج في كلّ سنة إلى بطنان حبيب، وهي أدنى من قنسرين إلى الجزيرة، فيعسكر بها ويخرج مصعب بن الزبير إلى مسكن فيعسكر بباجميرى من أرض الموصل، كلّ واحد منهما يرى صاحبه أنّه يقصده، ولا يتم لكلّ واحد منهما قصده، فإذا جاء الشتاء وارتجّ الثلج انصرف عبد الملك إلى دمشق ومصعب إلى الكوفة، فكان يقول عبد الملك إنّ مصعباً قد أبى إلاّ جميراته والله موقدهن عليه. معجم البلدان للحموي: ج١، ص٢١٩.

(٢) مقتل أبي مخنف: ص١٤٦ ـ ١٤٧.

الحسين عليه السلام يؤبّن حبيباً

ذكر كلّ مَن تحدّث عن شهادة حبيب بن مُظهِّر، أنّه حينما قُتل هدّ ذلك حسيناً، وقال: «عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي، لله دَرّك يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً، تختم القرآن في ليلة واحدة»[١].

يقول الشيخ محمد السماوي أبياتاً في حال الحسين بعد مقتل حبيب، منها:

إنْ يهدِّ الحسينَ قَتْلُ حبيبٍ فَلَقَدْ هَدَّ قَتْلُهُ كُلَّ رُكْنِ
بَطَلٌ قَدْ لَقَى جِبَالَ الأَعَادِي مِنْ حَدِيْدٍ فَرَدَّهَا كَالعِهْنِ
لاَ يُبَالِي بِالجَمْعِ حَيْثُ تَوَخَّى فَهُوَ يَنْصَبُّ كَانْصِبَابِ المُزْنِ
أَخَذَ الثَّأرَ قَبْلَ أنْ يَقْتُلُوهُ سَلَفاً مِنْ مَنِيَّةٍ دُوْنَ مَنِّ
قَتَلُوا مِنْهُ للحسينِ حَبِيْبَاً جَامِعَاً فِي فِعَالِهِ كُلَّ حُسْنِ[٢]

يقول المازندراني في معالم السبطين: (أقول: لمّا قُتل حبيب بانَ الانكسار في وجْه الحسين عليه السلام وسرّه واضح؛ لأنّ اطمينان قلب السلطان وقلوب العسكر بحامل اللواء، فإذا سقط اللواء يتزلزل قلب السلطان والعسكر، وكان زهير حامل لواء الميمنة، وحبيب حامل لواء الميسرة، والعبّاس حامل لواء القلب، ولهذا لمّا قُتل حبيب بانَ الانكسار في وجه الحسين، وكذلك لمّا قُتل العبّاس)[٣].

(١) مقتل أبي مخنف: ص١٤٧. منتهى الآمال: ج١، ص٢٦٣.

(٢) إبصار العين: ص٦٠ – ٦١.

(٣) معالم السبطين: ج١، ص٣٧٥.

مدفن الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي

يبدو من خلال البحث والمطالعة في كتب المصادر التي تحدّثت عن دفن شهداء كربلاء لاسيّما الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي، أنّ هناك رأيين:

الرأي الأول

يذهب أصحاب هذا الرأي أنّ الذي تولّى عملية الدفن للشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي وسائر الشهداء من أصحاب الحسين عليه السلام، بل وحتى الحسين نفسه، إنّما هم جماعة من بني أسد من سكنة منطقة الغاضريات، ويبدو أنّها نفس تلك الجماعة التي طلب منها الشهيد حبيب بن مُظهِّر النصرة للحسين عليه السلام، فلبّت نداءه واستجابت لمطلبه، ولكنّها سرعان ما رجعت بعد أن واجهت قوّة كبيرة من جيش ابن زياد، لا قدرة لهم على الصمود أمامها، فقرّروا بَعدها أن يرحلوا عن أماكنهم لاسيّما في تلك المرحلة؛ حفاظاً على أنفسهم من بطش ابن زياد ورجاله.

(وبعد العاشر من المحرّم رجعوا إلى أماكنهم، فرأت نساؤهم أجساداً مجرّدة وشباباً مرمّلة وخدوداً معفّرة، تصهرهم الشمسُ وتسفي عليهم الرياح، زوّارهم العقبان والرخم، فلم يتمالكنَ النسوة أنفسهنّ لروعته، بل ولّين الأدبار متقهقرات وقد أخذ منهنّ التأثّر كلّ مأخذ، فأخذنَ في تقريع الرجال من غير وعي ولا رشد، بأشد لهجةٍ وأقسى عتاب؛ لتوانيهم وقعودهم عن مواراة تلك الجثث والأشلاء الطاهرة.

ففعل حديثهنّ فعلَ السحر في نفوس الرجال، وأثار الحفائظ وألهب الشيم، فنهضوا نهضةَ الرجل الواحد إجابةً للدعوة الصاخبة على سبيل التضحية والانتحار،

مستبسلين غير هيّابين ولا وجلين من سلطان بني أمية وشديد بطشها، فتسربلوا بسواد الليل لئلاّ يفتضح أمرهم، باذلين قُصارى جهدهم في إنجاز مهمّتهم باختصار وسرعة متناهية، من غير غسل ولا كفن)[١].

وهناك رواية أخرى يذكرها المازندراني نقلاً عن السيد نعمة الله الجزائري، فيها إشارة إلى نفس مضمون الرواية المتقدّمة، يقول فيها:

(وكان إلى جنب العلقمي حيٌّ من بني أسد، فتمشّت نساء ذلك الحيّ إلى المعركة فرأت جثث أولاد الرسول وأفلاذ حشاشة الزهراء البتول وأولاد عليّ فحل الفحول، وجثث أنصارهم في تلك الأصحار وهاتيك القفار، تشخب الدماء من جراحاتهم كأنّهم قتلوا في تلك الساعة، فتداخل النساء من ذلك تمام العجب، فابتدرنَ إلى حيِّهنّ وقلنَ لأزواجهن ما شاهدنَ، ثمّ قلن لهم:

بماذا تعتذرون من رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء إذا وردتم عليهم... فقوموا الآن إلى أجسادهم فواروها، فإنّ اللعين ابن اللعين ابن سعد قد وارى أجساد مَن أراد مواراته من قومه، فبادروا إلى أجساد آل الله وادفعوا عنكم بذلك العار... فأتوا على المعركة وصارت همّتهم... إلخ الرواية)[٢].

أمّا لماذا دفن بنو أسد الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي منفرداً عن بقية الشهداء الآخرين؟ فهذا ما لا نجد له دليلاً واضحاً يمكن الاعتماد عليه، ولكن يمكن أن يوجّه من خلال نقطتين:

---

(١) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء للسيد عبد الحسين آل طعمة: ص٥٦ - ٥٧.

(٢) معالي السبطين: ج٢، ص٦٢.

الأولى: أنّهم إنّما دفنوه منفرداً اعتناءً منهم فيه؛ لأنّه أسديّ، بل ومن شخصيات بني أسد.

الثانية: أنّهم دفنوا أصحاب الحسين عليه السلام حول قبره الشريف متفرّقين، حيث جعلوا لكلّ واحدٍ منهم قبراً منفرداً، فاشتهر من بينهم قبر حبيب؛ لكثرة زائريه من قِبل بني أسد والمعتنين به من قِبلهم دون بقيّة القبور الأخرى، وربّما يستطيع الإنسان أن يوجّه مثل هذا الرأي من خلال كلمات الشيخ المفيد (رض)، والتي ذكرها في كتابه الإرشاد حول قبور الشهداء في كربلاء، حيث يقول: (ولسنا نحصّل لهم أجداثاً على التحقيق والتفصيل، إلاّ أنا لا نشكّ أن الحائر محيط بهم رضي الله عنهم وأرضاهم)[1].

فإذا علمنا أنّ الحائر الحسيني يشمل مساحة قطرها ٩١٥ / ٢٢م٢ كما هو المشهور عند العلماء، فيكون الحائر الحسيني ممتدّاً إلى مسافة ٥ / ١١م من الجهات الأربعة لقبر الحسين عليه السلام،

وقد ورد مثل هذا التقدير في أكثر من رواية للإمام الصادق عليه السلام: (عن إسحاق بن عمّار قال: سمعته يقول:

لموضع قبر الحسين حرمة معلومة، مَن عرفها واستجار بها أُجير.

قلتُ: صف لي موضعها. قال:

امسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدّامه، وخمسة وعشرين ذراعاً عند رأسه، وخمسة وعشرين ذراعاً من

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١٢٦.

ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه)[١].

وكل ذراع بما يعادل تقريباً ٤٥سم، فإذا علمنا بكلّ ذلك أمكن لنا تصوّر أنّ الشهداء دفنوا في هذه الساحة المقدرة بـ ٥ / ١١م من كلّ جهات قبر الحسينعليه السلام، نعم، اشتهر قبر حبيب لكثرة زائريه وزيادة الاعتناء به كما تقدّم.

الرأي الثاني

ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنّ عملية الدفن تمت إمّا بشكل مباشر من قِبل الإمام زين العابدينعليه السلام، وإمّا بتوجيه منه إلى بني أسد[٢].

وهناك من الروايات الكثير ممّا يُنقل مثل هذا المعنى، فإذا تمّ ذلك فيكون إفراد قبر حبيب بن مُظهِّر الأسدي قد تمّ بتوجيه من قِبل المعصوم، ولكن لماذا؟

هل لأجل كِبر السنّ؟ فهناك مَن هو أكبر منه سنّاً كـ(أنس بن الحرث بن كاهل الأسدي)، أم لأجل العبادة؟ وهناك (برير بن خضير) الذي كان يصلّي الظهر بوضوء الفجر، أم لأجل الاخلاص؟ ونحن نعلم أنّ جميع أصحاب الحسينعليه السلام مخلصون.

على أيّ حال علينا أن نعلم أنّ هناك سبباً وراء مثل هذا الإفراد لقبر حبيب (رض)، حتى وإن لم نعرف علّة ذلك، يقول المازندراني وهو يتحدّث عن دور الإمام زين العابدينعليه السلام في دفن الأجساد الطواهر:

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٨٨.

(٢) راجع: تاريخ دمشق: ج٤١، ص٣٧٢. حلية الأولياء: ج٣، ص١٣٥. مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٧٥. المسعودي في إثبات الوصية: ص١٧٣.

(فأتوا إلى المعركة وصارت همّتهم أوّلاً أن يواروا جثّة الحسين عليه السلام من بين تلك الجثث، ولكنّهم ما كانوا يعرفونه؛ لأنّها بلا رأس وقد غيّرتْها الشموس، فبينما هم كذلك وإذا بفارس مقبل إليهم، حتى إذا قاربهم قال: «ما بالكم»؟ قالوا: اعلم أنّا أتينا لنواري جثّة الحسين عليه السلام وجثث ولده وأنصاره، ولم نعرف جثّة الحسين عليه السلام، قال: فلمّا سمع ذلك حنّ وأنّ وجعل ينادي:

«وا أباه.. وا أبا عبد الله.. ليتَك حاضراً وتراني أسيراً ذليلاً».

ثمّ قال لهم: «أنا أرشدكم إليه»، فنزل عن جواده وجعل يتخطّى القتلى، فوقع بصره على جسد الحسين عليه السلام، فاحتضنه وهو يبكي ويقول:

«أبتاه، بقتلك قُرّت عيون الشامتين، يا أبتاه، بقتلك فرحتْ بنو أمية، يا أبتاه، بعدك طال حزننا، يا أبتاه، بعدك طال كربنا».

ثمّ أنّه مشى قريباً من محلّ جثّته فأهال يسيراً من التراب فبان قبرٌ محفور ولحد مشقوق، فنزّل الجثّة الطاهرة وواراها في ذلك المرقد الشريف كما هو الآن، قال: ثمّ إنّه جعل يقول: هذا فلان، وهذا فلان، والأسديون يوارونهم، فلمّا فرغوا منهم مشى إلى جثّة العباس بن علي، فانحنى عليها وجعل ينتحب...)[(١)].

والرواية طويلة تنتهي بدفن الحرّ (رض) من قِبل الإمام بمساعدة بني أسد، وهناك رواية أخرى أكثر صراحة في هذا المجال ذكرها السيد الجزائري في كيفية دفن الأجساد كذلك:

---

(١) معالم السبطين: ج٢، ص٦٢ – ٦٣.

(وإذا به يقول لنا: أمّا ضريح الحسين فقد علمتم، وأمّا الحفيرة الأولى ففيها أهل بيته والأقرب إليه منهم ولده علي الأكبر، وأمّا الحفيرة الثانية ففيها أصحابه، وأمّا القبر المنفرد ممّا يلي الرأس الشريف فهو حامل راية الحسين عليه السلام حبيب بن مظاهر... »)[1]. ويقول سلمان هادي طعمة وهو يتحدّث عن مرقد حبيب بن مُظهِّر المتميّز دون الآخرين: (وهو أحد شهداء حادثة الطف، نصر الحسين عليه السلام وشهر سيفه أمام الأعداء حتى سقط صريعاً على رمضاء كربلاء، ودُفن في الواجهة الغربية من الرواق الأمامي للروضة الحسينية المطهَّرة، وضريحه مصنوع من الفضّة، وهو أجلّ شأناً من أن يوصف)[2].

وأمّا بقيّة الشهداء فيقول عنهم: (وهم ملحودون في ضريح واحد، وهذا الضريح وضع علامة لمكان قبورهم، وهم في التربة التي فيها قبر الحسين عليه السلام)[3].

مدفن رأس حبيب بن مُظهِّر

إتماماً للفائدة أحببتُ أن أورد ما ذكره العلماء حول رأس الشهيد حبيب بن مُظهِّر ومدفنه، حيث ذكر السيد الأمين في أعيان الشيعة ما نصّه:

(رأيتُ بعد سنة ١٣٢١هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق باب صخرة كُتب عليها ما صورته: هذا مدفن رأس العباس بن علي، ورأس علي بن الحسين عليه السلام الأكبر، ورأس حبيب بن مظاهر.

---

(١) معالم السبطين: ج٢، ص٦٥.

(٢) تراث كربلاء لسلمان هادي طعمة: ص١٠٩.

(٣) تراث كربلاء: ص١١٠.

ثمّ إنّه هُدم بعد ذلك بسنتين هذا المشهد وأعيد بناؤه وأزيلت هذه الصخرة، وبُني ضريح داخل المشهد ونقش عليها أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكنّ الحقيقة أنّه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المتقدّم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر.

وهذا المشهد الظنّ يقوى بصحّة نسبته؛ لأنّ الرؤوس الشريفة بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفّي، لابدّ أن تُدفن في إحدى المقابر، فدفنتْ هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير، وحفظ محلّ دفنها والله أعلم)[1].

وهناك مَن يناقش هذا الرأي، وإنه لا معنى لدفن هذه الرؤوس الثلاثة هنا دون الأخرى، ومن ثم فنحن أمام خيارين، فإمّا أن نقبل بحمل الرؤوس جميعاً، وإمّا أن نقول بدفن الرؤوس جميعاً، وإنّ القول ببعضها دون البعض الآخر لا دليل عليه سوى الظنّ و﴿إنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾[2][3].

لاسيّما وقد ورد في نفس المهموم[4] ورياض الأحزان[5] عن حبيب السير: أنّ يزيد سلّم جميع الرؤوس إلى علي بن الحسين عليه السلام فألحقها بالأبدان الطاهرة في العشرين من صفر ثمّ توجّه إلى المدينة.

(١) أعيان الشيعة: ج٤، ص٢٥٩ قسم أ.

(٢) سورة النجم: آية ٢٨.

(٣) بطل العلقمي: ج٣، ص٣٥٠ – ٣٥١.

(٤) نفس المهموم: ص٢٥٣.

(٥) رياض الأحزان: ص١٥١.

الشهيد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي

الكندي عليه السلام

بنو أسلم الذين ينتمي اليهم الشهيد الكربلائي، من القبائل التي أسلمت مبكّراً، وذلك قبل عام الوفود، التي أخذت القبائل تفد فيه على رسول الله وتعلن إسلامها بين يديه والذي كان بعد فتح مكّة، وذكر المؤرّخون أنّهم أسلموا حتى قبل أن يصل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، حيث انقسموا إلى نصفين، نصف آمن بالإسلام قبل مجيء رسول الله إلى المدينة، والنصف الآخر آمن بالإسلام وأعلنه بعد مجيئه صلى الله عليه وآله، وقال عندها رسول الله كلمته المشهورة: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»[1].

ينقل ابن سعد وغيره أنّ أبا ذرّ الغفاري رضي الله عنه أقبل متنكّراً على مكّة، وذهب إلى رسول الله وأعلن إسلامه والذي كان رسول الله حينها يدعو الناس سرّاً إلى الإسلام، فقال أبو ذر للنبي صلى الله عليه وآله: بم تأمرني؟ فقال: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال أبو ذرّ: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها (الشهادة) بين

(١) الترمذي: ص٣١ ـ ٣٤، صحيح مسلم: ج١ ص ٤٧٠.

ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد ونادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، فقام اليه المشركون فضربوه ضرباً شديداً، وأتى العباس بن عبد المطلب عمّ النبيﷺ فانكب عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنّه من غفار، وأنّه طريق تجارتكم إلى الشام؟!

فثابوا إلى رشدهم وتركوه، ثمّ عاد أبو ذرّ في الغد لمثلها، فضربوه حتى افقدوه وعيه، فاكبّ عليه العباس فأنقذه، ورجع أبو ذرّ إلى قومه بني غفار وجيرانهم بني أسلم فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم نصف قبيلة غفار ونصف جارتها (أسلم) وعندما هاجر النبيﷺ إلى المدينة أقبل عليه أبو ذرّ مع قبيلتي غفار وأسلم ففرح رسول اللهﷺ وقال: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله».

وحسن إسلام القبيلة ووقفت إلى جانب رسول الله، حتى أنّ ابن كثير ينقل في البداية والنهاية عن ابن إسحاق قوله «وكان جميع من شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف، ومن بني أسلم لوحدها أربعمائة شخص».[١] ويوم حنين شاركوا بـ(١٠٠٠) شخص، وقد أخرجت هذه القبيلة الكثير الكثير من المجاهدين والأبطال والموالين، فضلاً عن العلماء والرواة.

فهم على سبيل المثال أبو برزة الأسلمي، الذي عده البرقي والعلاّمة الحلّي من أصفياء أمير المؤمنين، وبريدة الأسلمي الذي قتل بين يدي إمامه أمير المؤمنين في صفّين. ويبدو أنّ بني أسلم في صفّين أبلوا بلاءً حسناً، حتى ورد أنّ أمير المؤمنين قال فيهم بيتين من الشعر أشار من خلالهما إلى شجاعتهم وإخلاصهم،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، باب من شهد فتح مكة.

وخصّ منهم جماعة لعلوّ منزلتهم:

جـــزى الله خـــيراً عـــصبةً أســـلميّةً حِسان الوجـوه صُدِّعوا حـول هاشـمِ

بريـــدُ وعبـــد الله مـــنهم ومنقـــذٌ وعـــروةُ ابنـــا مالـــكٍ في المكـــارمِ[(١)]

وكان منهم شهيدنا الكربلائي زاهر بن الأسود الأسلمي، والذي كان من أوائل من أسلم من قومه ووقف إلى جانب النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه في معاركه الكبرى لا سيما حنين، المعركة التي قلّ فيها من ثبت.

أقوال العلماء فيه

١. يقول السماوي: كان زاهر بن عمرو الكندي بطلاً مجرّباً وشجاعاً مشهوراً، ومحبّاً لأهل البيت معروفاً.[(٢)]

٢. يقول المامقاني: هو زاهر بن عمرو الكندي الأسلمي، من أصحاب الشجرة، وروى عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وشهد الحديبية وخيبر.[(٣)]

٣. يقول شمس الدين: زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي، ذكره الشيخ وابن شهر آشوب في عداد الحملة الاولى.[(٤)]

٤. قال ابن الأثير: زاهر بن الأسود بن حجّاج بن قيس بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفطى الأسلمي، أبو مجزأة، كان

---

(١) كتاب وعتاب للشيخ قيس العطار: ص١١٦ ـ ١١٨.

(٢) إبصار العين: ص١٣٥.

(٣) مستدركات علم رجال الحديث للنمازي: ج٣ ص٤١٦.

(٤) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٨٦ ـ ٨٧.

ممّن بايع تحت الشجرة وسكن الكوفة، قال الواقدي: كان من أصحاب عمر بن الحمق الخزاعي.[(١)]

٥. قال ابن حجر العسقلاني: زاهر بن عمرو بن الأسود بن حجّاج بن قيس الأسدي الكندي، من أصحاب الشجرة، وتحتها بايعوا رسول الله، وسكن الكوفة وشهد الحديبية وخيبر.[(٢)]

ممّا مضى تبيّن لنا أنّ العلماء قد اختلفوا في اسم زاهر وفي اسم أبيه وفي نسبه، ولكنّهم كما رأينا متّفقون على نقاط أساسية ذكروها وهم يتحدثون عن الشهيد الكربلائي، ومن هذه النقاط:

١. أنّه من أصحاب الشجرة.

٢. روى عن النبي صلى الله عليه وآله.

٣. شهد الحديبية وخيبر.

٤. كان من أصحاب عمرو بن الحمق الخزاعي.

٥. سكن الكوفة.

ومن ثم نحن نميل إلى أنّهم جميعاً يتحدّثون عن شخصية واحدة وليس شخصيات متعدّدة، وأمّا أسباب الاختلاف فيمكن أن تعود إلى ما يلي:

١. الاختلاف في مولوية الشهيد في قولهم زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي، فالمولى هنا معناه الصديق والصاحب، كما سيأتينا مفصّلاً الحديث عنه،

(١) أسد الغابة، باب الزاي «زاهر».

(٢) وسيلة الدارين: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

حتى أنّ بعضهم ذكر هذا المعنى بشكل صريح فقال: زاهر صاحب عمرو بن الحمق الخزاعي.[١] ومن هنا ربما نفهم سبب وقوع البعض بخطأ نسبته إلى عمرو، حيث قال: «زاهر بن عمرو»[٢]. وقد أشار إلى ذلك بشكل واضح وصريح الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله في كتابه أنصار الحسين[٣]، ومن ثم يبقى ما ذكره الآخرون وهو زاهر بن الأسود.

٢. الاختلاف في نسبه، حيث نسبه بعضهم إلى كندة، مع أنه لم يكن منهم وإنما كان من موالي كندة، وقد أشار الشيخ شمس الدين رحمه الله إلى ذلك، حيث قال وهو يتحدّث عن زاهر:

«من شخصيّات الكوفة، شيخ كبير السنّ من موالي كندة»[٤].

وكذلك ذكر ذلك السيّد محمد رضا الحسيني في بحثه الرائع حول «التسميات» حيث قال:

«وقد ذكر الفضيل الرسّان اسم زاهر في قبيلة كندة باعتبار مصاحبته لعمرو ابن الحمق الخزاعي الكندي»[٥].

فإذا ثبت أنّه ليس من كندة ولا يقال له الكندي، فلا يبقى إلاّ ما ذكره الأكثرون حيث نسبوه إلى «أسلم».

---

(١) الأعيان: ج٧ ص٤١ ـ ٤٢.

(٢) إبصار العين: ص١٣٥.

(٣) أنصار الحسين: ص٨٦ ـ ٨٧.

(٤) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٨٦ ـ ٨٧.

(٥) مجلة تراثنا العدد ١٥ السنة الرابعة ١٤٠٩هـ

نعم، يبقى عندنا ما ذكره الزنجاني في وسيلة الدارين وهو يتحدّث عن ابن حجر العسقلاني حيث يقول: «زاهر بن عمرو بن الأسود بن حجّاج بن قيس الأسدي الكندي».

وأغلب الظنّ أنّ كلمة الأسدي قد تفرّد بنقلها الزنجاني التي ربما تكون مصحّفة عن الأسلمي، علماً أنّي رجعت إلى المصدر المذكور فلم أجد هذه العبارة، وإنّما وجدت عبارة أخرى تقول: «زاهر بن الأسود بن حجّاج بن قيس الأسلمي»[١]. وربما اعتمد السيّد الزنجاني على نسخة وجد فيها ما ذكر وإلاّ الموجود فعلاً في المكتبات لا ينسبه إلاّ إلى الأسلمي.

يبقى ما ورد منسوباً إلى زيارة الناحية في بحار الأنوار: «السلام على زاهد مولى عمرو بن الحمق الخزاعي»[٢] بينما ورد في نسخة الإقبال: «السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي» ممّا يؤكد على أنّ زاهد مصحّفة من زاهر. وبهذا نكون قد انتهينا إلى أنّ الشهيد الكربلائي اسمه: زاهر بن الأسود الأسلمي، مولى عمرو بن الحمق الخزاعي الكندي.

صحبة الشهيد لعمرو بن الحمق الخزاعي

نقل أكثر المؤرّخين الحديث عن مصاحبة الشهيد الكربلائي لعمرو بن الحمق الخزاعي، حتى صار يُعبّر عنه بالمولى لعمرو بن الحمق الخزاعي، وربما لأجل هذا اشتبه بعضهم فعبّر عنه بأنّه مولى عمرو حقيقة.

---

(١) ابن حجر، الإصابة: ج٢ ح٢٧٧٩.

(٢) أنصار الحسين لشمس الدين: ص٨٦ ـ ٨٧.

مع أنّ المراد من المولى هنا الصاحب والناصر دون معنى المولى الحقيقي، وقد تابع الشهيد صاحب رسول الله في كلّ سكناته وحركاته، فاقتبس منه العلم والورع والزهد والشعور بالمسؤولية أمام ما تواجهه الأمّة من تحدّيات، وإذا أردنا أن نعرف حقيقة هذه الصحبة وآثارها على الشهيد الكربلائي علينا أن نسلّط الضوء على شخصية عمرو بن الحمق الخزاعي لنعرف حقيقة هذا الرجل، والذي عُدّ في نظر العلماء من أولياء الله الخاصين.

عمرو بن الحمق الخزاعي

اتّفق الرواة على أنّ إسلامه كان بمعجزة من رسول الله، وأنّه أرسل سرية وأخبرهم أنّهم سيصادفونه وأوصاهم أن يبلغوه أنّه من أهل الجنّة.

فتأمل في مقام شخص يخبره سيّد المرسلين قبل إسلامه أنّه من أهل الجنّة ينقل الطبراني في المعجم الأوسط(١) قوله:

«عن صخر بن الحكم عن عمّه أنّه سمع عمرو بن الحمق يقول: بعث رسول الله بسرية فقالوا: يا رسول الله، إنك تبعثنا وليس لنا زاد ولا لنا طعام ولا علم لنا بالطريق فقال: إنّكم ستمرّون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلّكم على الطريق، وهو من أهل الجنة.

فلمّا نزل القوم عليّ جعل يشير بعضهم إلى بعض وينظرون اليّ فقلت: ما بكم يشير بعضكم إلى بعض وتنظرون اليّ؟ فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله، فإنّا

---

(١) المعجم الأوسط: ج٤ ص٢٣٩.

نعرف فيك نعت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبروني بما قال لهم، فأطعمتهم وسقيتهم وزوّدتهم وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق.

ثمّ رجعت إلى أهلي فأوصيتهم بإبلي ثمّ خرجت إلى رسول الله فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ فقال: أدعوا إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم رمضان، فقلت: إذا أجبناك لهذا فنحن آمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال: نعم، فأسلمت ورجعت إلى قومي فأخبرتهم بإسلامي، فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثمّ هاجرت إلى رسول الله، وبينما أنا عنده ذات يوم فقال لي: يا عمرو، هل لك أن أريك آية الجنّة يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟ قلت: بلى، قال: هذا وقومه وأشار إلى علي ابن أبي طالب.

وقال لي: يا عمرو، هل لك أن أريك آية النار يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق، قلت: بلى بأبي أنت وأمّي، قال: هذا وقومه آية النار، وأشار إلى رجل، فلمّا وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ففررت من آية النار إلى آية الجنّة.

ويرى بني أميّة قاتلي بعد هذا؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: والله، لو كنت في جوف حجرٍ لاستخرجوني بنو أميّة حتى يقتلوني. حدّثني به حبيبي رسول الله، وأنّ رأسي يحتزّ في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد(١).

(١) وإذا كان الطبراني لم يستطع أن يذكر ذلك الرجل الذي هو آية للنار، فإنّ استقراء الأحداث التاريخية وحده كفيل بالتعريف به. وقال صاحب مجمع الزوائد: إنّ هذه الرواية ضعيفة لوجود عبد الله بن عبد الملك المسعودي وهو ضعيف: مجمع الزوائد: ج٩ ص٤٠٥، وضعفه كما يقول العقيلي ناشئ من كونه شيعياً ؛ انظر الضعفاء الكبير للعقيلي: ج٢ ص٢٧٥، فيما يقول في تاريخ دمشق، ج٤٥ ص٥٠٢: حيث ذكروا بأنّ المراد من الرجل معاوية والادي ليس شيعياً.

وقد ذكر الشيخ المفيد حديثاً لعمرو بن الحمق الخزاعي يدلل على مدى إيمان هذا الرجل وحبّه لعلي بن أبي طالب، حيث يقول في كتاب الاختصاص[(١)]:

«قال عمرو بن الحمق الخزاعي لأمير المؤمنين: والله ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيها ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري، إلاّ لأنّك ابن عمّ رسول الله، وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو الذرّية التي بقيت لرسول الله ﷺ، وأعظم سهماً في الجهاد، وأسبق الناس للإسلام من المهاجرين والأنصار، والله لو كلّفتني نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي، أبداً حتى يأتي عليّ يومي وفي يدي سيفي أوهن به عدوك وأقوّي به وليك ويعلو به الله كعبك ويفلج به حجّتك ما ظننت أنّي أدّيتُ من حقّك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ. فقال أمير المؤمنين:

«**اللهمّ نوّر قلبه باليقين، واهده إلى الصراط المستقيم، ليت في شيعتي مائة مثلك**».

ولا شكّ أنّ هذا الحديث والذي سبقه، ليدلاّن وبشكل واضح وجلي على ما تمتّع به هذا الرجل من الوعي والمعرفة والتوفيق إلى معرفة أئمّته، ولا غرابة في ذلك لمن كان مصاحباً لأمير المؤمنين وملازماً له عليه السلام.

إنّ الشهيد الكربلائي كان موفّقاً كلّ التوفيق باختياره لخليلٍ من مستوى الشهيد العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي، وسيأتينا في آخر بحثنا هذا، كيف استمرّت هذه العلاقة ولم تنتهِ حتى استشهد عمرو، واضطرّ الشهيد الكربلائي إلى الفرار للنجاة بنفسه.

---

(١) الاختصاص: ص١٤.

مع الشهيد الكربلائي في رواياته

لقد عدّ كلّ من كتب عن الشهيد أنّه من جملة الرواة الثقات الذين نقلوا الأحاديث عن رسول الله وعن أهل بيته، وها نحن ننقل بعض ما ذكره لنا التاريخ من رواياته علّنا نوفّق للعمل بها.

الرواية الأولى: قال رسول الله ﷺ في حقه: «إنّ لكل حاضر بادية، وبادية آل محمد زاهر بن حرام الأشجعي وزاهر بن الأسود الأسلمي»[١]. ولهذا الحديث من رسول الله سبب وقصّة يذكرها المؤرّخون، حيث ينقل أنس بن مالك «أنّ رجلاً من أهل البادية اسمه زاهر[٢]، وكان النبي ﷺ يحبّه وكان زاهر رجلاً دميماً، وكان يهدي إلى النبي الهدية من البادية وكان النبي ﷺ يجهّزه إذا أراد أن يخرج من المدينة ويرجع إلى باديته حيث يعيش ويقيم، فقال النبي ﷺ: «إنّ زاهراً باديتنا ونحن حاضروه». وهذا في واقع الأمر خلق كريم من رسول الله ﷺ أولاً، كما أنّه في نفس الوقت يشير إلى خلق الشهيد الكربلائي حيث لا يقدم على رسول الله إلاّ ومعه بضائع البادية يحملها ثانياً، وكم هي جميلة هذه العادة حينما تقدم على أناس من سفر وتقدّم لهم بين يديك هدية ولو لم تكن كبيرة، لتدخل الفرحة في قلوبهم، فهي ترمز إلى الكثير من المعاني الإنسانية الجميلة ولهذا قالوا: الهدية على قدر هاديها لا على قدرها.

---

(١) تاج العروس: ج١٠ ص٢٩١٣.

(٢) يمكن أن يحمل على الشهيد الكربلائي، ويمكن أن يحمل على الآخر، لأنّ كلاً منهما زاهر، وقد وردت الروايات بهما معاً، حيث تارة تعبّر عنه بزاهر الأشجعي وتارة بزاهر الأسلمي.

مزاح رسول الله مع الشهيد الكربلائي

وينقل لنا التاريخ طرفة جميلة صنعها رسول الله مع زاهر في سوق المدينة، حيث يُنقل «أنّ النبيﷺ أتاه يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال الرجل: أرسلني! مَن هذا؟ فالتفت فعرف النبيﷺ فجعل لا يألوما ألصق ظهره بصدر النبيﷺ حين عرفه، وجعل النبيﷺ يقول (ممازحاً): من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله، إذاً والله تجدني كاسداً! [1] فقال النبيﷺ لكنّك عند الله لست بكاسد، وفي رواية ولكنك عند الله غالٍ»[2].

مزاح رسول الله مع أصحابه

هذا هو خلق رسول الله مع أصحابه، فهو لم يكن بالفظ الغليظ، بل كان سمحاً سهلاً بسيطاً مداعباً لهم، ولكنّه كان في نفس الوقت اذا أقبل وقت الصلاة صار كأنّه لا يعرفنا ولا نعرفه. وقد نقل لنا التاريخ صوراً عن مزاح رسول الله لأصحابه ومزاحهم لهﷺ، طبعاً إذا كان المزاح مستجمعاً للضوابط والمعايير الأدبية والعرفية، ولأجل إتمام الفائدة، نذكر بعض النماذج حتى تكون لنا منهجا نسير على أساسه:

أولاً: ينقل الترمذي وأبو داود[3] عن أنس، أنّ رجلاً أتى النبي وقال: يا رسول الله، احملني، فقالﷺ: «انا حاملوك على ولد ناقة، قال: وما أصنع بولد

---

(١) كاسدة: بائرة، وكسد الشيء كساداً فهو كاسد وكسيد. لسان العرب لابن منظور، مادة «كسد».

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح١٧٣٦٩.

(٣) صحيح الترمذي: ح١٩٩١. سنن أبي داود: ح٤٩٩٨.

الناقة؟! فقالﷺ: «وهل تلد الإبلَ إلاّ النوقُ؟».

حيث توهّم أنّ الولد لا يطلق إلاّ على الصغير الذي لا يصلح للركوب، والحال أنّ النبيﷺ أراد الجنس لا السنّ.

ثانياً: وروى النسائي[1] عن كعب بن مرّة قوله: سمعتهﷺ يقول: «إرموا! من بلغ العدوَّ بسهم رفعه الله به درجة» قال ابن النحّام يا رسول الله، وما الدرجة؟ قال: «أما إنّها ليست بعتبة أمّك، ولكن ما بين الدرجتين مائة عام».

ثالثاً: وممّن عُرف بالمزاح من الصحابة نعيمان بن عمرو، وكان لا يدخل المدينة طرفة أو فاكهة إلاّ اشترى منها وأكل بعضها وأهدى الباقي إلى رسول الله، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نعيمان أحضره إلى النبيﷺ وقال: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول النبي: أولم تهده لي؟ فيقول: نعم، ولكن والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله! فيضحك النبي ويأمر بالثمن إلى صاحبه.

ومن النوادر الأخرى لهذا الرجل، «أنّ أعرابياً دخل على النبيﷺ وأناخ ناقته بفنائه، وكانت ناقة فتية سمينة، فقال له بعض الأصحاب: نُعيمان، لو عقرتها فأكلناها، فإنّا قد قرمنا[2] إلى اللحم، فقام نُعيمان وعقر الناقة، فخرج الأعرابي من عند رسول الله وصاح: واعقراه يا محمد! فخرج النبيﷺ وقال: من فعل هذا؟ قالوا: النُعيمان، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت سرب لها (دكّة تكون خارج الغرفة) فوقه جريد فأشار

---

(١) سنن النسائي: ح٣١٤٤.

(٢) قرم إلى اللحم، أي اشتدّت شهوته له.

بعضهم إلى النبي ودلّه على مكانه، فأمر بإخراجه وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذين دلّوك عليّ يا رسول الله هم الذين قرموا إلى اللحم وأمروني بعقر الناقة: فضحك رسول الله وجعل يمسح التراب عن وجهه، ثمّ غرم ثمنها للأعرابي»[١].

مزاح بلا تفريط ولا أفراط

ومن هنا نفهم أنّ علينا أنّ نجعل علاقتنا بالناس علاقة ملؤها الابتسامة، فليس عيباً أن تمازح الناس مزاحاً لا إفراط فيه ولا تفريط، وإنّما العيب أن تكون عبوساً قمطريراً في ليلك ونهارك وسرّك وإعلانك، والشهيد الكربلائي أراد من خلال هذه الرواية وغيرها ان يوصل إلينا رسالة مفادها: كن ليّن الجانب، معاشراً ظريفاً هشّاً بشّاً بسّاماً، مع كياسة، ولا تكن وَعِرَ الطبع مزهوّاً، ذا خشونة وجفاء.

الرواية الثانية: روى ابن أبي شيبة في المصنف[٢] قال: حدّثنا محمد بن بشّار قال: حدّثنا مسعر قال: حدّثنا أبو حصين عن زاهر الأسلمي عن أبيه عن عبد الله كان يقول: «الرؤيا الصالحة الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة».

الرؤيا الصالحة

لابدّ لنا ونحن نقرأ هذه الرواية الشريفة عن الشهيد الكربلائي، من الاعتراف بأنّ موضوع الرؤى والاحلام وما يراه الإنسان في منامه، ما زال إلى يومك هذا محلّ اهتمام الإنسان بشكل كبير، ولا نريد هنا أن ندخل في بحث علمي حول نظريات الأحلام التي يطرحها العلماء، ولكنّنا نحاول أن نأخذ رأي الإسلام فيها،

(١) الإصابة: ج٦ ح٨٧٩٤.

(٢) المصنّف، كتاب الإيمان والرؤيا: ص١١.

من خلال القرآن والسنّة الشريفة رسول الله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، لا سيّما في الرؤيا الصالحة الصادقة، كما ينقلها ويتحدّث عنها الشهيد، من حيث إنّ الرؤيا الصادقة حقيقة ثابتة في القرآن والسنّة.

فقد تحدّث لنا القرآن الكريم عن جملة من الرؤى التي رآها الأنبياء، كما ذكر رؤى لغيرهم، فقد تحدّث عن رؤيا رسول الله:

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾[1].

ورؤيا يوسف عليه السلام:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[2].

ورؤيا السجينين:

﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

وهكذا رؤيا الملك:

﴿ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

تَعْبُرُونَ ﴾[١].

إضافة إلى مجموعة كبيرة من الروايات، كالتي رواها الفريقان عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول:

«الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذي يحدّث به الإنسان نفسه فيراه في منامه»[٢].

ومن ثم فإنّ الرؤيا الصادقة الصالحة التي لا تحتاج إلى تعبير، أو تكون قابلة للتعبير، وهي المُعبّر عنها بالبشرى من الله تعالى، يراها الأنبياء وغير الأنبياء من الصالحين، ولكنّها للأنبياء بمثابة الوحي، فعن ابن عباس:

«إنّ أوّل ما ابتدأ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت كفلق الصبح»[٣].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٤].

قال:

«هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشّر بها في دنياه»[٥].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٨ ص١٩١.

(٣) حلية الأبرار: ج١ ص٦٧ للسيد هاشم البحراني.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦٤.

(٥) الكافي: ج٨ ص٩٠.

حيث يعرف حسنها وصدقها باطمئنان قلبه وسكونه الذي ألقاه الله تعالى إليه[١].

سؤال وجواب

وقبل أن نغادر هذه الرواية إلى رواية أخرى لشهيدنا الكربلائي، أودّ أن أجيب عن سؤال ربّما يسأل عنه الكثير، وهو كيف يمكن للإنسان أن يوفّق لرؤيا صالحة، وهل هناك آداب وسنن حتى تصبح منامات الإنسان ورؤياه صالحة؟ أم أنّ الأمر خارج عنه بالمرّة؟

آداب وسنن التوفيق إلى الرؤيا الصالحة

وفي معرض الجواب نقول: لا شكّ ولا ريب أنّ هناك قسماً من الأحلام خارجة عن إرادة الإنسان، ولكن مع هذا فقد وضعت الشريعة مجموعة من الآداب والسنن نذكر منها:

ألف: أن ينام الإنسان على طهارة، يقول الإمام علي عليه السلام:

«**لا ينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلاّ وهو على طهور**».[٢]

باء: أن يسبّح الإنسان قبل نومه تسبيحة الزهراء، وهو أربع وثلاثون تكبيرة، ثمّ ثلاث وثلاثون تحميدة، ثمّ ثلاث وثلاثون تسبيحة[٣].

---

(١) شرح أصول الكافي: ج١١، ص٤٧٩.

(٢) التحفة السنية للفيض الكاشاني: ص٣١٧.

(٣) مفاتيح الجنان: ص٥٨.

جيم: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويذكر الله قبل نومه بتوجّه. إضافة إلى عوامل أخرى كالوقت، حيث يكون الليل في رؤياه أقوى من النهار في رؤياه، وكلّما قرب الوقت من الفجر كانت الرؤيا أكثر صدقاً وصلاحاً.

«فعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما واحد؟

فقال: صدقت، أمّا الكاذبة المختلفة فإنّ الرجل يراها أوّل ليله في سلطان المردة والفسقة، وإنّما هي شيء يخيّل إلى الرجل، وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها؛ وأمّا الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة، وذلك قبل السحر، فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله إلاّ أن يكون جنباً أو على غير طهور، ولم يذكر الله عزّ وجلّ حقيقة ذكره، فإنّها تختلف وتبطئ على صاحبها، فإن كان قد دخل فراشه وشقّ عليه الخروج للوضوء فليتيمّم بغبار».[(١)]

الرواية الثالثة: روى ابن حجر وغيره[(٢)] عن زاهر بن الأسود الأسلمي قال: «إنّي لأوقد تحت القدر بلحوم الحُمر إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ رسول الله نهاكم عن لحوم الحُمر ».

(١) التحفة السنية: ص٣١٧.

(٢) كتاب المغازي: ح٣٨٣٥.

تحريم لحوم الحُمُر

وقبل أن ندخل في دراسة هذا الحديث الشريف للشهيد الكربلائي، لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الحديث وغيره صدر في غزوة خيبر، وقد اتّفق الفريقان على جواز أكل لحوم الحُمر وإباحته قبل هذه الغزوة، وإنّما صار الكلام والخلاف بعد هذه الغزوة، حيث ذهبت المدرسة الأخرى إلى حرمة تناول لحوم الحُمُر مستندين إلى القرآن الكريم.

حيث أشار في سورة النحل إلى الفوائد المترتّبة على الخيل والبغال والحمير، ولم يذكر منها الأكل، بالإضافة إلى مجموعة من الأحاديث من بينها حديث الشهيد الكربلائي، ولنا على هذا الاستدلال ما يلي:

أ. إنّ القرآن الكريم حينما يتحدّث عن فوائد الخيل والبغال والحمير، وأنّها للركوب والزينة، لا يريد الحصر، وإنّما هو في مورد الحديث عن أهمّ هذه الفوائد التي لها علاقة بحياتهم، وخصوصاً حمل الأثقال في السفر، ولهذا قال تعالى:

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ ﴾[1].

ومن ثم ليس هناك لا من قريب ولا من بعيد على نفي الفوائد الأخرى ومن ثم تبقى الإباحة، وهذا الذي ذكرناه هو عين ما ذكره القرطبي في تفسيره، ولكنّه اقتصر على الخروج بإباحة لحوم الخيل والبغال، وكان ينبغي عليه أن يذكر الحُمر كذلك، لأنّها على نفس شاكلة الخيل والبغال. قال في تفسيره:

(١) سورة النحل، الآية: ٧.

«قلت: الصحيح الذي يدلّ عليه النظر والخبر جواز أكل لحوم الخيل، وأنّ الآية والحديث لا حجّة فيهما لازمة؛ أمّا الآية فلا دليل فيها على تحريم الخيل، إذ لو دلّت عليه لدلّت على تحريم لحوم الحُمُر، والسورة مكيّة وأيّ حاجة كانت إلى تجديد تحريم لحوم الحُمُر عام خيبر، وقد ثبت في الأخبار تحليل الخيل على ما يأتي، وأيضاً لمّا ذكر تعالى الأنعام ذكر الأغلب من منافعها وأهم ما فيها، وهو حمل الأثقال، ولم يذكر الركوب ولا الحرث ولا غير ذلك مصرحاً به، وقد تركب ويحرث بها.

قال تعالى:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [١].

وقال في الخيل:

﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾.

فذكر أيضاً أغلب منافعها والمقصود منها، ولم يذكر حمل الأثقال عليها، وقد تحمل كما هو مشاهد فلذلك لم يذكر الأكل». [٢]

وأمّا الروايات، وخصوصاً تلك التي تتحدّث عن القدور وانقلابها، فقد آمن بها علماؤنا ولكنّهم حملوها على النهي التدبيري أو التنزيهي، وعلى كلّ منهما يكون مفاد النهي هو الكراهة لا الحرمة.

خصوصاً وأنّ التعليل في هذا النهي كما في بعض الروايات هو لأجل الظهر

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧٩.

(٢) تفسير القرطبي، آية: ٨.

(الركوب ونقل الأثقال عليها)، أو لأنّها كانت تأكل العذرة فتكون من الحيوانات الجلّالة التي لا يجوز أكلها حتى تستبرئ مدّة من الزمن.

فقد ورد عن أنس قوله: لما كان يوم خيبر أُتيَ فقيل له: يا رسول الله، فنيت الحُمُر، فأمر أبا طلحة فنادى أنّ الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحُمُر[١].

وممّا يؤيّد ذلك، الرواية التي تقول إنّ المسلمين أصابهم جوع ومخمصة في غزوة خيبر، حيث يروي البخاري ومسلم عن سلمة قوله:

«أتينا خيبر فحاصرناها حتى أصابتنا مخمصة شديدة ـ يعني جوع شديد ـ ثمّ إنّ الله فتحها علينا، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذه النيران؟ على أيّ شيء توقدون؟ قالوا: على اللحم قال على أيّ لحم؟ قالوا: لحم حمر أنسيّة، فقال رسول الله: أهرقوها واكسروا الدنان»[٢].

ومن ثم خاف رسول الله صلى الله عليه وآله أن تفنى مراكب المسلمين، والمعبّر عنها بالظهر في الرواية، التي يحتاجونها لنقل البضائع والأسلحة والأمتعة، خصوصاً وهم في حرب، وربما هذا هو الذي يفسّر لنا خوف الراوي حينما جاء إلى رسول الله فأخبره بأنّ الحُمُر قد فنيت، فأصدر النبي صلى الله عليه وآله عند ذلك أوامره بقلب القدور.

(١) الطبراني في الكبير: ج٥ ص٣١٦.

(٢) مسلم: ج٣ ص١٥٤٠، البخاري: ج٥ ص٧٢.

وقد يقال بأنّ النبي كان بإمكانه أن يدعهم يأكلون ما وضعوه في القدور ثمّ يأتي الأمر والنهي لهم بعدم الأكل في المستقبل؟ وهنا يمكن أن يكون الجواب بأنّ هذا النهي، وفي مثل تلك الظروف الصعبة، حيث المخمصة والأضرار، له أبلغ الأثر في التأكيد على المنع، بحيث لا يدعهم يميلون بعدها إلى الإباحة. بل ربما يفهم من هذا الموقف أنّهﷺ قد أمر بذلك قبل هذه المرّة، ولمّا لم يجد استجابة واضحة، قام بهذا العمل بشكل لا يدع مجالاً للشكّ في أنّ النبي لا يريد ذبح الحُمُر؛ لحاجتهم إليها. وقد وردت رواية عن الإمام الباقر تعضد ما ذهبنا إليه، حيث يقول:

«**نهى رسول الله عنها يوم خيبر، وإنّما نهى عن أكلها في ذلك الوقت لأنها كانت حمولة الناس وانما الحرام ما حرّم الله عزّ وجلّ في القرآن**»[١].

فإذا كان الأمر كذلك، فتكون هذه الرواية للشهيد الكربلائي صحيحة، ولكنّ النهي فيها يكون محمولاً على الكراهة لا الحرمة، كما هو مشهور علمائنا. وقد جاء في الروضة البهية:

«يكره أكل الخيل والبغال والحمير الأهلية في الأشهر وآكدها كراهةً البغل؛ لتركيبه من الفرس والحمار، وهما مكروهان، فجمع الكراهتين، ثمّ الحمار»[٢].

---

(١) الكافي: ج٦ ص٢٤٦، علل الشرائع: ص٥٦٣.

(٢) شرح اللمعة: ج٢ ص٢٧٧.

نعم، إلى هنا تكون رواية الشهيد موافقة لروايات أهل البيتعليهم السلام ومنسجمة مع احكامهم، ولكنّ المدارس الأخرى لم يكتفوا بتحريمها تحريماً باتّاً، بل قالوا بأنّ النبيصلى الله عليه وآله نهى عن لحوم الحُمُر ونهى كذلك عن الزواج المؤقّت، والذي عرف (بالمتعة)، وذكروا في ذلك روايات لا يمكن أن تصمد أمام البحث الموضوعي، من حيث عدم اعتبارها عندهم قبل كونها غير معتبرة عندنا. يقول أبو عمر بن عبد البرّ: «ذكر المتعة يوم خيبر غلط والأقرب أن يكون هذا من غلط ابن شهاب والله أعلم»[1].

وقال ابن القيّم: «قصّة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتّعون باليهوديات ولا استأذنوا رسول الله في ذلك، ولا نقله أحد قطّ في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتّة، لا قولاً ولا تحريماً»[2].

نعم هم نسبوا إلى عليعليه السلام قوله: «إنّ النبيصلى الله عليه وآله نهى عن لحوم الحُمر ونهى عن المتعة»، وهذا لعمرك من اكبر العجب حيث إنّ المؤرّخين جميعاً نقلوا حديثاً لعليعليه السلام يعترض فيه على عمر وعلى منعه المتعة، حيث يقول: «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي»[3]، ثمّ يكون هناك نداء في خيبر ولا يسمعه إلا علي ابن أبي طالب! وإذا كان الأمر كذلك، فلم كتمه حتى على ولديه الحسن والحسين؟! ومن أراد المزيد فليرجع إلى مظانّه من الكتب الفقهية لعلمائنا الأعلام.

---

(١) التمهيد: ج٩ ص٩٩.

(٢) زاد المعاد: ج٢ ص١٤٣.

(٣) تفسير الرازي: ج١٠ ص٥٠، الدّر المنثور: ج٢ ص١٤٠.

جهاده

لقد كان للشهيد الكربلائي دور بارز منذ إسلامه المبكر، قبل أن يصل النبي إلى المدينة أو بعد وصوله مباشرة، حيث آمن مع قومه كما تقدّم، إذ وقف إلى جانب الرسول الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في حروبه وغزواته، ولقد أكّد المؤرّخون ومن ترجم للشهيد الكربلائي، أنّه شارك في خيبر وما بعدها من المعارك، ابتداءً من حنين وفتح مكّة والطائف وغيرها، وقد أبلى في هذه المعارك البلاء الحسن، حتى قال عنه العلماء: «إنّه كان مجرّباً وشجاعاً»[(١)]، وكلّما كانت اشتدّت الأحوال بالمسلمين وأخذت فرائص البعض وقلوبهم ترتعد خوفاً، كان هو من الذين يعيشون الثبات واليقين وعدم الخوف، وبخاصّة حينما لازم إمامه علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ، كيف لا وهو أوحد زمانه في الثبات والشجاعة وقوّة القلب ورباطة الجأش، لا يعبأ بالأعداء مهما نصبوا له من غوائل مكرهم، وقد رآه وهو يجندل مرحباً في تلك الحرب الشرسة، ثم زحف إلى حصون اليهود واقتلع باب خيبر، ويُنقل أنّ مرحباً نزل وهو يقول: مَن المبارز حيث جرت العادة ان تحصل هناك مبارزة فردية قبل بداية الهجوم، فنزل يقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

يقول الطبري في تاريخه:

«عن بريدة الأسلمي قال: كان رسول الله حين نزل بحصن خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر

---

(١) إبصار العين: ص١٣٥.

وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال عندها رسول الله: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فلمّا كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه اللواء، ونهض معه من الناس من نهض، قال: فلقي أهل خيبر، فإذا مرحب يرتجز ـ وقد سمعت أرجوزته ـ فأجابه علي عليه السلام:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة ... أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليثٌ بغاباتٍ شديدٌ قسورة

فاختلف هو وعليّ ضربتين، فضربه عليّ على هامته حتى غصّ السيف منها بأضراسه، وسمع أهل المعسكر صوت ضربته، فما تتامّ آخر الناس مع عليّ حتى فتح الله له ولهم»[1].

الشهيد الكربلائي وبيعة الشجرة (الرضوان)

وقد عدّ العلماء الشهيد الكربلائي من أصحاب بيعة الشجرة، والمعبّر عنها بيعة الرضوان، سنة ٦ للهجرة، حينما أراد رسول الله أن يؤدّي العمرة، ولقد اكتسب من بايع من المسلمين رسول الله تحت الشجرة مكانة خاصّة، حيث إنّها كانت تمثّل التأييد والمؤازرة الكبيرة للنبي صلى الله عليه وآله، حيث عاهدوه على السمع والطاعة والقتال بين يديه حتى الموت، ولا شكّ أنّ لهؤلاء مزيّة السبق، إلاّ أنّنا قد نختلف مع من يصل به التقديس لأصحاب بيعة الشجرة إلى درجة أن يعطيهم صفة العدل، ويجعلهم من المغفور لهم والمرضي عنهم من قبل الله مهما فعلوا ومهما

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣ ص٩٣، مسلم: ج٥ ص١٩٥.

بدّلوا بعد ذلك، استناداً إلى قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١).

قد نختلف مع من يذهب به الغلوّ إلى هذا الحدّ ولكنّها لا شكّ فضيلة لمن وفى ببيعته وثبت عليها ولم يخالف ولم ينكث، وكان مصداقاً لقول الله بعدها:

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

وكان الشهيد زاهر من أولئك الذين ثبتوا ولم يبدّلوا في زمن رسول الله ولا بعدهﷺ، وكان لصحبته عمرو بن الحمق الخزاعي دور في الوقوف بوجه الانحرافات التي دبّت في جسد الأمة بعد رسول الله.

الشهيد الكربلائي والثورة على عثمان

وهنا ربما لا نجد في هذه الحقبة تحديداً يشير إلى مكانه من الأحداث ومواقفه التاريخية، ولكنّنا يمكن أن نلمسها ونحسّ بها من خلال حركة صاحبه وصديقه الملازم له كظله عمرو بن الحمق الخزاعي، والذي كان له دور كبير في الوقوف بوجه الفساد الكبير الذي حصل في زمن الخليفة عثمان، والذي وصل إلى درجة أصبح معها السكوت عنه يضرّ بالاسلام والمسلمين، فأخذ بتأليب المسلمين عليه وعلى بطانة السوء التي كانت تتحرّك تحت عباءته، وكان الشهيد الكربلائي يضع قدمه حيث يضعها عمرو بن الحمق، وكان للشهيد الكربلائي دور كبير في هذه الثورة، لأنّ عمرو بن الحمق الخزاعي كان له دور القيادة، حيث عُدّ

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

من جملة قيادات الثورة،[١] ولهذا حينما جاء زياد بن أبيه بعد ذلك لم يكن له همٌّ إلاّ طلبه، فخرج عمرو ومعه زاهر وجعلا يتنقّلان من مكان إلى مكان خشية أن يلقي زياد عليهما القبض[٢]. فخرجا من الكوفة إلى أن وصلا إلى رجل مقعد كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر عمرو بن الحمق أنّك ستمرّ به فتستسقيه فيسقيك، ويسألك عن شأنك، فأخبره وادعه إلى الإسلام، فإنّه سوف يسلم، وامسح بيدك على وركيه فإنّ الله يمسح ما به وينهض قائماً فيتّبعك، وتمرّ برجل أعمى على ظهر الطريق، فتستسقيه فيسقيك ثمّ يسألك عن شأنك، فأخبره وادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم، وامسح بيديك على عينيه فإنّ الله عزّ وجلّ يعيد إليه بصره، فيتّبعك. ففعل عمرو بن الحمق الخزاعي كلّ الذي قاله له أمير المؤمنين، ولمّا وصلا قريباً من الحصن نزلا ثمّ دخلا إلى الغار، وانفلت فرس عمرو بن الحمق وذهب، فرآه القوم فقالوا: هذا فرسه وهو قريب، فطلبه الرجال فأصابوه في الغار. يقول صاحب شجرة طوبى:

«إنّ الحيّة نهشت عمرو بن الحمق الخزاعي في الوادي في جوف الليل فأصبح منتفخاً فقال: يا زاهر، تنحّ عني، فإنّ حبيبي رسول الله أخبرني أنّه سيشترك في دمي فسقة من الإنس والجنّ (على أساس أنّ الحيّة كانت من فسقة الجنّ كما في الرواية) ولابدّ لي أن أقتل، فبينما هما كذلك اذ رأيا نواصي الخيل في طلب عمرو فقال: يا زاهر، تغيب فإذا قتلت فإنّهم سوف يأخذون رأسي، فإذا انصرفوا

(١) للمزيد راجع كتاب «وانحدر الجمل من السقيفة» للأستاذ نبيل فياض: ص٨١.

(٢) راجع كتاب صلح الإمام الحسن للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص٣٤٥.

فاخرج إلى جسدي فواره، فقال له زاهر: لا، بل أنثر نبلي ثمّ أرميهم به، فإذا فنيت نبالي قتلت معك، قال: لا، بل تفعل ما سألتك ينفعك الله به، فاختفى زاهر. وأتى القوم فقتلوا عمراً واحتزّوا رأسه، فلمّا انصرفوا خرج زاهر فوارى جسده. فوفّق لمواراة جسد عمرو ودفنه»[١].

يقول الحائري، بعد ذكره الرواية السابقة:

«ثمّ ساقته السعادة إلى أن رزق الشهادة في نصرة الحسين، وبقي حتى قتل مع الحسين عليه السلام، والحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف يسلّم عليه في زيارة الناحية: السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي.

وقول عمرو بن الحمق الخزاعي له: تفعل ما سألتك ينفعك الله به، إشارة إلى أنّك سترزق الشهادة في مقام أحسن من هذا المقام، وهو طفّ كربلاء مع سيّد الشهداء عليه السلام في نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. نعم والله، فكأنّ الحسين كما هو سيّد الشهداء فكذلك أصحابه سادات الشهداء، وفي الخبر: الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء، مقبل غير مدبر، فطوبى لهم وحسن مآب»[٢].

أولاده وأحفاده

لقد ذكر لنا التاريخ أنّ للشهيد الكربلائي ولداً اسمه مجزأة، وكان من جملة الرواة الثقات الذين نقلوا جملة من الأحاديث، حتى أنّ ابن حجر يقول فيه:

«مجزأة بفتح أوّله وسكون الجيم وفتح الزاي بعدها همزة مفتوحة، ابن زاهر

(١) شجرة طوبى للشيخ محمّد مهدي الحائري: ج١ ص٨٢ ـ ٨٤ (بتصرّف يسير).

(٢) نفس المصدر: ص٨٤.

ابن الأسود الأسلمي الكوفي، ثقة من الرابعة»[١].

ويقول البرديجي في طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين:

«مجزأة بن زاهر، يروي عنه رقية بن مصقلة وشعبة الكوفي»[٢]. ولقد حفلت كتب الحديث بروايات ولد الشهيد الكربلائي، نحاول أن نسلط الأضواء على بعضها:

أولاً: روى عنه مسلم في صحيحه، في باب ما يقوله عند الركوع:

«عن مجزأة بن زاهر، عن عبد الله بن أبي أوفى، عن النبيﷺ أنّه يقول:

«اللهمّ لك الحمد ملء السماوات ولك الحمدُ ملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهمّ طهّرني بالثلج والبَرَد والماء البارد، اللهمّ طهّرني من الذنوب والخطايا كما ينقّى الثوب الأبيض من الدنس».[٣]

ثانياً: يقول ابن حجر في الإصابة:

«روى مجزأه بن زاهر، عن أبيه عن ناجية بن جندب قال: أتيت النبيﷺ حين صُدّ عن الهدي، قلت: يا رسول الله، إبعث معي بالهدي حتى أنحره في الحرم، قال: وكيف تصنع؟ قال: قلت: أخذ في أودية لا يقدرون عليّ، قال: فدفعه إليّ فنحرته في الحرم».[٤]

---

(١) تقريب التهذيب: ح٦٤٨٥.

(٢) ص٣.

(٣) صحيح مسلم: ح١٠٩٧.

(٤) الإصابة: ج٦ ح٨٦٤٨.

ثالثاً: «عن مجزأة بن زاهر، عن رجل منهم من أصحاب الشجرة اسمه أهبان ابن أوس، وكان اشتكى ركبته، فكان اذا سجد جعل تحت ركبته وسادة».[١]

وينقل التأريخ أنّ للشهيد الكربلائي ولداً آخر اسمه سنان بن زاهر الأسلمي، وقد بذلت جهدي للحصول على معلومات حوله فلم أجد بحسب تتبّعي شيئاً، ولكنّي وجدت أنّ لسنان هذا حفيداً اسمه محمد، عرف بين الرواة بأنّه محمد بن سنان، حيث نسبوه إلى جدّه الأول الذي تربّى في أحضانه بعد وفاة أبيه (الحسن ابن سنان) مبكّراً وربما نسبه بعضهم إلى الزاهري، وذلك نسبةً إلى جدّه الثاني، وهو الشهيد الكربلائي، وقد اشتهر اسم هذا الراوي (محمد بن سنان الزاهري) في كتب الحديث، لكثرة رواياته عن أهل البيت، وفي مجالات مختلفة نذكر منها:

١. «روى ابن طاووس في الإقبال، عن حفيد الشهيد الكربلائي، محمد بن سنان الزاهري، عن الإمام الصادق، الدعاء المشهور الذي يدعى به في غرّة رجب وفي كلّ يوم من أيّامه وهو قوله عليه السلام:

«خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرّضون إلاّ لك، وضاع الملمّون إلاّ بك، وأجدب المنتجعون إلاّ من انتجع فضلك بابك مفتوح للراغبين، وخيرك مبذول للطالبين، وفضلك مباح للسائلين، ونيلك متاح للآملين، ورزقك مبسوط لمن عصاك، وحلمك معترض لمن ناواك، عادتك الإحسان إلى المسيئين، وسبيلك الإبقاء على المعتدين، اللهمّ فاهدني هدى المهتدين،

(١) رواه البخاري في صحيحه: ح٣٩٤٠.

وارزقني اجتهاد المجتهدين، ولا تجعلني مع الغافلين المبعدين، واغفر لي يوم الدين».[(١)]

٢. «محمد بن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة، وعلي ابنه بين يديه، فقال لي:

يا محمد، قلت: لبيك، قال: إنّه سيكون في هذه السنة حركة ولا تخرج منها، ثمّ أطرق ونكت الأرض بيده ثمّ رفع رأسه إليّ وهو يقول: ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، قلت: وما ذاك جعلت فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقّه وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقه وإمامته من بعد محمد صلى الله عليه وآله، فعلمت أنّه قد نعى إليّ نفسه ودلّ على ابنه، فقلت: والله، لئن مدّ الله في عمري لأسلّمنّ إليه حقّه، ولاقرّنّ له بالإمامة، وأشهد أنّه حجّة الله من بعدك على خلقه، والداعي إلى دينه، فقال لي: يا محمد، يمدُّ الله في عمرك وتدعو إلى إمامته وإمامة من يقوم مقامه من بعده، فقلت: ومن ذاك جعلت فداك؟ قال: محمد ابنه، قلت: بالرضا والتسليم، فقال: كذلك وقد وجدتك في صحيفة أمير المؤمنين، أما إنّك في شيعتنا أبين من البرق في الليلة الظلماء، ثم قال: يا محمد، إنّ المفضّل أنسي ومستراحي، وأنت

---

(١) إقبال الأعمال لابن طاووس: ج٣ ص٢٠٩. مصباح المتهجّد: ج٢ ص٨٠١.

أنسهما ومستراحهما، حرام على النار أن تمسّك أبداً».[١]

ولا شكّ ولا ريب أنّ هذه الرواية تدلّل وبشكل واضح، أنّ الرجل في غاية الوثاقة والإيمان، وأنّه من الموالين حقّاً، حتى ورد عن الإمام الجوادعليه السلام في حقّه مدح عظيم، وحتى قال السيّد الخوئي في حقّه:

«المتحصّل أنّه كان من الموالين، وممّن يدين الله بموالاة أهل بيت نبيهصلى الله عليه وآله فهو ممدوح، فإن ثبت فيه شيء من المخالفة فقد زال ذلك، وقد رضي عنه المعصومعليه السلام، ولأجل ذلك عدّه الشيخ ممّن كان ممدوحاً حسن الطريقة»[٢].

وحتى من ضعّفه، ربما لأجل ما كان ينقله من علوم أهل البيتعليهم السلام. والتي لا يطيقها إلاّ الخواصّ، ولا يفهمها إلاّ من شرح الله صدره للإيمان، ومن ثم يُفتتن فيها الأعمّ الأغلب، فلا تحظى بالقبول، بل ترفض ويرفض معها الراوي، وربما لأجل ذلك يقول السيّد نعمة الله الجزائري: «إنّ أبا ذرّ لو علم كلّ ما علمه سلمان لم يمكنه كتمانه، فإذا أظهره قتله الناس، لعدم فهمهم لمعانيه، كما اتّفق ذلك في كثير من خواصّ أئمّة أهل البيت، كمحمد بن سنان، وجابر الجعفي، ممّن اتّهمهم أهل الرجال بالغلو وارتفاع القول، وذلك لأنّ الأئمّةعليهم السلام ألقوا إليهم أسرار علومهم ما لم يعطوه أحداً غيرهم من الشيعة، فاستغرب الشيعة تلك الأخبار، لعدم موافقة غيرهم لهم على روايتها، فطعنوا عليهم لهذا السبب».[٣]

---

(١) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ص١٧، محمد بن سنان.

(٢) نفس المصدر: ص١٧، محمد بن سنان.

(٣) الأنوار النعمانية: ج٤ ص٣١.

شهادته

عاش زاهر بعد صاحبه الشهيد عمرو قرابة العشر سنين، قضاها متخفّياً ومتنقّلاً من بلد إلى بلد، وهكذا حال الدنيا التي أبت إلاّ أن تكون دار بلاء للمؤمن. وشاءت الأقدار أن يلتقي زاهر بالحسين عليه السلام في مكّة مع الحجيج، وإذا به يراه من بعيد فيتهلّل وجهه فرحاً وكأنّه على موعدٍ مع الحبيب انتظره طويلاً، وأخذا يتبادلان مشاعر الألم والحسرة على ما أصاب الأمّة من سطوة اللئام، وتسلّط الطغاة من بني أميّة وعلى رأسهم يزيد الفسق والفجور، وكشف الحسين عليه السلام لزاهر عن مشروعه في الثورة وإذا به يتهلّل وجهه من جديد، ويستقبل الخبر بالترحيب، ويعاهد الحسين عليه السلام على الخروج معه ونصرته، وبذل النفس والمال من أجله، وهكذا كان.

يقول المامقاني: «إنّ زاهراً حجّ سنة ستّين للهجرة، فالتقى بالحسين عليه السلام وصحبه، وكان ملازماً له حتى حضر معه كربلاء واستشهد بين يديه، وكانت شهادته في الحملة الأولى»(١).

ومن ثم أبت نفسه الشريفة على كبر سنّه إلاّ أن تنال الشهادة، فيختلط دمه مع تلك الدماء الطاهرة التي سالت على أرض كربلاء، لتكون مناراً للسالكين في الظلام، وطريقاً يسير عليه الأولياء، ومنهجاً يتمسك به المؤمنون، فسلام عليك يا زاهر، يا من أزهرت بموقفه يوم عاشوراء قلوب المؤمنين، السلام عليك أيّها العبد الصالح يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي: ج٣ ص٤١٦.

الشهيد يزيد بن مَغْفَل المزني الأزدي عليه السلام

أسم الشهيد واسم أبيه ونسبه

لقد اتّفق العلماء على اسم الشهيد وعلى اسم أبيه، واختلفوا فيما بينهم في نسبته، حيث ذهب بعضهم إلى أنه جعفي مذحجي، كالسيد الزنجاني في وسيلة الدارين[١]، والشيخ السماوي في أنصار الحسين[٢]، وآخرين.

بينما ذهب آخرون إلى أنّه مزني، كابن كثير، وأحمد في مسنده[٣].

وقد ذكر الطبري وهو يتحدّث عن أحداث المختار وما صنعه مع قتلة الحسين عليه السلام بأنّه أزدي[٤].

وانفرد ابن حجر في نسبة الشهيد إلى أنّه عامري[٥].

---

(١) وسيلة الدارين: ص٢١٤.

(٢) أنصار الحسين: ص١٢٠.

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية: ج٨ تحت عنوان عبد الله بن معفل المزني. مسند أحمد: ح١٦١٨٤.

(٤) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٦٧ ح٦.

(٥) الإصابة: ج٥ ص٩٤٢٢.

وإن كان المشهور عنه في كتب التاريخ والحديث أنّه المزني، ممّا يقوّي هذه النسبة دون غيرها.

اللهمّ إلاّ أن يقال بأنّ جعفاً وعامراً ترجع إلى الأزد، فأطلق عليه تارة الجعفي وتارة العامري والأزدي، وهو ممكن في حدّ ذاته.

ولكنّنا سوف نميل إلى ما مال اليه جمهور العلماء من أنّه المزني الأزدي، خصوصاً وأنّهم حينما يتحدّثون عن أبيه ـ كما سيأتينا ـ ينسبونه إلى المزني كذلك، وهكذا إخوته، وعلى كلّ حال فإن الإنسان مهما نسب إلى ما نسب إليه، تبقى أعماله ومواقفه هي الرافعة أو الخافظة له دون قبيلته وعشيرته، وإن كان لهما دور في صقل الشخصية وإعدادها سلباً أو إيجاباً.

ولقد تميّز الشهيد يزيد بن مَغْفَل المزني بجملة من المواقف العظيمة، جعلت منه علماً من أعلام التاريخ وصانعاً من صنّاع الحياة، ويكفيه فخراً أن صار سلام المُسلّم على الحسين مقترناً بسلامه عليه، حين يقول: السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين، ولكنّنا وقبل أن نسلّط الأضواء على هذه الشخصية الفذّة، نحاول أن نسلّط الأضواء على أسرته الكريمة صاحبة المبادئ والقيم، والتي عشقت الإسلام والرسالة عشقاً صادقاً وحقيقيّاً.

والد الشهيد

ورد في ترجمة والد الشهيد الكربلائي أنّه كان صحابياً جليلاً محبّاً وعاشقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه دخل في الإسلام واشترك مع رسول الله في غزواته وحروبه،

ولكن حينما تجهّز هذا الوالد للذهاب مع رسول الله إلى فتح مكّة في السنة الثامنة للهجرة، شاءت الأقدار لروحه أن تحلّق إلى بارئها، حيث أتته المنية قبل الفتح. يقول ابن حجر:

«مَغْفَل بن عبد نهم بن عفيف المزني، والد عبد الله بن مَغْفَل الصحابي المشهور، وهو عمّ عبد الله ذي البجادين، ومات عام الفتح قبل دخولهم مكّة. ذكر ذلك أبو جعفر الطبري»(١).

ولكنّي أقول، وإن مات مَغْفَل في بداية الدعوة إلى الله ولم ير فتح مكّة، وكان يتمنّى أن يشارك في تحرير بيت الله الحرام من الأرجاس والأوثان فقضى أجله قبل ذلك، فلقد ترك أولاداً وإخوة كان لهم دور كبير في نصرة الإسلام والوقوف إلى جانب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ابتداً من علي عليه السلام إلى سيّد الشهداء ومن بعده.

عمّ الشهيد الكربلائي

ينقل المؤرّخون أنّه كان للشهيد الكربلائي أعمام يُفتخر بهم وبمواقفهم، وتشرئبّ الأعناق لمواقفهم الصادقة وشجاعتهم المتميّزة، ومن هؤلاء الأعمام:

أولاً: عبد الله بن عبد نهم المعروف بذي البجادين

حيث ولد هذا الصحابي في جبل ورقان، على يمين الراكب من المدينة المنورة إلى مكّة المكرمة، وكان اسمه «عبد العزّى»، ولد لأبوين فقيرين، ومات

---

(١) الإصابة: ج٦ ص٨١٧٣.

والده وهو صغير، ولكن كان له عمّ على قدر كبير من الغنى والثراء، فتبنّاه وكفله عمّه، فلمّا قدم رسول الله المدينة جعلت تتوق نفسه إلى الإسلام وهو يتلقى الأخبار عنه من الناس، ولكنّه لا يقدر أن يسلم لأجل عمّه.

يقول المؤرّخون «بأنّ السنين قد مضت، والمشاهد كلّها، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله راجعاً من فتح مكّة، وكان عبد الله قد ضاق ذرعاً بعمّه، فالتفت يوماً إلى عمّه وقال له: يا عمّ، لقد انتظرت إسلامك فلم أرك تريد محمداً، فأذن لي في الإسلام، فقال: والله لئن اتّبعت محمداً لا أترك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلاّ نزعته منك، حتى ثوبيك، فقال: فأنا والله متّبع محمداً وتارك عبادة الحجر والوثن، وهذا ما بيدي فخذه، فأخذ كلّ ما أعطاه حتى جرّده من إزاره، فأتى أمّه فقطعت له بجاداً لها باثنين، فائتزر به وارتدى الآخر، ثمّ أقبل إلى المدينة وكان ورقان، وهو جبل من جبال المدينة فاضطجع في المسجد في السحر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الصبح، وكان من عادته أن يتصفّح وجوه الناس اذا انصرف من الصلاة، فنظر اليه فأنكره فقال: من أنت؟ فانتسب له، وكان اسمه عبد العزّى، فقال: أنت عبد الله ذو البجادين[(١)]، ثمّ قال: انزل منّي قريباً، فكان في ضيافته يعلّمه القرآن، حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان رجلاً صَيّتاً، فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته بالقراءة، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن حتى منع الناس من القراءة، فقال: دعه يا عمر، فإنّه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله»[(٢)].

---

(١) البجاد: كساء غليظ.

(٢) راجع سبل الهدى والرشاد للصالحي، ج٥، ص٤٥٩.

يقول الأدرع: «كنت أحرس النبيﷺ، فخرج ذات ليلة لبعض حاجته قال: فرآني فأخذ بيدي فانطلقنا فمررنا على رجل يصلّي يجهر بالقرآن، فقال النبيﷺ: «عسى أن يكون مرائياً» قال: قلت: يا رسول الله، يصلّي يجهر بالقرآن! قال: فرفض يدي ثمّ قال: «إنّكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة». ثمّ خرج ذات ليلة وأنا أحرسه لبعض حاجته، فأخذ بيدي فمررنا على رجل يصلّي يجهر بالقرآن، فقلت عسى أن يكون مرائياً، فقال النبيﷺ: كلا، إنّه أوّاب، قال: فنظرت فإذا هو عبد الله ذو البجادين (عمّ الشهيد الكربلائي)».

ومع أنّ عمر ذي البجادين آنذاك لم يتجاوز الثماني عشرة سنة، أي إنّه في عمر الشباب، والإنسان عادة في مثل هذا العمر يحلم ببناء مستقبله، من بيت وأسرة وأولاد وتجارة وما شاكل ذلك، ولكنّ هذا الشاب لم يكن ليهتمّ بذلك مطلقاً، بل كان همّه الشاغل هو حبّ الله ورسوله، الذي لم يدعه يهدأ، فكان بين الفينة والأخرى يطلب من الله أن يرزقه الشهادة في سبيله.

وتمرّ الأيّام، وتأتي معركة تبوك، ويتجهّز المسلمون للقتال، صادف أنّ ذا البجادين كان مريضاً بالحمّى، ومع ذلك يلبس ملابس الحرب ويأتي إلى رسول الله ويطلب منه الإذن في الذهاب معه إلى المعركة ويقول له: يا رسول الله، ادعُ الله لي بالشهادة.

فلمّا رآه النبي ربط على عضده عوذة وقال: اللهمّ إنّي أحرّم دمه على الكفّار، فقال: ليس هذا ما أردت يا رسول الله، فقال له النبي: إنّك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد فلمّا سمع ذلك اطمأنّ ثمّ خرج معهم،

فلمّا نزلوا تبوك أقاموا بها أيّاماً أخذته خلالها الحمّى فتوفّي عبد الله.

وكان بلال بن الحارث يقول: «حَضَرت مع رسول الله ومع بلال المؤذن شعلة من النار، وإذا بأصحاب رسول الله يحملون عبد الله ذو البجادين، فصنعوا له قبراً، وأخذ النبي يجلس فيه وينام ويقرأ له القرآن، فلمّا أنزله إلى القبر التفت إلى أصحابه وقال: ادنوا إليّ أخاكم، فلمّا هيّأه لشقه ومستقرّه الأخير قال رسول الله: «اللهمّ إنّي قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه».

يقول ابن مسعود: «فتمنّيت أن أكون أنا صاحب الحفرة. وقد استدلّ بعضهم من خلال هذه الرواية على جواز رفع اليدين بالدعاء، على أساس أنّ ابن مسعود يُنقل عنه أنّه قال: رأيت رسول الله في قبر عبد الله ذي البجادين. الحديث. وفيه: فلمّا فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه».(١)

ثانياً: خزاعي بن عبد نهم بن عفيف بن سحيم

والذي هدم صنمه بيده بعدما فكّر بأنّه حجارة لا تضرّ ولا تنفع، وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله مع قومه، وكان صاحب منزلة رفيعة بينهم. يقول ابن حجر:

قال ابن الكلبي: «هو أخو عبد الله ذي البجادين لأبويه، وعمّ عبد الله بن مَغْفَل بن عبد نهم. وروى ابن شاهين من طريق ابن الكلبي: حدّثنا أبو مسكين وغيره، عن أشياخ لمزينة قالوا: كان لمزينة صنم يقال له نهم، وكان الذي يحجبه خزاعي بن عبد نهم المزني، فكسر الصنم ولحق بالنبي وهو يقول:

ذهبتُ إلى نهمٍ لأذبحَ عنده عُتيرةَ نُسْكٍ كالذي كنتُ أفعلُ

---

(١) فتح الباري، باب الدعاء مستقبل القبلة: ح٥٩٨٣.

وقلت لنفسي حين راجعت حزمها أهذا إلهٌ أبكمٌ ليس يعقلُ
أبيتُ فديني اليوم دينُ محمّد إلهُ السماء الماجدُ المتفضّلُ

قال: فبايع النبيﷺ، وبايعه عمّي مزينة، قال: وقدم معه عشرة من قومه، منهم عبد الله بن ذرّة وأبو أسماء والنعمان بن مقرن. وروى قاسم في الدلائل، من طريق محمد بن سلام الجمحي، عن ابن دأب قال: وفد خزاعي بن أسود فأسلم، ووعد أن يأتي بقومه فأبطأ، فأمر النبي حسان بن ثابت فقال:

ألا أبلغ خزاعيّاً رسولاً فإنّ الغدر يغسلهُ الوفاءُ
فإنّك خيرُ عثمان بن عمرو وأسناها إذا ذُكر السناءُ
وبايعت النبيّ فكان خيراً إلى خيرٍ وأدّاك الثراءُ
فما يُعجزْك أو ما لا تُطِقْهُ من الأشياء لا يعجز عُداءُ

يعني قبيلته. قال: فلمّا سمع ذلك أقبل إلى النبيﷺ وهم معه فأسلموا، وقوله: خزاعي بن أسود، غلط، وإنّما هو خزاعي بن عبد نهم، قال ابن سعد في الطبقات اخبرنا هشام بن الكلبي أخبرنا أبو مسكين وأبو عبد الرحمن العجلاني قالا: قدم على رسول الله نفر من مزينة، منهم خزاعي بن عبد نهم، فبايعه على قومه ومعه عشرة، فذكر القصّة والشعر، وزاد: فيهم بلال بن الحارث وبشر بن المحتفز، وزاد: فقام خزاعي بن عبد نهم فقال: يا قوم، قد خصّكم شاعر الرجل، فأنشدكم الله، فأطاعوه وأسلموا وقدموا على رسول الله، قال: وأعطى رسول الله لواء مزينة يوم الفتح لخزاعي هذا، وكانوا يومئذ ألف رجل. قال ابن سعد: وزاد غيره: فيهم دكين بن سعد. وذكر المرزباني هذه القصّة مطوّلة ودلّ شعر حسّان على أنّ عديّ هذا يُمدّ، والله أعلم»[1].

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج٢ ص ٢٢٥٠.

وأنت ترى بعد ما سمعت نتفاً من أخبار أبيه وأعمامه وكيف كانوا من أهل البصيرة والوعي، بحيث إنّهم انقلبوا على أعرافهم وتقاليدهم السائدة، والتي كانت تمثّل بالنسبة اليهم عقائد يصعب تجاوزها، بل إنّ تجاوزها يعني تجاوز شرع الآباء والأجداد، بينما نرى والد الشهيد من السبّاقين، إلى الإسلام، وأعمامه من المتفانين في الدعوة إليه، حتى أنّ خزاعياً كسر صنمه بيده، ولا شكّ أن هذا يوحي وبشكل واضح إلى أنّه كان يحمل عقلاً كاملاً وعزماً ثاقباً، وحكمة وبصيرة.

إخوة الشهيد

كان قد تربّى في هذا البيت العامر بالإيمان، رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولقد علم الله ما في قلوبهم من الصدق والولاء، فهيّأ لهم أسباب السعادة في الدارين والتوفيق في مختلف المجالات العلمية والجهادية والإيمانية وغيرها، ومن هؤلاء الذين خرّجهم هذا البيت الإيماني هو عبد الله بن مَغْفَل المزني الذي عدّه كثير من المؤرّخين بأنّه كان من البكّائين، ومن مشاهير الصحابة، حتى أنّ ابن حجر في الإصابة يقول عنه:

«قال البخاري: له صحبة، سكن البصرة، وهو أحد البكّائين في غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة. ثبت ذلك في الصحيح»[1].

ولهؤلاء البكّائين قصّة جميلة فيها عظة وعبرة، نذكرها كما ذكرها كثير من المؤرّخين والمفسّرين في خصوص قوله تعالى:

---

(١) الإصابة: ج٤ ح٤٩٧٥.

﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير:

«والمقصود ذكر البكّائين الذين جاءوا إلى رسول الله ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه، فلم يجدوا عنده من الظهر ما يحملهم عليه، فرجعوا وهم يبكون تأسّفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه. قال ابن إسحاق: وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، فمن بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعَلَبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب اخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبد الله بن المَغْفَل المزني، وبعض الناس يقولون: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهرمي بن عبد الله أخو نبي واقف، وعرباض بن سارية الفزاري. قال ابن إسحاق: فبلغني أنّ ابن يامين بن عمير بن كعب النضري، لقي أبا ليلى وعبد الله بن مَغْفَل وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضحاً فارتحلاه، وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية: ج٥، فصل فيمن تخلّف معذوراً من البكائين وغيرهم.

وأنا أقرأ هذه الرواية عن أخي الشهيد الكربلائي تذكّرت تلك الآية الكريمة التي تتحدّث عن المعذّرين، والأعذار التي كان بعضهم يقدّمها للنبي من أجل أن لا يخرج إلى الحرب، فضلاً عن أولئك الذين كانوا لا يملكون أعذاراً، ولكنّهم كانوا يتحجّجون بأعذار كاذبة للفرار من القتال. يقول الله تعالى:

﴿ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1].

بينما نجد أنّ عبد الله بن مَغْفَل يبكي حسرة وأسىً لأنّه لم يخرج مع رسول الله للحرب، مع أنّه كان يملك عذراً مشروعاً مقبولاً، ولأنّه كان صادقاً في مشاعره وايمانه وحبّه لله ورسوله، وفّق للجهاد بين يدي رسول الله حين هيّأ الله له من يهيّئ له زاده وراحلته، وكان عبد الله بن مَغْفَل من أصحاب بيعة الشجرة، وكان لقربه من رسول الله أن كان من الذين رفعوا عن رسول الله ﷺ أغصان تلك الشجرة، فقد نقل هو عن نفسه «إنّني كنت لمن الأشخاص الذين رفعوا عن رسول الله ﷺ أغصان تلك الشجرة في ذلك اليوم».[2]

وينقل الذهبي، عن خزاعي بن زياد المزني قوله:

«أري عبد الله بن مَغْفَل رضي الله عنه أنّ الساعة قد قامت، وأنّ الناس قد حشروا، وثمّ فكان من جازه فقد نجا، وعليه عارض، فقال لي قائل: أتريد أن تنجو وعندك ما عندك؟ يقول: فاستيقظت فزعاً، فأيقظ أهله، وعنده عيبة مملوءة بالدنانير ففرّقها

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج٢ ص٤٨٤.

كلها»[(١)].

وقف عبد الله إلى جانب أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حروبه كلّها، ثمّ سكن البصرة وظلّ فيها إلى أن جاءه الأجل، وقد أوصى أصحابه أن لا يصلّي عليه ابن زياد، وأن يصلّي عليه أبو برزة الأسلمي (وهو من شيعة الإمام علي) وجماعة من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله، وفعلاً فقد غُسّل وكفّن، «فلمّا أخرجوه من الدار واذا بابن زياد قد حضر فقالوا له: لقد أوصى بأن لا تصلّي عليه، ثمّ صلّى عليه أبو برزة الأسلمي، ثمّ خرجوا لتشييعه، واذا بابن زياد يمشي في جنازته، فسار معه حتى بلغ حدّ البيضاء، فمال إلى البيضاء وتركه. وكانت وفاته آخر خلافة معاوية، سنة ٥٩هـ ،كما يؤكّد على ذلك ابن حجر في الإصابة»[(٢)].

أولاد الشهيد

كان للشهيد الكربلائي أولاد تميّزوا بمواقفهم الجريئة وملكاتهم العالية، ممّا أهّلهم لأن يلعبوا أدواراً مهمّة في الحياة الاجتماعية والسياسية والجهادية، فضلاً عن العلمية والثقافية، ولئن كان التاريخ ظالماً لهم ولأمثالهم في عدم تسليط الضوء على ما قدّموه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، بينما أخذت الأقلام تكتب وبإفراط عن المغنّين والراقصات ونظائرهم، ولكن مع كلّ هذا الظلم، فإنّ الحقّ لابد أن يترك أثره، لتكون لله الحجة الكاملة على الخلق من خلاله، ومن هنا فقد بذلنا جهداً ليس بالقليل من أجل تتبّع آثار أولاد الشهيد وما قاموا به، فاتّضح أنّ

(١) سير اعلام النبلاء: ج٢ ص٤٨.

(٢) الإصابة: ج٤ ح٤٩٧٥.

للشهيد ولدين هما:

أ. عبد الله بن يزيد بن مَغفَل الأزدي

لقد شارك هذا البرعم الإيماني المفعم بولاء أهل البيت في الوقوف بوجه النظام الأموي الظالم، وخصوصاً بعد واقعة كربلاء، وكان ذلك من خلال مشاركته وبشكل واضح في ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، في سنة ٨١هـ.

هذه الثورة التي قَضَّت مضجع الحجّاج وعبد الملك بن مروان، بل وكافّة بني أميّة، نتيجة لقوّتها واتّساعها، والأهمّية السياسية والاجتماعية والدينية لمن اشترك فيها، فقد اشترك في هذه الثورة المئات، بل الآلاف من القراء والعلماء والفقهاء، حتى عرفت في التاريخ بثورة القرّاء أو الفقهاء.

ولكبير أثر هذه الثورة على بني أميّة أرسل عبد الملك بن مروان إلى قادتها يعرض عليهم عزل الحجّاج عن ولايته، وتسليمها لآخرين، ولكنّهم رفضوا، لأنّ الظلم إنّما هو بسبب تسلّط بني أميّة على الحكم، وتعدّيهم الحدود، وانتهاكهم حرمات الناس وكراماتهم.

ولقد كان المشاركون في هذه الثورة معظمهم من الشيعة، ومن علماء وفقهاء وشخصيّات مرموقة ممّن عرفوا بتشيّعهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام أمثال كميل بن زياد وسعيد بن جبير وآخرين، وهذا في حدّ ذاته دليل واضح يردّ على مزاعم من يدعي أنّ الشيعة بعد واقعة كربلاء تركوا العمل الجهادي واتّجهوا إلى العمل السرّي.

فهذا سعيد بن جبير، وهو من خيرة فقهاء الشيعة، الموالين لأهل البيت عليهم السلام،

بل كما يعبّر عنه بأنّه فقيه الفقهاء، قد اشترك في هذه الثورة، ووقف إلى جانب الثوّار، وكان وجوده وأمثاله، دافعاً للناس إلى الانضمام لها، حتى قدّر بعض المؤرّخين عدد من اشترك في ثورة ابن الأشعث بمئات الآلاف، ولولاوقوع بعض الأخطاء لآتت هذه الثورة أكلها، ولاستطاعت أن تطيح بعرش بني أميّة.

ولقد كان من جملة شخصيّات هذه الثورة عبد الله بن يزيد بن مَغْفَل الأزدي، الذي كان له دور مهمّ في نصرة ابن الأشعث ضدّ بني أميّة، حيث بقي إلى جانبه طيلة الثلاث أو الأربع سنوات التي دامت خلالها الثورة، إلى أن بانت معالم الفشل فيها، وأخذ الناس بعد أن قتل الفقهاء والعلماء فيها، يفرّ الواحد بعد الآخر.

يقول الطبري:

«وصعد عبد الرحمن بن الأشعث المنبر، وأخذ ينادي في الناس: عباد الله، إنّي أنا ابن محمد، فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي فوقف تحت منبره، وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمي في خيل له فوقف منه قريباً، وثبت حتى دنا منه أهل الشام، فأخذت نبلهم تحوزه، فقال: يا بن رزام، احمل على هذه الخيل والرجال، فحمل عليهم حتى أمعنوا، ثمّ جاءت خيل أخرى ورجال، فقال: احمل عليهم يا بن ذؤاب، فحمل عليهم حتى أمعنوا، وثبت لا يبرح منبره، ودخل أهل الشام العسكر، فكبّروا فصعد اليه عبد الله بن يزيد بن مَغْفَل الأزدي، وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن، فقال: انزل فإنّي أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر، ولعلّك إن

انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم»[(١)].

فمع أنّ جيش الشام دخل إلى الكوفة، والناس قد تفرّقت يميناً وشمالاً، نجد أنّ ولد الشهيد الكربلائي لم يضعف ولم يترك الجهاد، ولم يفرّ كما فرّ الآخرون، بل يبقى مصرّاً على الثورة، ويطلب من ابن الأشعث أن ينزل ويختبئ في مكان ما من أجل إعداد العدّة مرّة أخرى للانقضاض عليهم.

ويبدو أنّ عبد الرحمن بن الأشعث قد عمل بهذه النصيحة حيث ذهب إلى بلاد الملك رتبيل، ودخل في جواره وأكرمه رتبيل وعظّمه، وأقام بخراسان مجموعة كبيرة من جيشه، وكتبوا اليه أن يقدم عليهم ليعيد الكرّة على الحجّاج، ولكن جهودهم لم يكتب لها النجاح، وعاد عبد الرحمن بن الاشعث إلى الملك رتبيل وأقام عنده، وأخذ الحجّاج يتتبّع من خرج ضدّه من أعوان ابن الأشعث وأمعن فيهم في القتل، حتى قيل أنّه قتل منهم بين يديه ما قارب مائة وثلاثين ألفاً، آخرهم سعيد بن جبير.

ثم أرسل الحجّاج إلى رتبيل يتوعّده ويتهدّده لكي يبعث اليه بابن الأشعث، ولمّا علم ابن الأشعث بأنّ رتبيل سيغدر به رمى بنفسه من القصر فمات، فقطع رتبيل رأسه فأرسله إلى الحجّاج، وقام الحجّاج بإرساله إلى عبد الملك بن مروان سنة ٨٥هـ

ب. سفيان بن يزيد بن مَغفَل الأزدي

وهذا ولد آخر من أولاد الشهيد الكربلائي، وكان له دور كبير وأساس في

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ذكر أحداث سنة٨٣هـ ص١٤٩٥.

الأخذ بثأر الحسين وأهل بيته واصحابه من خلال وقوفه إلى جانب المختار في ثورته، حيث تتبّع قتلة الحسين واحداً بعد الآخر، إلى أن وصل الأمر إلى عبيد الله ابن زياد، فجهّز المختار جيشاً كبيراً بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر، وكان أحد قوّاده الرئيسيين سفيان ابن الشهيد الكربلائي يزيد بن مَغْفَل الأزدي، وينقل الطبري في تاريخه تفاصيل هذه الواقعة التي آتت أكلها، ورجع إبراهيم بن مالك الأشتر ومن معه إلى الكوفة، ومعهم رأس عبيد الله بن زياد، حيث يقول في ذكر أحداث سنة ٦٧هـ:

«فممّا كان فيها من ذلك، مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام، يقول أبو مخنف: حدّثني أبو الصلت، عن أبي سعيد الصيقل قال: مضينا مع إبراهيم بن مالك الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام، فخرجنا مسرعين لا ننثني نريد أن نلقاه قبل ان يدخل أرض العراق قال: فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سبقاً بعيداً ووغلنا في أرض الموصل، فتعجّلنا اليه وأسرعنا السير فنلقاه في خازر إلى حيث قرية يقال لها باربيثا، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ.

وكان ابن الأشتر قد جعل على مقدّمته الطفيل بن لقيط، من وهبيل من النخع ـ رجلاً من قومه ـ وكان شجاعاً بئيساً، فلمّا أن دنا من ابن زياد ضمّ حميد بن حريث اليه، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلاّ على تعبية، وضمّ أصحابه كلّهم اليه بخيله ورجاله، فأخذ يسير بهم جميعاً لا يفرّقهم، إلاّ أنّه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع، حتى نزل تلك القرية.

قال: وجاء عبيد الله بن زياد حتى نـزل قريباً مـنهم علـى شـاطئ نهـر خـازر، وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر أنّي معك، وأنا أريد الليلة لقـاءك، فأرسل اليه ابن الأشتر أن القني إن شئت، وكانت قيس كلّهـا بـالجزيرة، فهـم أهـل خلاف لمروان وآل مروان، وجنّد مروان حينئذ كلب، وصاحبهم ابن بجدل، فأتاه عمير ليلاً فبايعه، وأخبره أنّه على ميسرة صاحبه، وواعـده أن ينهـزم بالنـاس، وقـال ابن الأشتر: ما رأيك؟ أخندق على نفسي واتلـوم يـومين أو ثلاثـة؟ قـال عميـر ابـن الحباب: لا تفعل، إنّا لله! هل يريد القوم إلاّ هذه؟! إن طاولوك وماطلوك فهو خيـر لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم فإنّهم قد ملئوا منكم رعباً، فأتهم فإنّهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة، أنسوا بهم واجترأوا عليهم.

قال إبراهيم: الآن علمت أنّك لي ناصـح، صـدقت، الـرأي مـا رأيـت أمّـا إنّ صاحبي بهذا أوصاني وبهذا أمرني، قال عميـر: فـلا تعـدون رأيـه، فـإنّ الـشيخ قـد ضرّسته الحروب وقاسى منها ما لم تُقاسِ، ثمّ إنّ عميراً انصرف.

وأذكى ابن الأشتر حرسه تلك الليلة، الليـل كلـه ولـم يـدخل عينـه غمـض، حتى اذا كان في السحر الأول عبّأ أصحابه وكتّب كتائبه وأمّر أُمراءه، فبعث سفيان ابن يزيد بن مَغْفَل الأزدي على ميمنته، وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته، وهو أخو أبي الأحوص، وبعث عبد الـرحمن بـن عبـد الله، وهـذا أخـو إبـراهيم الأشـتر لأمّه، على الخيل، وكانت خيله قليلـة، فـضمّها إليـه وكانـت فـي الميمنـة والقلـب،

وجعل على رجّالته الطفيل بن لقيط، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك»[١].

ويقول في موضع آخر، وهو يتحدّث عمّن قتل مَنْ؟: يقول أبو مخنف: «حدّثني فضل بن صريح قال: قتل شرحبيل بن ذي الكلاع وادّعى قتله ثلاثة، أولهم سفيان بن يزيد بن مَغْفَل الأزدي»[٢].

وعلى كلّ حال، فقد انتهت المعركة بقتل عبيد الله بن زياد شرّ قتلة من قبل ابن الأشتر، واحتزّ رأسه وجاء به إلى المختار.

حفيد الشهيد الكربلائي

لقد كان لحفيد الشهيد الكربلائي عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المَغْفَل الأزدي دور كبير في الخروج على بني مروان، خصوصاً سليمان بن عبد الملك وحزبه الظالم، حيث لم يطق أن يرى الظلم أمامه ويسكت، وهو من بيت عرف بالجهاد والطاعة لله ولرسوله، وهو ممّن لا تأخذهم في الله لومة لائم، كما كان جدّه وأبوه صاحب الموقف المشرّف في طلب الثأر لشهداء كربلاء، ولذا فإنّ هذه الفئة الضالّة المضلّة لابدّ أن تنتهي ويقضى عليها.

وإذا كان هذا الأمر عسيراً فلا أقلّ من أن تسمع الناس بأنّ هناك في الأمّة من يعارض ومن يقف بوجه الظلم الأموي، ولهذا تراه يتحيّن الفرص من أجل الخروج وتعبئة الناس في هذا الاتّجاه.

وبينما هو في تلك الحال اذ بانت علائم خروج يزيد بن المهلّب على

(١) تاريخ الطبري: ج٦، أحداث سنة٦٧هـ

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، أحداث سنة٦٧هـ

سليمان بن عبد الملك، فأقبل اليه مع مجموعة ممّن عرفوا بالموالاة لأهل البيت، أمثال النعمان بن إبراهيم بن مالك الأشتر وآخرين، ومعهم الألوف ممّن يشاطرهم الرأي، ولمّا رآهم يزيد فرح فرحاً شديداً وجعلهم قادة أساسيّين في حربه ضدّ المروانيّين، لشجاعتهم المشهودة وصدقهم في مناهضة هذا الحكم الظالم.

يقول الطبري في هذا المجال: «وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة كثير، ومن الجبال، وأقبل اليه ناس من الثغور، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا اليه، وربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المَغْفَل الأزدي، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، وبعث على ربع كندة وربيعة محمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلّب»[(١)].

ولكنّ المعركة وإن انتهت إلى غير ما كان يتوقّعه ويأمله الثائرون، إلاّ أنّ العبرة بكسر حاجز الخوف، والوقوف بوجه هذه الجرثومة التي أخذت تعيث في جسد الأمّة الإسلامية فساداً، والتي اذا ما تركت دون مقاومة ورفض فإنّها سوف تأتي على كلّ هذا الجسد، فلا تجد ثمّة صلاة ولا صياماً ولا حجّاً ولا أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر، وكذا المبادئ والقيم كانت ستضيع، ولن يبقى منها إلاّ ما كان موافقاً للطبع المنكوس للبيت الأموي المرواني، فيكون الإسلام على إثرها إسلام بني أميّة وليس إسلام رسول الله.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.

ولذلك فإنّ هذه الثورات حتى وإن لم تحقّق نصراً ميدانياً، إلاّ أنّها حملت رسالة مفادها عدم شرعية هذه الدولة، وأنّ على أحرار الأمّة تقع مسؤولية التغيير مهما كان الثمن، متّكلين على الله وتاركين اليه عواقب الأمور.

الشهيد الكربلائي مع علي عليه السلام

حينما نقرأ عن حياة هذا الشهيد ومواقفه بحسب الروايات المتناثرة في كتب التاريخ، والتي يصعب جمعها، نجد أنّ لهذا الشهيد مواقف عظيمة منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أدركه وهو في مقتبل العمر، واستمرت مواقفه مع أمير المؤمنين في أكثر من معركة، حتى سقط في إحدى معارك أمير المؤمنين جريحاً، كما تنادى الناس في وقتها، وكما سيأتينا لاحقاً، ثمّ مع ولده الحسن، ثمّ ختمها مع سيّد الشهداء بشهادة جعلت روحه تخلد بخلود الحسين وثورته. وسوف نذكر بعضاً منها:

أولاً: موقفه مع علي عليه السلام في حربه ضدّ الخوارج: تميّز موقف الشهيد في حرب الخوارج بأنّه كان مصداقاً لقول الله تعالى:

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ ﴾[1].

حيث شهد له الأبطال ـ كما سيأتينا ـ بأنّه كان يعدل في قتاله عشرة، حيث كان اذا وقف أمام عشرة قاتلهم في وقت واحد وانتصر عليهم، لاسيما مع الخوارج الذين عرفوا بالقسوة والغلظة والشدّة والتحجّر وإشاعة الرعب والخوف

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

في نفوس المسلمين.

ولهذا كان الإمامعليه السلام بحاجة إلى مقاتلين أشداء أبطال شجعان ليتمكّن من مواجهتهم والقضاء عليهم، وينقل التاريخ لنا بأنّ الخوارج قاموا بالإغارة على بعض المناطق التابعة لأمير المؤمنين في منطقة هيت وما حولها، وقتلوا بعض المسلمين هناك، فكتب والي أمير المؤمنين قرظة بن كعب الأنصاري إلى الإمام وأعلمه بأمر هؤلاء الجماعة وما صنعوا من جرائم، وأنّهم على ما نُقل الينا في قرية يقال لها «نفرّ». يقول الطبري:

«قال أبو مخنف وحدّثني أبو الصلت الأعور التيمي عن أبي سعيد العقيلي عن عبد الله بن وائل قال: كتب عليعليه السلام معي كتاباً إلى زياد بن خصفة وأنا يومئذ شابّ حدث: أمّا بعد، فإنّي كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتيك أمري، وذلك لأنّي لم أكن علمت إلى أيّ وجه توجّه القوم (يقصد الإمام جماعة الخوارج) وقد بلغني أنّهم أخذوا نحو قرية يقال لها «نفر» فاتبع آثارهم وسل عنهم، فإنّهم قد قتلوا رجلاً من أهل السواد مصلياً، فإذا أنت لحقتهم فأرددهم إليّ، فإن أبوا فناجزهم، واستعن بالله عليهم فإنّهم قد فارقوا الحقّ وسفكوا الدم الحرام وأخافوا السبيل، والسلام».

فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أمضي مع زياد بن خصفة اذا دفعت اليه كتابك إلى عدوك، فقال: يا بن أخي، إفعل، فوالله إنّي لأرجو أن تكون من أعواني على الحقّ وأنصاري على القوم الظالمين، فقلت له: أنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ومن أولئك، وأنا حيث تحبّ، قال ابن وائل: فو الله ما أحبّ أن لي بمقالة عليّ

تلك حُمُر النعم، ثمّ يقول: مضيت إلى زياد بن خصفة بكتاب عليعليه السلام فقال لي زياد: يا بن أخي، والله ما لي عنك غناء، وإنّي لأحبّ أن تكون معي في وجهي هذا، فقلت: قد استأذنت أمير المؤمنين في ذلك فأذن لي فسرّ بذلك(١).

وذكر الطبري كيف التقى الجمعان وكيف حاول وفد أمير المؤمنين، على عادته الإسلامية في التمسّك بالمثل العليا، أن يجعلوا بينهم حواراً قبل أن يبدأ القتال، فتحدّث زياد بن خصفة مع الخرّيت بن راشد الخارجي، وكان رئيسهم.

يقول الطبري:

«فقال له زياد: ما الذي نقمتموه على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقتنا؟ فقال: لم أرض صاحبكم إماما ولم أرض سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس، فإذا اجتمع الناس على رجل لجميع الأمّة رضى كنت معهم.

فقال له زياد: ويحك! وهل يجتمع الناس على رجل منهم يداني صاحبك الذي فارقته علماً بالله وبسنن الله وكتابه، مع قرابته من الرسول وسابقته في الإسلام؟! فقال: ذلك ما أقول لك. فقال له زياد: ففيم قتلتم ذلك الرجل المسلم؟ قال: ما أنا قتلته، إنّما قتلته طائفة من أصحابي. قال: فادفعهم الينا، قال ما إلى ذلك من سبيل. قال: كذلك أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع»(٢).

ثمّ ذكر الطبري الواقعة بالتفصيل، حيث التقى الفريقان ودارت بينهم حرب

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤ ص٩٥.

شرسة، من أول النهار حتى الليل، ثمّ هرب الخوارج إلى جهة البصرة وتبعهم أصحاب أمير المؤمنين.

يقول زياد: فلمّا وصلنا إلى هناك، بلغنا أنّهم ذهبوا إلى جهة الأهواز، فكتبت إلى أمير المؤمنين ما جرى بيننا وبينهم من الحوار والقتال، وإنّنا الآن نداوي جراحنا في البصرة، وهم ذهبوا إلى جهة الأهواز.

وفي هذا الظرف الخاصّ الذي يحتاج فيه أمير المؤمنين إلى الرجال للقضاء على هذه الفئة الضالّة لم يجد بدّاً من أن يقرأ كتاب زياد بن خصفة على مسامع المؤمنين في الكوفة حتى يضعهم أمام الأمر الواقع خصوصاً بعد وصول الأخبار بالتحاق مئتين من الخوارج بهم من الكوفة. يقول الطبري، وهو يتحدث عمّا جرى بعد وصول الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام واطّلاع الأصحاب عليه:

«فقام اليه معقل بن قيس فقال: أصلحك الله يا أمير المؤمنين، إنّما كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كلّ رجل منهم عشرة من المسلمين، فإذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم ـ إلى قوله ـ فقال ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ: تجهّز يا معقل إليهم، وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن مغفّل الأزدي، وكتب إلى ابن عباس: أمّا بعد، فابعث رجلاً من قبلك صلباً شجاعاً معروفاً بالصلاح، في ألفي رجل فليتبع معقلاً»[1].

ودعا أمير المؤمنين عليه السلام زياد بن خصفة وأصحابه بالرجوع، وجزّاهم خيراً على موقفهم، وذكر عليه السلام ما سيؤول إليه مصير هؤلاء الشرذمة حيث قال في كتابه

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص٩٥.

الذي كتبه لزياد:

«أمّا بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت ـ إلى قوله عليه السلام ـ وأمّا عدوّكم الذين لقيتموهم، فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال، وارتكابهم فيه، وردّهم الحقّ ولجاجهم في الفتنة، فذرهم وما يفترون، ودعهم وفي طغيانهم يعمهون، فتسمع وتبصر كأنك بهم عن قليلٍ بين أسير وقتيل»(١).

ثمّ إنّ معقلاً لمّا وزّع جماعته بين يمين وشمال وقلب، جعل على ميمنته الشهيد الكربلائي يزيد بن المَغْفَل الأزدي. يقول الطبري:

«فجعل على ميمنته يزيد بن المَغْفَل الأزدي، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبّي من أهل البصرة»(٢).

وحصل اللقاء، وجرت الواقعة، وكادوا أن يستأصلوهم، حتى قتل في تلك الواقعة أخو الخرّيت بن راشد، جندب بن راشد، وهرب الخرّيت إلى جهة البحر، حيث قومه هناك، فدعاهم إلى الوقوف معه ضدّ علي بن أبي طالب، ولم يزل يقنعهم على ذلك حتى خرج معه خلق كثير، «وكتب معقل إلى علي عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله علي أمير المؤمنين، من معقل بن قيس، سلام عليك فإنّي أحمد اليك الله الذي لا اله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّا لقينا المارقين، وقد استظهروا علينا بالمشركين، فقتلناهم قتل عاد وإرم، مع أنّا لم نَعدُ فيهم إلا سيرتك، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً، ولم ندفّف منهم على جريح، وقد نصرك الله والمسلمين

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤ ص٩٥.

والحمد لله ربّ العالمين»[١].

فلمّا قرأ أمير المؤمنين الكتاب، استشار من معه، فاستقرّ الرأي على أن يتبع معقل بن قيس الفاسق حتى يقضي عليه، وكتب اليه في ذلك: «أمّا بعد، فالحمد لله على تأييد أوليائه وخذلان أعدائه، جزاك الله والمسلمين خيراً، فقد أحسنتم البلاء وقضيتم ما عليكم، وسل عن أخي بني ناجية، فإن بلغك أنّه استقرّ ببلد من البلدان فسر اليه حتى تقتله، فإنّه لن يزال للمسلمين عدوّاً وللقاسطين وليّاً ما بقي والسلام»[٢].

وينقل المؤرّخون أنّ الخرّيت بن راشد حشد قومه ضدّ علي، وجنّد معه جماعته من الخوارج، بل وحتى من كان يرى مظلومية عثمان بإظهار أنّه يرى نفس رأيهم، وكان هناك جماعة من الناس قد منعوا الزكاة، فأقبل اليهم وقال لمن منع الزكاة منهم: شدّوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم، وكان في المنطقة مجموعة من النصارى قد كان أسلم كثير منهم، فلمّا رأوا القتل والقتال وما اختلف فيه الناس قالوا: والله لديننا الذي خرجنا منه خير من هذا الدين، فأقبل اليهم الخرّيت وقال لهم: إلى أين أنتم ذاهبون، أتعلمون ماذا سوف يصنع علي بكم إن ظفر بكم، والله إنّه سوف لن يرى لكم قولاً ولا يسمع لكم غدراً ولا يقبل لكم توبة، وإنّ حكمه فيكم لضرب العنق، وهكذا جمع الجموع وخدع الجميع واجتمع اليه ناس كثير. يقول الطبري:

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤ ص٩٦.

«عن أبي الطفيل قال: كنت في الجيش الذين بعثهم علي بن أبي طالب إلى بني ناجية فقال: انتهينا إليهم فوجدناهم على ثلاث فرق، فقال أميرنا لفرقة منهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم نصارى، لم نرَ ديناً أفضل من ديننا فثبتنا عليه، فقال لهم: اعتزلوا. وقال للفرقة الأخرى: ما أنتم؟ قالوا: نحن كنّا نصارى فأسلمنا فثبتنا على إسلامنا، فقال لهم: اعتزلوا، ثمّ قال للفرقة الثالثة: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا، فلم نرَ ديناً افضل من ديننا الأول، فقال لهم: أسلموا فأبوا، فقال: لأصحابه: فشدّوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية، ثمّ قرأ عليهم معقل بن قيس كتاب علي عليه السلام هذا نصه «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من يقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين والنصارى والمرتدّين عن الإسلام، سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت، وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين. أمّا بعد، فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، والعمل بالحقّ وبما أمر الله في الكتاب، فمن رجع إلى أهله منكم وكفّ يده واعتزل هذا الهالك الحارب الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين وسعى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه. ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا، استعنّا بالله عليه وجعلنا الله بيننا وبينه وكفى بالله نصيراً.

وأخرج معقل راية أمان فنصبها وقال: من أتاها من الناس فهو آمن، إلاّ الخرّيت وأصحابه، الذين حاربونا وبدأونا أوّل مرّة، فتفرّق عن الخرّيت جلّ من كان معه من غير قومه، وعبّأ معقل بن قيس أصحابه، فجعل على ميمنته يزيد بن المَغْفَل الأزدي، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضّبي، ثمّ زحف بهم نحو

الخريت»[(١)].

ويقول في موضع آخر:

«عن عبد الله بن فقيم قال: سار فينا معقل فَحّرضَ الناس فيما بين الميمنة والميسرة يقول: أيّها الناس المسلمون، ما تريدون أفضل ممّا سيق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم، إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة وارتدّوا عن الإسلام ونكثوا البيعة ظلماً وعدواناً، فأشهد لمن قتل منكم بالجنّة، ومن عاش فإنّ الله مقرّ عينه بالفتح والغنيمة، ففعل ذلك حتى مرّ بالناس جميعاً، ثمّ إنّه جاء ووقف في القلب برايته، ثم أنّه بعث إلى يزيد بن المَغْفَل وهو في الميمنة أن احمل عليهم، فحمل عليهم فثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً، ثمّ إنّه انصرف حتى وقف موقفه الذي كان به في الميمنة»[(٢)].

وهكذا صنع مع الميسرة، ولم تمضِ إلاّ مدة من الزمن وجيزة حتى قضي عليهم قضاء مبرماً، وقُتل الخرّيت بن راشد ومائة وسبعون من جماعته، وفرّ الباقون، وسُبي من سُبي منهم، وكتب معقل إلى امير المؤمنين يقول: «أمّا بعد، فإنّي أخبر أمير المؤمنين عن جنده وعدوّه إنّا دفعنا إلى عدوّنا بالأسياف، فوجدنا بها قبائل ذات عدّة وحدّة وجدّ، وقد جمعت لنا وتحزّبت علينا، فدعوناهم إلى الطاعة والجماعة وإلى حكم الكتاب والسنّة، وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين، ورفعنا لهم راية أمان، فمالت الينا طائفة منهم وبقيت طائفة أخرى منابذة، فقبلنا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص٩٨ ـ ٩٨.

(٢) نفس المصدر.

من التي أقبلت وصمدنا صمداً للتي أدبرت، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم، فأمّا من كان مسلماً فإنّا مننا عليه وأخذنا بيعته لأمير المؤمنين، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم، وأمّا من ارتدّ منهم عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلاّ قتلناه، فرجعوا غير رجل واحد فقتلناه، وأمّا النصارى فسبيناهم، وقد أقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لما بعدهم من أهل الذمّة لكيلا يمنعوا الجزية، ولكيلا يجترئوا على قتال أهل القبلة، وهم أهل الصغار والذلّ، رحمك الله يا أمير المؤمنين وأوجب لك جنّات النعيم، والسلام»[١].

موقف الشهيد الكربلائي في صفين

لا يسع الإنسان وهو يتحدث عن صفّين إلاّ أن يقول بأنّها كشفت عن معادن الرجال، وبينّت حقائقهم من دعاواهم، فقد كانت مختبراً عظيماً على كلّ الصُعْد، حيث رفعت أُناساً ووضعت آخرين، رفعت من ثبت في دفاعه عن الحقّ، وخفضت من تزلزلت قدمه.

وربما ساقنا الحديث إلى الحديث عن صفّين وما جرى فيها من مواقف وأحداث مهمة إلى الحديث عن شهداء كربلاء الذين كان لجُلّهم مشاركة واضحة فيها، ومنهم شهيدنا الكربلائي يزيد بن مغفّل الأزدي، والذي يتحدّث نصير بن مزاحم عن بطولته وشهامته في تلك الحرب، حيث يذكر بأنّه قاتل قتالاً شديداً شهدت له فيه الأبطال حتى أثخن بالجراح وسقط على الأرض، حتى ليحس كلّ من رآه سقط أنّه فارق الحياة، وربما كان لسقوطه متابع من أحد

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص٩٩.

اقربائه الأزديّين من أهل الشام، فجاء وطلب الإذن في أخذه يقول نصر بن مزاحم في هذا المجال:

«فحدّثنا عمر قال: حدّثنا الصلت بن زهير قال: حدّثني عبد الرحمن بن مخنف قال: صرع[١] يزيد بن مغفل إلى جنبي فقتلت صاحبه[٢] وقمت على رأسه، وقُتلَ أبو زينب بن عروة فقتلت صاحبه، وجاءني سفيان بن عوف[٣] فقال: أقُتِلَ يا معشر الأزد يزيد بن المَغْفَل؟ فقلت له: أي والله، إنّه لهذا الذي تراني قائماً على رأسه، قال: ومن أنت حيّاك الله؟ قلت: أنا عبد الرحمن بن مخنف، فقال: الشريف الكريم، حيّاك الله ومرحباً بك يا بن العمّ، ألا تدفعه إليّ فأنا عمّه سفيان بن عوف ابن المَغْفَل، فقلت: مرحباً بك، أمّا الآن فنحن أحقّ به منك، ولسنا بدافعيه اليك، وأمّا ما عدا ذلك فلعمري أنت عمّه ووارثه»[٤].

وهذه الرواية إن دلّت على شيء فإنّها تدلّل على أنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده خيراً، رغّبه في الآخرة، وزهّده في الدنيا، وهيّأ له الأسباب، ووفّقه للسعي والجدّ والاجتهاد، وألهمه الإخلاص، وهذا ما حصل مع الشهيد الكربلائي، حيث بذل الجهد منذ كان شاباً يافعاً يوم أدرك رسول الله، وخاض معه ألوان المشقّة والعذاب، وتعرّض للكثير من المصائب والآلام، ولمّا علم الله سبحانه

(١) الصَرعُ: الطَرْحُ بالأرض، ولا تعني بالضرورة القتل، ويقال للقتيل صريع تجوّزاً، لكونه مطروحاً على الأرض.

(٢) يعني قاتله.

(٣) هو سفيان بن عوف بن المَغْفَل الأزدي، وكان مع معاوية.

(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ج٤ ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

صدقه، هيّأ له الأسباب لينال شهادة عظيمة كريمة تذكرها الأجيال خَلَفاً بعد سَلَف، وهي الشهادة التي نالها بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

الشهيد في كربلاء

لقد أعطانا الشهيد الكربلائي درساً عظيماً في التضحية والفداء، وأنا أقطع بأنّ الشهيد لم يزده تفرّق الناس عن علي عليه السلام أمير المؤمنين وعن أهل البيت إلاّ وعياً وفهماً وبصيرةً، ودارت الأيّام، وإذا بواقعة كربلاء تأتي من أجل أن يختم حياته بالشهادة فيها مع الحسين عليه السلام بعد أن لقي جيش عمر بن سعد ما لم يكن يتوقعه من شدّة بأس أصحاب الحسين وصبرهم وتفانيهم، ولعلّ قتال الشهيد يزيد ابن مَغْفَل الأزدي وأصحابه هو الذي جعل قائد ميمنة عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج الزبيدي «يقول: يا أهل الكوفة، أتدرون من تقاتلون تقاتلون، فرسان المصر وأصحاب البصائر وقوماً مستميتين لا يبرز اليهم أحد إلاّ قتلوه على قلّتهم»[(١)].

يقول ابن شهر آشوب:

لمّا التحم القتال في يوم العاشر استأذن يزيد بن مَغْفَل الحسين في البراز فأذن له، فتقدّم أمام القوم وهو يرتجز ويقول:

أنـا يزيـدٌ وأنـا بـن مَغْفَـل ... وفي يميني نصل سيف منجلِ

أعلو به الهامات وسط القسطل[(٢)] ... عن الحسين الماجد المفضّلِ

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٥.

(٢) القسطل: الغبار الذي تثيره حوافر الخيل في الحرب.

وقال المرزباني في معجمه: «إنّه لمّا جدّ القتال تقدّم وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن مغفل   شاكٍ لدى الهيجاء غير أعزل

وفي يميني نصل سيفٍ منصل   أعلو به الفارس وسط القسطلِ

يقول: فقاتل قتالاً لم يَرُ مثله، حتى قتل جماعة من القوم إلى أن قتل رضي الله عنه»[1].

بعدما أبلى أحسن البلاء، وبالغ في الدفاع، وأعطى غاية المجهود، وتحرّك بأعلى درجات الإخلاص فالسلام عليك أيّها الشهيد، يا من أثخنت بالجراح، وسالت منك الدماء، وسقطت إلى الأرض في ساحات الوغى أكثر من مرّة، فالسلام عليك بما صبرت واحتسبت فنعم عقبى الدار يوم ولدت والسلام عليك بما صبرت واحتسبت فنعم عقبى الدار، والسلام عليك يوم استشهدت ويوم تبعث حيّاً مع الحسين عليه السلام.

---

(١) ابصار العين: ص ١٢٠.

الشهيد عبد الله بن بشر الخثعمي عليه السلام

قمّة من قمم الإيمان، وصحابي من أصحاب رسول الله الأجلّاء، ورجل أنهكته الحروب والغزوات التي خاضها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ مع علي بن أبي طالب في حروبه الثلاث، ثمّ مع الإمام الحسن عليه السلام في أيّام محنته مع معاوية، وأخيراً ختمها بشهادة كريمة مباركة أسال بها دمه الطاهر بين يدي سيّد الشهداء، ولسان حاله يقول: سيّدي أبا عبد الله، لو كنت أملك غير هذه النفس لقدّمتها بين يديك رخيصة، فكيف وهي نفس واحدة لا أملك غيرها، وكان هو وأبوه من رواة الأحاديث، بل وكان أحفاده من العلماء الكبار والرواة الكرام وحملة العلوم الدينية، ولهم مواقف مشهودة كما سيأتي الحديث عنها.

اسم الشهيد ونسبه

ينتسب الشهيد الكربلائي إلى قبيلة خثعم في أحسن الأقوال وأصحّها، وذلك لورود الاختلاف في اسمه ونسبه، حيث نسبه بعضهم إلى الخثعمي ونسبه آخرون إلى الجشعمي وبعضهم إلى الغنوي، وسيأتينا بعد ذلك ثمرة الأخذ بالرأي

الأقوى والأصحّ وهو الخثعمي دون غيره[١].

وقد ورد الاختلاف في اسمه واسم أبيه، حيث ذهب بعضهم إلى أنّ اسمه عبد الله وبعضهم إلى عبيد الله وبعضهم إلى عبيد من دون إضافة، وكذلك ورد نفس الشيء في اسم أبيه، حيث ذهب البعض إلى أنه بشر والآخر إلى بشير[٢]، وإن كان الأقوى والأصحّ أنّه عبد الله بن بشر الخثعمي دون غيره.[٣]

قبيلة الشهيد (خثعم)

اختلف العلماء وأهل الأنساب في خثعم إلى أقوال، حيث نسبها بعضهم إلى قحطان، وإن كان الاشهر أنّها تنتهي إلى قبيلة عدنان، على أساس أنّ كلّاً من قحطان وعدنان كان له ولد من أحفاده يقال له خثعم.

وهناك من يذهب إلى أنّ خثعم إنّما هو اسم جبل بالسراة، فمن نزل ذلك الجبل فهو خثعمي، قاله الخليل والزبير بن بكار، وقال أبو عبيدة، خثعم التلطّخ بالدم، حيث كان هناك جمل نحروه اسمه خثعم، وغمسوا أيديهم في دمه، وهناك من يذهب إلى غير ذلك[٤].

وتقطن هذه القبيلة منطقة سراة في اليمن، مع عدد من القبائل من بينها بجيلة

(١) السلسلة الضعيفة للألباني: ص٧٧٨.

(٢) إبصار العين للسماوي: ص١٣٣؛ تعجيل المنفعة لابن حجر: ص٥٢٤.

(٣) إبصار العين: ص١٣٣.

(٤) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقّا: ج٢ ص٤٨٩.

وغامد وبارق وغامق والأزد، ومن مدن خثعم تبالة وبيشة وشمال جرش، وشرقيها، ولمّا أرسل رسول اللهﷺ صُرد بن عبد الله الأزدي لقتال المشركين من خثعم، تحصّنوا في جرش. وأمّا قصّة إسلامها فيقال إنّه لمّا قدم جرير بن عبد الله البجلي المدينة مع وفد بجيلة، أمره رسول الله بتحطيم صنم ذي الخلصة، وهو صنم أبيض متوّج، فتوجّه جرير إلى قبيلته واستعان ببني أحمس، فتوجّهوا إلى الصنم المذكور وقتلوا مائة رجل من باهلة ومائتي رجل من خثعم كانوا حُجّاباً لذي الخلصة، وهزموا الباقين، ثمّ ضربوا الصنم وأحرقوه وأضرموا فيه النيران، وبعد تخريب ذي الخلصة قدم إلى رسول اللهﷺ عثعث بن زحر، وأنس ابن مدرك في رجال من خثعم وأعلنوا إيمانهم بالله وبرسوله وبما جاء به الرسول، فكتب لهم رسول الله كتاباً أباح فيه كلّ دم سفكوه في الجاهلية، وأمرهم بالتصدّق بعشر غلات أراضيهم الديمية والمسقية، وعيّن لهم حدود مراتعهم(١).

وهناك رواية أخرى في إسلامهم تدلّل على أنّهم كانوا من أهل الفكر والوعي والبصيرة، بحيث كانوا من الموفّقين ان طلبهم الله عزّ وجلّ لدينه وإسلامه، بحيث تحوّل مثل هذا الأمر إلى معجزة وكرامة لرسول الله، أوردها بعضهم في باب دلائل رسول الله على نبوته.

قال الخرائطي: «وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر، حدثنا عمارة بن زيد، حدثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، حدثني شيخ من الأنصار يقال له عبد الله بن محمد، من آل محمد بن مسلمة قال: بلغني أنّ

---

(١) لبّ الألباب في معرفة الأنساب للسيوطي، باب الحاء والثاء (خثعمي).

رجالاً من خثعم كانوا يقولون: إنّ ممّا دعانا إلى الإسلام أنّا كنّا قوماً نعبد الأوثان، فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا اذ أقبل نفر يتخاصمون اليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم، إذ هتف هاتف بهم يقول:

يا أيّها الناس ذوو الأجسام — من بين أشياخٍ إلى غلّام

ما أنتم وطائش الأحلام — ومسند الحكم إلى الأصنام

اكلّكم في حَيْرةِ النيامِ — أم لا ترون ما الذي أمامي

من ساطعٍ يجلو دجى الظلام — قد لاح للناظر من تُهام

ذاك نبيٌّ سيّد الأنام — قد جاء بعد الكفر بالإسلام

أكرمه الرحمن من إمام — ومن رسولٍ صادقِ الكلام

أعدل ذي حكمٍ من الأحكام — يأمر بالصَلاة والصيام

والبرّ والصِلات للأرحام — ويزجر الناس عن الآثام

والرجس والأوثان والحرام — من هاشمٍ في ذروة السنام

مستعلناً في البلد الحرام

قال: فلما سمعنا ذلك تفرّقنا عنه وأتينا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمنا عنده».(١)

ومهما يكن فلقد أسلمت هذه القبيلة، وأخرجت الرجال والنساء الذين وقفوا مواقف مشرّفة في الدفاع عن الإسلام، فكانوا من أكثر الناس شجاعة وعلماً وعبادة وحلماً نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، النعمان بن محمية الخثعمي، يقال له ذو الأنف، والذي قاد خيل خثعم إلى النبي يوم الطائف وكانوا مع ثقيف، وعبد الله بن حبش، وهو أحد رواة الحديث وأبو رويحة الخثعمي،

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم: ج١ ص١٤٥ ح٦٤؛ بحار الأنوار: ج٦ ص٣١٩.

عون بن عميس أخو أسماء، الذي قتل يوم الحرّة من قبل جيش يزيد، سلمى بنت عميس، أسماء بنت عميس، سلمى بنت أنس، عبد الله بن يزيد الخثعمي، بشر بن عمارة الخثعمي، ثعلبة بن مسلم الخثعمي، حصين بن عوف الخثعمي، وآخرين لا يسعنا ذكرهم.

والد الشهيد

هو بشر بن ربيعة الخثعمي، وهو صحابي جليل، أسلم فيمن أسلم من خثعم وحسن إسلامه، وقد عُرف الرجل بشجاعته المتميّزة في ساحات القتال حتى عرّفه العلماء بأنّه كان له ذكر في المغازي والحروب[(١)].

ولقد كانت له مواقف كثيرة، يذكرها المؤرّخون، في شجاعته وبطولته في ساحات الوغى، وخصوصاً في معركة القادسية، حيث أبلى بلاءً حسناً فيها، حتى «أن سعداً بن أبي وقّاص حينما أراد أن يوزّع الغنائم بقيت فضلة، فكتب إلى عمر ما يفعل بها، فكتب اليه عمر أن فضّها على حملة القرآن، فجاء عمرو بن معدي كرب فسأل سعداً عنها، فقال له: ما معك من كتاب الله؟ قال: شغلت بالقتال والجهاد عن حفظه، فقال: مالك في هذا نصيب، ثمّ جاء بشر الخثعمي فقال له: ما معك من كتاب الله؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فضحك وضحك من كان حوله، فلم يعطه شيئاً، ثمّ كتب إلى عمر مرّة ثانية، فجاءه الجواب أن أعطهما بسبب بلائهما، فأعطى كلّ واحد منهما الغبن»[(٢)].

(١) إبصار العين للسماوي: ص١٣٣.

(٢) الإصابة لابن حجر، بشر بن ربيعة: ج١ ص٧٧٠.

وينقل أنّه قال أبياتاً من الشعر في نفس تلك الواقعة بعثها إلى عمر، منها:

أنخـــتُ[١] ببــاب القادســيّة نــاقتي ... وســـعدُ بـــنُ وقّـــاصٍ علـــيّ أمـــيرُ

تَـــذكّرْ هـــداك الله وقـــع ســـيوفنا ... ببـــاب قـــديسٍ والمكـــرُّ عـــسيرُ

عـــشيّةَ ودَّ القـــوم لـــو أنّ بعـــضهم ... يُعـــار جنـــاحي طـــائر فـــيطيرُ

إذا مـــا فرغنـــا مـــن قـــراعِ كتيبـــةٍ ... دلفنـــا لأخـــرى كالجبـــال نـــسيرُ[٢]

ولا شكّ أنّ كلّ من يقرأ هذه الأبيات يتبادر إلى ذهنه كم كان والد الشهيد الكربلائي شجاعاً وقوياً وصاحب صولات وجولات في ساحات الوغى، بحيث إنّه يشبّه نفسه بالجبل، وربما قولة عمر التي قالها إلى سعد بأن يعطي كلّاً منهما لبلائه في الحرب، لتكشف وبشكل واضح، دوره الكبير في معركة القادسية بل وغيرها من المعارك، لأنّ من كانت طبيعته في معركة من المعارك هكذا فهو في غيرها لا شكّ على نفس الشاكلة، لأنّ الطبيعة الإنسانية لا تتجزّأ.

ومع كلّ ذلك، فإنّ الرجل كان من المبرّزين في الميادين الاجتماعية، بل كان سيّداً في قومه ورئيساً لهم، بل ومعتمداً عندهم وعند أهل الكوفة، حيث ورد في كتب التاريخ حينما أرادت القبائل أن تجعل لها مراكزلتجمّعاتها، وجبّانات لدفن موتاها اتّخدت قبيلة بشر لنفسها خطّة وجبّانة باسم بشر، يقول باقر شريف القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين عليه السلام[٣]: «فكانت كلّ قبيلة تنزل في حي معيّن لها لا يشاركها فيه إلّا حلفاؤها، كما كان لكلّ قبيلة مسجدها الخاصّ

(١) في بعض المصادر: وحلّت بدل أنخت، وفي أخرى تحنّ.

(٢) الوافي بالوفيّات للصفدي، ج١٠، ص٩٢.

(٣) حياة الإمام الحسين: ج٢ ص٤٣٥ ـ ٤٣٦.

ومقبرتها الخاصّة، ويرى ماسنيون أنّ جبّانات الكوفة هي إحدى الصفات المميّزة لطبوغرافيتها».

جبّانة بشر الخثعمي في الكوفة

ومن هنا نفهم أنّه حينما تسمى هذه الخطّة والجبانة باسم بشر الخثعمي والد الشهيد الكربلائي فإنّ هذا يكشف عن أنّ الرجل يحتلّ منزلة اجتماعية ودينية متميّزة في الكوفة بشكل عام، وفي قومه بشكل خاصّ، ويتأكّد لنا هذا الأمر إذا ما علمنا أنّ الجبّانات في داخل الكوفة لم تكن لدفن الموتى فقط، وإنّما كانت محلّاً لتجمّعات القبيلة ومناقشة أمورها، بل مقرّاً عسكرياً واجتماعياً وإدارياً، كما يصرّح بذلك من كتب عن الجبّانات في الكوفة، والدليل على ذلك أنّه حينما أراد المختار أن يخرج على بني أميّة في الكوفة، جعل من هذه الجبّانات تجمّعات عسكرية لبعض القبائل التي انضوت تحت لوائه، وقد أدرك الوالي لبني أميّة هذا الأمر، فبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبّانة السبيع وقال له اكفني قومك ولا تحدثنّ بها حدثاً، وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبّانة بشر بنفس الشيء، وبعث زحر بن قيس الجعفي إلى جبّانة كندة، وهكذا جبّانة العائدين، وجبّانة سالم، وجبّانة المراد[1]، وهكذا بقية الجبّانات، ممّا يدلّل على أهمّيتها في داخل الكوفة، وهذا يعني أنّ من تنسب اليه لا شكّ أنّه يحتلّ منزلة اجتماعية كبيرة في قومه وفي القبائل وفي الكوفة، وهذا ما نريد أن نصل إليه.

---

(١) ابن الأثير، الكامل: ص٧٢٦.

أقوال العلماء في الشهيد الكربلائي

١. يقول ابن الأثير «عبد الله بن بشر الخثعمي، وهو أنصاري من بني خثعم ابن أنمار بن الحراش بن عمرو بن القوت من الأزد القحطانية، وهم إخوة بجيلة».[(١)]

٢. يقول المباركفوري: «عبد الله بن بشر الخثعمي، أبي عمير، الكاتب الكوفي، صدوق من الرابعة».[(٢)]

٣. يقول الشيخ السماوي: «وكان عبد الله بن بشر الخثعمي ممّن خرج مع عسكر ابن سعد ثمّ صار إلى الحسين».[(٣)]

٤. يقول السيد الزنجاني: «كان عبد الله بن بشر الخثعمي من مشاهير الكماة الحماة للحقائق وله ولأبيه ذكر في المغازي والحروب».[(٤)]

٥. قال ابن حجر: «عبد الله بن بشر الخثعمي، روى عن أبيه، وله حجبة».[(٥)]

ومن خلال ما ذكره العلماء وما نقلوه عنه من روايات وما نقله هو رضي الله عنه من روايات وأحاديث، عَدّه العلماء عند الفريقين من أجلّاء الرواة الموثّقين، وقد ذكره العلماء في أسانيدهم وكتب الحديث عندهم، حيث روى عنه الترمذي

---

(١) ج١ ص٢٨٦.

(٢) تحفة الأحوازي بشرح سنن الترمذي: (٣٣١٠).

(٣) إبصار العين: ص١٣٣.

(٤) وسيلة الدارين رقم٩٦.

(٥) تعجيل المنفعة: ص٥٢٤.

والنسائي والبخاري وأحمد بن حنبل وآخرون، فضلاً عن علماء مدرسة أهل البيت، حيث وضعوه في مقدّمة الرواة الموثّقين الذين يؤخذ منهم ولا يسأل عنهم، وها نحن في هذه الوريقات القليلة نحاول أن نسلّط الأضواء على بعض هذه الروايات التي رواها الشهيد الكربلائي عن رسول الله وعن أهل البيت عليهم السلام لنجعل منها طريق هدايةٍ نسير فيه للوصول إلى رضوان الله سبحانه وتعالى.

مع الشهيد الكربلائي في رواياته

١. روى النسائي في باب الاستعاذة من كآبة المنقلب[١]: «عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سافر فركب راحلته قال بإصبعه هكذا، ومدّ شعبة إصبعه وقال: «اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد، اللهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب». ما أجمل هذا الدعاء وما أعظم هذه الرواية، حيث تتحدّث عن ذلك الإنسان الذي يعزم على السفر فيعيش في نفسه بعض المخاوف المتعلّقة بسفره أو بمن يخلّفهم وراءه، فيأتي هذا الدعاء ليربط على قلب هذا الإنسان إذا فوض أموره إلى الله تعالى في جميع الأحوال، واستودعه جميع ودائعه، وهو الذي لا تضيع لديه الودائع.

٢. روى البيهقي وغيره عن علي بن حرب، حدثنا عبد الله بن بشر الخثعمي «عن رجل من قومه، أنّ رجلاً سقطت عليه جرّة من دير بالكوفة وفيها ورق، فأتى بها علياً فقال له: قسّمها خمسة أقسام (أخماساً) ثمّ قال: خذ منها أربعة ودع واحدة،

---

(١) النسائي، باب الاستعاذة من كآبة المنقلب: ج٤ ص٤٦٠، الترمذي/ ح٣٧٦٩.

ثمّ قال: في حيك فقراء أو مساكين؟ قال: نعم، قال: خذها قسّمها فيهم»[(١)].

وقد روى هذه الرواية باختلاف يسير كذلك المغني لابن قدامة، حيث جاء فيه: «أنّ علياً أمر صاحب الكنز أن يتصدّق على المساكين؛ حكاه الإمام أحمد وقال: حدّثنا سعيد، حدّثنا سفيان عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن رجل من قومه يقال له ابن حممة قال: سقطت عليّ جرّه من دير قديم بالكوفة عند جبّانة بشر، فيها أربعة آلاف درهم، فذهبت بها إلى علي عليه السلام فقال: أقسمها خمسة أخماس، فقسمتها فأخذ علي منها خمساً وأعطاني أربعة أخماس، فلمّا أدبرت دعاني فقال: في جيرانك فقراء ومساكين؟ قلت نعم، قال: فخذها وقسّمها بينهم»[(٢)].

وهناك آخرون رووا مثل هذه الرواية، عن الشهيد الكربلائي، وهناك جملة من النقاط المهمة على هذه الرواية والتي نودّ أن نسلّط الأضواء عليها.

١. إنّ أول ما يتبادر إلى الذهن ونحن نقرأ هذه الرواية التي رواها لنا الشهيد الكربلائي حول الخمس، أنّه يتعلّق ليس فقط في غنائم الحرب، بل يتعلّق بكلّ غنيمة يحصل عليها الإنسان أيّاً كان مصدرها إن كانت من الحلال، وهذا ما طبّقه أمير المؤمنين مع الرجل الذي سقطت عليه الجرّة من تلك الكنيسة والتي عدّها الإمام من جملة المغانم التي حصل عليها هذا الإنسان، فأخرج منها خُمسها واعطى الباقي له، وهذا الحكم يمثّل الرأي الذي تذهب اليه مدرسة أهل البيت، والتي لا تجعل الخمس محصوراً في باب غنائم الحرب بل يشمل كلّ

(١) سنن البيهقي، كتاب الزكاة، باب الركاز.

(٢) المغني لابن قدامة، باب الزكاة، الفصل الرابع.

غنيمة يحصل عليها الإنسان انطلاقاً من معنى الغنيمة الذي يشمل غنائم الحرب وغيرها لغة، وهو قوله:

﴿ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [1].

حيث يذهب علماؤنا إلى أنّ الآية وإن نزلت في مورد خاصّ، فإنّ خصوص المورد لا تخصّص الوارد، كما هو مسلّم عند الأصوليين. يقول السيّد الطبطبائي في الميزان[2]: «قوله:

﴿ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾.

الغنم والغنيمة، إصابة الفائدة من جهة تجارةٍ أو عملٍ أو حرب، وينطبق بحسب مورد نزول الآية على غنيمة الحرب.

قال الراغب[3] الغنم ـ بفتحتين ـ معروف، قال:

﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ [4].

والغنم ـ بالضم والسكون ـ إصابته والظفر به، ثمّ استعمل في كلّ مظفور به من جهة العِدى وغيرهم قال:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) تفسير الميزان، سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٣) مفردات الراغب: ص٣٧٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾[1] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا﴾[2].

والمغنم ما يغنم، وجمعه مغانم، قال:

﴿فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[3] انتهى.

بينما تذهب المدرسة الأخرى إلى أنّ الخمس في خصوص غنائم الحرب، لأنّها نزلت فيها فنقتصر على مورد النزول ولا نعمم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الجرّة التي سقطت على رأس الرجل من تلك الكنيسة التي يبدو أنّها كانت مهجورة وقديمة لا يدخل إليها أحد، وقد هجرها أهلها وجُهل موضع أصحابها، كانت تحمل أربعة آلاف درهم، ممّا كان يعني أنّها أدخلت في باب الكنز والركاز، والذي يُعدّ واحداً من جملة موارد الخمس التي ذكرها الفقهاء وعمل بها حسب مدرسة أهل البيت، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «الكنز ويسمى ركازاً، من ركز في الأرض اذا خفي، ومنه قوله تعالى:

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

أي صوتا خفيّاً، والمراد به هنا المال المدفون في الأرض، نقداً كان او جوهراً، عليه أثر الإسلام او الجاهلية، وجد في أرض أهل الحرب أو السلم، فإنّ من وجد شيئاً من ذلك فهو ملك له وعليه خمسه اذا بلغ النصاب، وهو عشرون

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأنفال، الآية٦٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٤.

ديناراً، ولا شيء فيما دون ذلك. سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن مقدار الكنز الذي يجب فيه الخمس فقال:

«ما تجب فيه الزكاة من ذلك بعينه ففيه الخمس، وما لم يبلغ حدّ ما تجب فيه الزكاة فلا خمس فيه، أي ما قيمته عشرون ديناراً أو أربعمائة درهم»[1].

والعجيب في الأمر أنّ المدرسة الأخرى، في الوقت الذي تستدلّ فيه بنفس هذه الرواية للشهيد الكربلائي وغيرها، على وجوب الخمس في الركائز والكنز، حتى أنّ البخاري أفرد باباً أسماه باب في الركاز الخمس، إلّا أنّهم يرفضونها عملياً، ويصرّون على أنّ الخمس محصور في باب الغنائم من الحرب، وبما أنّه لا حرب بعد رسول الله فلا خمس. ومن أراد أن يتوسّع في ذلك فعليه بالرجوع إلى الموسوعة الفقهية الكويتية.[2]

٢. روى الكليني في أصول الكافي[3]، «عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن يونس بن يعقوب عن الحارث بن المغيرة، وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي، سمعوا أبا عبد الله (الحسين) يقول:

«إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة

---

(١) فقه الإمام جعفر الصادق: ج٢ ص١١٤.

(٢) ج٢٤ ص١١٨ وما بعدها.

(٣) أصول الكافي: باب أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنّه لا يخفى عليهم شيء.

وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون».

قال: ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه، فقال:

«**علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ حيث يقول:**

﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.»[١]

والحقيقة أنّ هذه الرواية من الروايات التي كثر فيها الكلام من قبل الخاصّ والعامّ، والتي أراد أعداء أهل البيت أن يتمسّكوا بها من أجل أن يؤكّدوا ظلماً وزوراً على أنّ شيعة أهل البيت تغالي في أئمّتهم، وأنّهم ينسبون اليهم صفات الألوهية، من علم بالغيب وما شاكل ذلك، مع أنّ الرواية تريد أن تشير إلى موضوع مهم وأساس بعيد كلّ البعد عمّا ذهب اليه الحاقدون على أئمة أهل البيت وشيعتهم، وهي مسألة العلم التي لابد أن يحتاج إليه الإمام في حياته لبيان الأحكام الإلهية بشكل صحيح من غير لبس، ولكني وقبل أن أتناول هذه الرواية وما تحمل من إشارات، أودّ أن أقول إنّنا اذا أردنا أن نفسّر النصوص الشريفة، من قرآن وسنّة، على حسب الهوى والمتبنّى الفكري والعقيدي، فإنّ كلّ أهل ملّة سوف يجدون ضالتهم في هذه النصوص، وأمّا اذا كنّا ننظر إلى هذه النصوص الشرعية بما هي نصوص، ونتعامل معها على أساس المنهج الموضوعي العلمي في دراسة النصّ، فإنّ الأمر سيكون مختلفاً جدّاً اذا ما فهمنا هذا الأمر، نأتي للرواية فنقول:

١. أمّا قول الحسين عليه السلام: «إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ...الخ» فإنّ الحديث عن علم الغيب حديث طويل تحدّثت عنه آيات كثيرة وروايات

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

متعدّدة يرويها الفريقان عن رسول الله والأئمة الهداة من أهل البيت، وكلّ ما ورد من نصوص في هذا المجال فيحمل على العلم اللا استقلالي بالغيب في قبال العلم الاستقلالي الذاتي، والذي هو من مختصّات الله سبحانه، وغير هذا الكلام لا يقول به مسلم لا في شرق الأرض ولا في غربها، فلا يقول أحد بأنّ نبيّاً من الأنبياء أو وليّاً من الأولياء يعلم الغيب بشكل ذاتي استقلالي، وإنّما يقول بأنّ الله أعلمه وأطلعه فأطلع الناس عليه، وهناك مجموعة من النصوص أودّ أن أضعها بين أيديكم لتتبيّنوا ان ما يثيره الحاقدون لا مبرّر له ولا واقع، وأنّه من محض نسائج الشيطان التي يخيطها في أذهان الجهلة، فقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج من تلك العلوم الغيبية التي أعطاها الله عزّ وجلّ لأنبيائه لمصلحة يعلمها هو، ألم يخبر يوسف أباه يعقوب برؤياه فقال له أبوه:

﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾[1].

وكذلك حينما أخبر يوسف صاحبيه في السجن بتأويل رؤياهما:

﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾[2].

وقال للثاني الذي رأى أنّه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه:

﴿ وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ﴾[3].

وهكذا حينما يتحدّث القرآن بعد ذلك عن يعقوب حينما فصلت العير فقال

(١) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤١.

لأبنائه:

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [(١)].

وكذلك حينما يتحدّث عن عيسى عليه السلام:

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [(٢)].

أليست هذه إخبارات بالغيب من قبل رسل الله، عن الله سبحانه، فإذا ثبت هذا الأمر فلم لا يمكن أن يثبت مثله لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ومن ثم فهم يخبرون عن بعض المغيّبات لمصلحة يراها الله سبحانه وتعالى خصوصاً إذا علمنا أنّ هناك آخرين كذلك أخبروا عن المُغيّبات، وهل أنّ عليّاً أقلّ شأناً من هارون؟ وهل علي أقل من كعب الأحبار؟ الذي أخبر الخليفة الثاني بوفاته حيث أخبره بأنّه سيموت بعد ثلاثة أيّام[(٣)]، وكذلك في مسند أحمد[(٤)] أنّ عمر بن الخطّاب أخبر بموته بسبب رؤيا رآها، وكان بين رؤياه ومصرعه أسبوع واحد؟!

إذن فعلم الله منحصر به اذا أريد به العلم بالذات والاستقلال، وأمّا ما يكون بالواسطة فهو جائزٌ لكلّ من أراد الله إطلاعه على الغيب، وعلمهم عليهم السلام هو من هذا النوع، ولقد قرأت رواية ذكرها كتاب ينابيع المودة، وهي أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال:

«لمّا نزلت الآية:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٣) تاريخ الطبري: ص٦٢٩.

(٤) مسند أحمد: ج١ ص٤٨.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [١].

قام رجلان فقالا: يا رسول الله، من الإمام المبين، أهو التوراة؟ قال: لا قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، فأقبل أمير المؤمنين فقال رسول الله: هذا هو الإمام المبين الذي أحصى الله فيه علم كل شيء»[٢].

ومن ثم من الممكن أن يطّلع النبي والإمام على بعض الأمور الغيبية من قبل الله، لمصلحة هو يراها كموت إنسان أو بيان ما يجري في المستقبل أو بعض أحوال الماضي، أو كما يقول الإمام إنه يعلم ما في الجنّة وما في النار، وبغضّ النظر عن علم الإمام الذي خصّه الله به، فإنّه قد ورد في كتب الفريقين أنّ الناس والأصحاب كانوا يعرفون المؤمن من غيره من خلال بغضه وحبه لعلي بن أبي طالب، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**هذا فاروق أمّتي؛ يفرق بين أهل الحقّ والباطل**»[٣].

حتى إنّ أمّ سلمة قالت: كان رسول الله يقول:

«**لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن**»[٤].

فإذا ثبت ذلك فإن علم الإمام قد يكون تعلّق بهذه النتائج، وفقاً للقانون

---

(١) سورة ياسين، الآية: ١٢.

(٢) ينابيع المودّة: ج١ ص٧٧ طبعة تركيا.

(٣) البدخشي صاحب مفتاح النجاح في نزل الأبرار: ص٢١ و٤٧.

(٤) الترمذي في جامعه: ج٢ ص٢١٣، البيهقي في المحاسن والمساوي: ج١ ص٢٩.

الذي وضع بين يديه، ومن هنا تفهم مغزى تلك الروايات التي وردت في كتب المسلمين من أنّ علياً قسيم الجنّة والنار[١]. وأختمها برواية جميلة ذكرها الشيخ الطوسي في أماليه[٢]:

عن المفضّل بن عمر قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: لم صار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قسيم الجنّة والنار؟ قال:

لأنّ حبّه إيمان وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنّة والنار لهذه العلة فالجنة لا يدخلها إلاّ أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلاّ أهل بغضه، قال المفضّل: قلت: يا بن رسول الله، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام كانوا يحبّونه، وأعداؤهم كانوا يبغضونه؟ قال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال أما علمت أنّ النبي قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ما يرجع حتى يفتح الله على يديه؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أتي بالطائر المشوي قال صلى الله عليه وآله: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك اليك يأكل معي هذا الطائر، وعنى به علياً؟ قلت: بلى، قال: فهل يجوز أن لا يحبّ الله ورسوله؟ فقلت له: لا، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أُممهم لا يحبّون حبيب الله وحبيب رسوله؟ قلت له:

---

(١) الخوارزمي: ص٢٠٩. ابن حجر في الصواعق: ص١٢٦.

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي: ص١٨.

لا، قال: فقد ثبت أنّ أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي ابن أبي طالب محبّين، وثبت أنّ أعداءهم والمخالفين لهم كـانوا لهم ولجميع أهل محبّتهم مبغضين، قلت: نعم، قال: فـلا يـدخل الجنّة إلاّ من أحبّه من الأوّلين والآخرين، ولا يدخل النار إلاّ مـن أبغضه من الأوّلين والآخرين، فهو إذاً قسيم الجنّة والنار».

ومع كلّ ما ذكرنا، فإنّ الإمـام الحسين حينمـا رأى أنّ ذلـك كبـر علـى مـن سمع حديثه، حاول استدراك الأمر، ونسب كلّ ما ذكره إلى القرآن الكريم الـذي كانوا عليه حفظة، حيث يقول:

﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (١).

أفبعد هـذا كلّـه يمكـن أن يـأتي مخـرّف هنـا أو جاهـل هنـاك يحمـل هـذه الرواية وأمثالها على جهله وقلة معرفته بالشريعة، ويمزجها بحقده وكراهيّتـه لأئمّـة أهل البيت ولمدرستهم ومحبيّهم، فيشنّع على هذه الرواية وأمثالهـا، وفيمـا ذكرنـاه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٢. ما يتعلّق بالشهيد الكربلائي الذي نقل هذه الرواية عن الحسين عليه السلام فإنّـه كان موالياً له وعارفاً بحقّه، حيث يؤكّد على مدى حبّه وإيمانه وعقيدته بأئمّة أهل البيت عليهم السلام وأنّهم أعلم هذه الأمّة بدينها ودنياها، ومن ثم فهم الأولى بالاتّبـاع مـن غيرهم الذين هم إلى الجهـل أقـرب مـنهم إلـى العلـم، علـى أنّ هـذا العلـم الـذي يذكره لنا الإمام إنّما هو من الكتاب العزيز حيث يقول:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١].

٣. روي عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن أبيه أنّه قال: «لتفتحنّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم ذلك الجيش»[٢]. هذا الحديث يمكن ان ينظر له من جوانب متعددة:

ألف: السؤال الذي يخالج ذهن كلّ من يقرأ هذا الحديث: لماذا القسطنطينية بالذات دون غيرها؟ ولماذا جيشها بالذات خير جيش، وأميرها بالذات خير أمير؟ ألم تكن هناك فتوحات أعظم شهدها التاريخ الإسلامي، كفتح القدس وغيرها ولماذا يا ترى التركيز على الأمير الذي كانت له حصّة الأسد في هذه الكرامة والنبوءة النبوية؟

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل نودّ الإشارة إلى أنّ كتب التاريخ والحديث، روت حديثاً آخر ربما يكون مكمّلاً لهذا الحديث المكذوب على رسول الله، حيث يتبيّن لك من خلال هذين الحديثين أسباب وضعهما، حيث ينقل البخاري في صحيحه[٣]:

«فحدّثتنا أمّ حرام أنّها سمعت النبيﷺ يقول: أوّل جيش من أمّتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أمّ حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثمّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) احمد: ج٤ ص٣٣٦، الطبراني في الكبير: ج٢ ص٣٨، البخاري في التاريخ الكبير: ج٢ ص٨١ والصغير ١٤٨٢.

(٣) البخاري في صحيحه: ج٣ ص٢٣٢.

قال: أوّل جيش من أمّتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، قلت: أنا فيهم يا رسول الله، قال لا».

ولا شكّ أنّ الواضع لهذين الحديثين أراد من خلالهما إضفاء منقبة لمعاوية وولده يزيد، من أنّ كلاً منهما قد استحقّ الجنّة، فلا مشكلة في قتال معاوية لعلي بن أبي طالب وسفكه دماء مئات الآلاف من المسلمين، لأنّه وببساطة أوّل من غزا البحر، فهذه كافية لأن تعفو عن كلّ تلك الدماء التي أزهقها معاوية بنفسه أو بسببه، والفتن التي أجّج نيرانها معاوية، والتي ما زالت إلى الآن آثارها قائمة بين المسلمين؛ كما أنّ الغفران موصول إلى يزيد لأنّه أوّل من غزا القسطنطينية، فهو مغفور له حتى لو قتل الحسين عليه السلام سيد الشهداء وأباد عترته وذريته وأصحابه بل يزيد مغفور له حتى ولو ضرب الكعبة وأباح مدينة رسول الله لجنده ثلاثة أيّام يفعلون بها ما يشاؤون، بل هو مغفور له حتى لو صنع ما صنع من المنكرات الجسام والذنوب العظام. يقول فتح الباري[1]: «قال المهلّب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنّه أوّل من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنّه أوّل من غزا القسطنطينية».

وأغلب ظنّي، بل يقيناً أنّ ابن تيمية قد تنفّس الصعداء وأخذت أسارير وجهه تنبسط بالفرح حينما وجد دليلاً وشاهداً على أنّه سيُغفر لإمامه الذي سيحشر معه، يزيد بن معاوية كل تلك الجرائم والعظائم التي لم يشهد له التاريخ مثيلاً،

---

(١) فتح الباري: ج٦ ص٧٤.

لمجرّد فتحه القسطنطينية، حيث يقول في مجموع الفتاوى[١]: «ومع هذا فإنّ كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم، لا سيّما اذا أتى بالحسنات العظيمة».

وبعد هذا الكلام أظنّك لا تحتاج لبيان أنّ كلّ كلمة قالها ابن تيمية في تعليقته على هذا الحديث إنّما هي قنبلة موقوتة قد تنفجر في كلّ المساجد وأماكن العبادة وتقطّع أشلاء المصلّين، كما هو واقع الحال في زمننا هذا، للأسف الشديد، في العراق وأفغانستان وباكستان، وغيرها من المناطق العربية والإسلامية فضلاً عن الغربية، وفي النهاية سيُغفر لهذا الظالم جميع ما اقترفه من المظالم إذا جاء ببعض الأعمال الحسنة الصالحة ومن ثم فإنّ كلام ابن تيمية سيطلق أيدي الظلمة في أن يبعثوا بمقدّرات هذه الأمّة ومقدّساتها.

وقد ردّ علماء السنّة قبل علماء الشيعة على مثل هذه الروايات، حيث ينقل المنّاوي في فيض القدير[٢]:

«وأوّل جيش من أمّتي يغزون مدينة قيصر الروم، يعني القسطنطينية، أو المراد مدينته التي كان بها يوم قال النبي الأكرم ذلك، وهي حمص، وكانت دار مملكته إذ ذاك (مغفور لهم) لا يلزم منه كون يزيد بن معاوية مغفور له لكونه منهم، إذ الغفران مشروط بكون الإنسان من أهل المغفرة، ويزيد ليس كذلك لخروجه بدليل خاصّ، ويلزم من الجمود على العموم أنّ من ارتدّ ممّن غزاها مغفور له، وقد أطلق جمعٌ محقّقون حلّ لعن يزيد به، حتى قال التفتازاني: الحقّ أنّ

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ج٣ ص٤١٣.

(٢) فيض القدير للمنّاوي: ج٣ ص١٠٩.

رضا يزيد بقتل الحسين، وإهانته أهل البيت عليهم السلام ممّا تواتر معناه، وإن كان تفاصيله آحاداً، ونحن لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى انصاره وأعوانه».

وإن كان بعض المؤرّخين يذكرون، وهو الحقّ أنّ يزيد لم يخرج وتثاقل عن الذهاب للغزوة، حيث يذكر ابن عساكر[1].

«بعث معاوية جيشاً إلى الروم، فنزلوا منزلاً يقال له الفرقدونة، فأصابهم بها الموت وبلاء شديد، فكبر ذلك على معاوية، فاطّلع يوماً على ابنه وهو يشرب وعنده قينة تغني، فقال: أُقسم عليك لترحلنّ حتى تنزل مع القوم وإلاّ خلعتك، فتهيّأ يزيد للرحيل وكتب إلى أبيه:

تجنّى لا تزال تُعدُّ ذنباً ... ليقطع وصل حبلك من حبالي

فيوشك أن يريحك من بلائي ... نزولي في المهالك وارتحالي»

بل ربما يفهم من شعر يزيد الذي يذكره البلاذري من أنساب الأشراف[2]، أنّ يزيد لم يخرج أصلاً إلى القسطنطينية، حيث يقول:

اذا اتّكأتُ على الأنماط مرتفقاً ... بدير مرّان عندي أُمّ كلثومِ

فما أُبالي بما لاقت جموعهمُ ... بالفرقدونة من حمّى ومن موم[3]

ثمّ يقول البلاذري: «وأُمر يزيد بالغزو فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه، وأصاب

(١) تاريخ دمشق: ج٦ ص٤٠٤.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ١١٤٩.

(٣) موم: الجدري كما في بعض كتب اللغة.

الناس في غزاتهم جوع وأمراض، ثمّ أنشأ يزيد البيتين السابقين».

نعم إنّ أعظم ما يستدلّ به على قولهم هو أنّ أبا أيّوب الأنصاري الذي مات في تلك الغزوة ودفن عند سورها، أوصى حينما جاءه الموت أن يحملوا جنازته إلى أقرب منطقة ممكنة في القسطنطينية، ويقال إنّهم ساروا به (بجنازته) يوماً، وربما ساروا أيّاماً وإنّهم دفعوا للروم أموالاً حتى سمحوا لهم بدفنه هناك، حيث يروي عبد الرزاق[1]، «عن معمر عن ابن سيرين، وهو سند صحيح عندهم، أنّ يزيد زار أبا أيّوب الأنصاري ـ في تلك الغزوة ـ وهو مريض فقال له: ما حاجتك؟ قال: اذا أنا متّ فسر بي في أرض العدوّ ما استطعت، ثمّ ادفنّي، فلمّا مات سار به وأوغل في أرض الروم يوماً أو بعض يوم، ثمّ نزل فدفنه».

بل هناك بعض الروايات تشير إلى أنّ أبا أيّوب الأنصاري مات في ارض المسلمين ولم يوصِ يزيد، وهذا يدلّ بشكل ضمني على أنّ الجميع كانوا خارج أرض العدوّ كلّياً او في طرفها، بعيداً عن العاصمة (استانبول)، ومن ثم فإنّ يزيد على أساس هذه الروايات، لم يصل سور القسطنطينية، ولم يضرب سورها بسيفه، حيث ورد في تعجيل المنفعة لابن حجر[2] «أنّ أبا أيّوب الأنصاري قال: اذا أنا متّ فأدخلوني في أرض العدوّ فادفنوني تحت أقدامكم حيث تلقون العدوّ».

ممّا يدلّل على أنّ الموصى له هم المسلمون وليس يزيد، وفي نفس الوقت كانوا جميعاً خارج أرض العدوّ.

---

(١) المصنف لعبد الرزّاق الصنعاني: ج٥ ص٢٧٩.

(٢) تعجيل المنفعة لابن حجر: ج١ ص٤٥٢، مسند أحمد: ج٥ ص٤٢٣، الطبقات لابن سعد: ج٣ ص٤٨٥.

باء: وعلى فرض صحّة هذه الرواية في فتح القسطنطينية، فأين حصل هذا الفتح؟ أأنّه فعلاً حصل في زمن يزيد؟ كيف يمكن أن يكون ذلك وقد اتّفق المؤرّخون على أنّ فتح القسطنطينية لم يحصل في ذلك الوقت مطلقاً، بل ولم يحصل حتى في زمن الدولة الأموية كلّها، وكذلك العباسية، نعم يذكر العلماء أنّ هذا الفتح حصل في زمن محمّد الفاتح العثماني سنة ٨٥٧هـ كما يذهب إلى ذلك د. محمّد مصطفى في كتابه فتح القسطنطينية وسيرة محمد الفاتح[١]، وآخرون، أنّ هذه البشارة النبوية حصلت على يد الفاتح العثماني دون غيره، بل إنّ هناك روايات تقول إنّ هذا الفتح سوف يحصل في زمن الإمام المهدي، وعند خروج الإمام، والملفت للنظر أنّ هذه الرواية تنقل عن نفس الشهيد الكربلائي، ممّا يؤيّد أنّ الشهيد رضي الله عنه ربما روى هذه الرواية ولكنّ أصحاب الأهواء والمطامع حرّفوها بالشكل الذي يمكن ان يخدم الظلمة وأهل الفسق والفجور، حيث ينقل نعيم بن حمّاد المروزي[٢]:

«حدّثنا أبو يوسف المقدسي، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الله بن بشر الخثعمي، عن كعب قال: المهدي يبعث بقتال الروم، يعطى فقه عشرة، يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بانجيلهم».

---

(١) ص٣٦.

(٢) كتاب الفتن للمروزي: ص ٢٢٠.

وهذه الرواية تعضدها رواية اخرى رويت في صحيح مسلم عن أبي هريرة تقول:

«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، فيخرج اليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصاخوا قالت الروم خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون لا والله، لا نخلّي بينكم وبين أخواننا، فيقاتلونهم فيهزم ثلث هم لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح ثلث لا يفتنون أبداً، يفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنّ المسيح قد خلّفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال ويسوّون الصفوف اذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم، فأمّهم فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»[(١)].

وفي رواية ينقلها معاذ بن جبل كما في صحيح الجامع: «عمران بيت المقدس خراب يثراب، وخراب شرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[(٢)].

ولا شكّ أنّ مثل هذه الروايات وغيرها تدلّل على أنّ مثل هذا الحديث الذي رواه الشهيد الكربلائي ربما يكون قد صدر من رسول الله ولكن ليس كما

(١) صحيح مسلم: ح٢٨٩٧.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني: ص١ ح٤٠٩٦.

تأوّله أولئك الذين أرادوا من خلاله اختلاق منقبة ليزيد الفجور، وإنّما فيه إشارة إلى وعد إلهي عظيم قد يحصل في زمن خروج الإمام المهدي وخروج الدجال.

وهناك نقطة مهمّة جدّاً ونحن نتحدث عن رواية الشهيد الكربلائي في فتح القسطنطينية، حيث رواها البخاري وغيره عن عبد الله بن بشر الغنوي وليس الخثعمي، وأن الأول ضعيف عند أهل الرجال، وأما الثاني وهو الشهيد الكربلائي فهو الموثّق، ممّا يدلّل على أن الرواية لم تكن للشهيد الكربلائي وإنّما كانت لغيره، وهذا ما مال اليه جملة من الباحثين والمؤرّخين، منهم ابن حجر، والذي أرى من اللازم ذكر ما قاله بالنصّ في كتابه تعجيل المنفعة[1]:

«عبد الله بن بشر الخثعمي، عن أبيه، وله صحبة، وعنه الوليد بن المغيرة المعافري، وثّقه ابن حبّان وقال ابن شيخنا: إن كان هو الذي أخرج له الترمذي والنسائي فهو ثقة، وإلاّ فلا أعرفه، كذا قال، والذي أخرج له الترمذي والنسائي لم يُختلف في اسمه ولا في اسم أبيه ولا في نسبه، وأمّا هذا (الغنوي) فاختلف في اسمه، فقيل عبد الله، وقيل عبيد الله بالتصغير، وقيل عبيد من غير إضافة، واختلف في نسبه فقيل الخثعمي، وقيل الغنوي، ثمّ إنّ الذي أخرج له الترمذي والنسائي اسم ابيه بشر بسكون المعجمة وكسر أوّله، واسم أبي هذا بشير، بفتح أوّله وكسر الشين، وقيل بشر. قال: البخاري عبد الله بن بشير الخثعمي فذكر ترجمة الذي أخرج له الترمذي والنسائي ثمّ قال: عبيد بن بشير الغنوي، عن أبيه. روى عنه الوليد بن المغيرة، ويقال عبيد الله، حديثه في ناحية الشام. وقال ابن أبي حاتم:

---

(١) تعجيل المنفعة: ص٥٢٤.

عبيد بن بشير الغنوي، من أقران ابن لهيعة. وقال ابن حبّان في (ثقات التابعين): عبيد بن بشير الغنوي، يروي عن أبيه، ولأبيه صحبة روى عنه الوليد بن المغيرة، وقد أخرج حديثه ابن يونس والطبراني وأبو علي بن السكن كلّهم من طريق زيد ابن الحباب عن الوليد بن المغيرة المعافري عن عبد الله بن بشير الخثعمي عن أبيه، وفي رواية ابن السكن عن عبد الله بن بشير بن ربيعة الخثعمي، وفي رواية الطبراني: حدّثني عبد الله بن بشير الغنوي، حدّثني أبي، وفي بعض ما ذكرته ما يوضّح أنّه غير عبد الله الذي أخرج له الترمذي والنسائي».

ونفس الكلام ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة[1] فإذا اثبت أنّ جميع من ترجم لعبد الله بن بشر الغنوي ضعّفه، ولم يوثّقه سوى ابن حبّان الذي عرف ـ كما يقول بعضهم ـ بتوثيق المجاهيل، والذي لا يعتدّ بتوثيقه وتوثيقهم، كما يذكر ابن حجر عبد الله بن بشر الخثعمي، وهو الذي روى عنه الرواة لا سيما الترمذي والنسائي. فتكون النتيجة التي نخلص اليها أنّ هناك شخصيّتين مشتركتين في الاسم والنسب، ولكن أحدهما موثّق وهو الشهيد الكربلائي، والآخر غير الموثّق وهو الذي روى حديث القسطنطينية والذي ضعّفه العلماء سوى ابن حبّان. ومن ثم يكون ميلان ابن حجر في محلّه حينما قال: «وفي بعض ما ذكرته ما يوضح أنّه غير عبد الله الذي أخرج له الترمذي والنسائي».

وربّما هذا هو الذي يجعلنا أكثر تقبّلاً لتلك الكلمة القاسية التي ذكرها العلاّمة المامقاني وهو يتحدّث ويترجم لبشر الغنوي، حيث قال:

---

(١) السلسلة الضعيفة: ص٧٧٨.

«(بشر الغنوي) عدَّه الشيخ في رجاله من أصحاب رسول الله ولم استثبت حاله ـ ثمّ يقول بعد ذلك ـ نقلنا ما قاله الأعلام من الخاصّة والعامة فيه، فهو عندهم مجهول الحال، وعندي ضعيف لوضعه حديثاً في مدح الفاسق الخبيث مسلمة بن عبد الملك»[(١)].

أبناء الشهيد وأحفاده

يذكر العلماء أنّ للشهيد الكربلائي ولداً اسمه عمير وآخر اسمه عبيدة، وقد ذكرهما العلماء من جملة الرواة الثقات، حيث ذكر ابن مأكولا[(٢)] في كتابه الإكمال (باب عبيدة) «قال: عبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعمي، كوفي روى عن جعفر بن محمد الصادق وعن أبيه (الشهيد).

وأمّا ولده الآخر عمير فقد ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب[(٣)] فيمن اسمه (عمير أو عميرة) روى عن جبلة بن حممة وعروة البارقي وابي زرعة بن عمرو بن جرير روى عنه ابنه بشير بن عمير بن عبد الله وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وشعبة بن الجراح وابنه عمير بن عبد الله بن بشير الخثعمي»، كما يذكر ذلك صاحب كتاب تهذيب الرجال، في أسماء الرجال[(٤)]، ويقول أبو حاتم: «هو شيخ كان كاتب شيخ كان لشعبة، ذكره ابن حبّان في الثقات، روى له الترمذي

(١) تنقيح المقال: ح٣١٣٥.

(٢) إكمال الكمال لابن مأكولا: ص٤٢٨.

(٣) ابن حجر في تقريب التهذيب: ح٥١٨٤.

(٤) تهذيب الرجال في أسماء الرجال: ص١٥٩٠.

والنسائي». وقد ذكر ولد الشهيد الكربلائي الحسكاني في شواهد التنزيل، حيث روى عنه رواية حيث يقول فيها:

«حدّثني أحمد بن علي بن إبراهيم قال: أخبرني أحمد بن محمد الصائغ قال: حدّثني محمد بن حفص الجويني قال حدثني الحسن بن غرفة قال حدثني يحيى بن يمان العجلي عن عمّار بن زريق عن عمير بن عبد الله بن بشر الخثعمي قال: قال ابن عمر: علي أعلم الناس بما أنزل الله على محمد»[١].

وذُكِرَ في كتاب رجال الشيعة للشيخ محمد جعفر الطبسي في مسانيده وهو يترجم لعبد الجبّار الشبامي، «أنّ من جملة الرواة عنه هو عمير بن عبد الله بن بشر الخثعمي» علماً أنّ عبد الجبّار الشبامي كان من كبار الشخصيات الشيعية في الكوفة، حتى أن العُقيلي في الضعفاء الكبير[٢] يقول: كان يتشيّع، وكذلك عبد الله ابن أحمد في تهذيب الكمال[٣] ويقول البخاري في التاريخ الكبير[٤]: إنّ عمير بن عبد الله بن بشر الخثعمي قال: إنّ كبراء الكوفة أربعة: أبو إسحاق، وابن علاقة، وعبد الله بن شريك الأعور، ويزيد بن مسهر من بني فهد.

وبعد كلّ ما ذكرناه من كلمات في حقّ أولاد الشهيد ومن رووا عنهم، وما ذكروه من روايات، ليكشف بشكل واضح أنّهم كانوا من الموالين لأهل البيت، وأنّهم تحركوا على نهج أبيهم الشهيد الذي كان راوياً وفي نفس الوقت مجاهداً

(١) شواهد التنزيل: ج١ ص٤٠.

(٢) الضعفاء الكبير: ج٣ ص٨٨ رقم١٠٥٨.

(٣) تهذيب الكمال: ج١٦ ص٣٨٥.

(٤) البخاري، التاريخ الكبير: ص٥١٢.

من الطراز الأول. وربما هذا كلّه يؤكّد أنّ الراوي الذي ضعفه العلماء في فتح القسطنطينية هو غير هذا الشهيد الكربلائي العظيم.

شهادته

لقد أبى الشهيد الكربلائي البقاء في بيته والتحجّج بالظروف الصعبة،ولمّا رأى أن الطرق كلّها مغلقة ولا يمكن الخروج منها والوصول إلى الحسين، فكّر بأنّ أفضل حلّ للقضية هو أن يتظاهر بأنّه يريد الخروج مع الناس لحرب الحسينعليه السلام، ثم بعد أن يصل إلى الحسين يميل اليه، وهذا ما حصل بالفعل، حيث التقى الحبيب بحبيبه.

وينقل أهل المقاتل أنّ الشهيد كان من جملة الشهداء الذين سقطوا في الحملة الأولى، والتي حصلت بعد أن رُشق أصحاب الحسين بوابل من سهام الحقد، فنهضوا جرحى إذ ناداهم سيّدهم بالنهوض إلى الموت الذي لابدّ منه، لخوض هذه الملحمة الإلهية التي تعرج فيها الأرواح إلى بارئها في ساحة الحقّ والشهادة الكبرى وقاموا وحملوا حملة واحدة واقتتلوا قتالاً شديداً خلف ذلك خمسين شهيداً، وكان من بينهم الشهيد الصحابي الجليل عبد الله بن بشر الخثعميرضي الله عنه، فسلام عليه في الأوفياء، وسلام عليه في السعداء، وسلام عليه من الله تبارك وتعالى ومن رسوله، ومن خاتم الأوصياء الإمام المهدي المنتظرعجل الله تعالى فرجه الشريف حيث يقول في زيارته: السلام على عبد الله بن بشر الخثعمي ورحمة الله وبركاته.

الشهيد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري عليه السلام

إنه واحد من أجلاّء التابعين، وأحد عشّاق الحسين عليه السلام الذي ذاب مع عشقه للحسين كلّ معشوق آخر مهما غلا وعلا، فكان مصداقاً للشاري نفسه والباذل مهجته في سبيل الله، كما قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1].

إنّه الشهيد الكربلائي الشابّ عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري رضي الله عنه.

أقوال العلماء فيه

١. يقول السيّد الخوئي: «عمرو بن قرظة الأنصاري، من أصحاب الحسين، واستشهد بين يديه، ووقع التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية».[2]

٢. يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري، ذكره الطبري وابن شهر آشوب والزيارة والبحار والخوارزمي، وقد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢) معجم الرجال: ج١٤ ح٨٩٨٤.

ورد في الزيارة: «عمر بن قرظة الأنصاري» وفي نسختها الأخرى «عمران» كما ورد فيها عمرو بن قرظة الأنصاري، وكذا ورد في الرجبية، والكلّ واحد».[(١)]

٣. قال ابن الأثير وابن عبد البرّ وابن حجر[(٢)]: «عمرو بن قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب الأنصاري الخزرجي».[(٣)]

٤. يقول الشيخ النمازي الشاهرودي: «كلماته يوم عاشوراء مع الحسين، وشدّة إخلاصه وشهادته، تشرّف بسلام الناحية المقدّسة، أبوه قرظة بن كعب، يأتي، وأخوه علي بن قرظة خبيث ملعون، كان مع عمر بن سعد في جند بني أميّة».[(٤)]

٥. يقول السيّد ابن طاووس: «خرج عمرو بن قرظة الأنصاري فاستأذن الحسين فأذن له، فبرز وهو يرتجز ويقول:

قد علمت كتيبة الأنصار   أنّي سأحمي حوزة الذمار

ضرب غلامٍ غير نكسٍ شاري   دون حسينٍ مهجتي وداري

فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد، وجمع بين سداد وجهاد».[(٥)]

---

(١) أنصار الحسين: ص١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) وسيلة الدارين: ص١٧٣.

(٣) لم أجد ما ذكره في وسيلة الدارين عمّن نقله عنه في مظانه.

(٤) مستدركات علم الرجال: ج٦ ص٥٧.

(٥) اللهوف: ص١٦٢.

والد الشهيد

لقد كان للشهيد الكربلائي والد من الطراز الإيماني الأول، حيث كان صحابياً جليلاً، شهد غزوات رسول الله منذ أحد وما بعدها، وكان شجاعاً مجرّباً ومؤمناً عابداً، تترقرق الدمعة في عينيه، ولقد نسبت للرجل عدّة أمور مهمة قام بها، ذكرها المؤرخون، منها:

أولاً: ينقل المؤرّخون، كابن الأثير[١]، أنّ قرظة كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى الكوفة، ويُنقل في سنن ابن ماجة قوله: «حدثنا أحمد بن عبده، حدثنا حمّاد بن زياد، عن مجالد، عن الشعبي، عن قرظة بن كعب قال: بعثنا عمر ابن الخطّاب إلى الكوفة، وشيّعنا فمشى معنا إلى موضع يقال له حرار، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا: لحقّ الصحبة لرسول الله، ولحقّ الأنصار. قال: لكنّي مشيت معكم لحديث أردت أن أحدّثكم به فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم؛ إنّكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزير كهزير المرجل، فإذا رأوكم مدّوا أعناقهم اليكم وقالوا: أصحاب محمد، فأقلّوا الرواية عن رسول الله ثمّ أنا شريككم»[٢].

وهذا الحديث أغلب الظنّ أنّه حديث موضوع على لسان والد الشهيد، خصوصاً وأنّهم يذكرون بعد ذلك أنّه حينما وصل إلى الكوفة أخذ يُسأل عن أحاديث رسول الله وهو يقول: أنا أحفظ الناس بها ولكن ما كنت لأتحدّث بها

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، حرف القاف، قرظة بن كعب.

(٢) ابن ماجة في سننه: ج١ ح٢٨.

لأنّ عمر نهانا عنه.

والسبب في هذا الظنّ أنّ الرجل عرف عند العامّ والخاصّ أنّه من جملة المخلصين في ولائه للإمام أمير المؤمنين، وقد ظهر مثل هذا الأمر في أكثر من موقف كما سيأتي، حتى أنّ الإمام صلّى عليه بنفسه في الكوفة حينما توفّي، واذا كان أمر الرجل هكذا فإنّي أميل إلى أنّه لا يمكن له أن يتبنّى أمراً ويعمل على تبليغه وهو يعلم مسبقاً أنّ علياًعليه السلام لا يرضاه ولا يتبنّاه، بل وقد حاجج القوم عليه، ألا وهو كتمان أحاديث رسول الله وعدم إذاعتها، وأنا لا أريد هنا أن أتناول هذا الموضوع المهمّ والحسّاس بهذه العجالة، ولكنّي أقول: إنّ ما ذكره عمر لقرظة، على فرض صحّة هذه الرواية، لا يمكن أن يكون مبرّراً له لكتمان أحاديث رسول الله، كيف يكون ذلك وهو المبيّن الحقيقي للقرآن الكريم حيث يقول: «تركت فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وحتى على رواية «وسنّتي»[1] حيث تحتاج إلى مبيّن وشارح لآيات الله.

ولهذا نجد أنّ ابن حزم قد هجم على هذا الحديث هجوماً قوياً، رافضاً له البتّة، حيث يقول بالنص: «والشعبي (راوي الحديث الأول عن قرظة) أقرب إلى الصبا، فلا شكّ أنّه لم يلق قرظة قطّ، فسقط هذا الخبر، بل قد ذكر بعض أهل العلم بالأخبار أنّ قرظة بن كعب مات وعلي رضي الله عنه في الكوفة، فصحّ يقيناً أنّ الشعبي لم يلق قرظة قطّ ولا عقل منه كلمة».[2]

---

(١) الترمذي: ص٣٧٨٨، ميزان الاعتدال: ج٢ ص٣٠٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، المجلد الأول، الجزء الثاني، فصل في فضل الإكثار من الرواية للسنن.

ثانياً: وينقل الهيثمي[1]: عن القاسم قوله: «أتى عبد الله (يعني ابن مسعود) فقيل له يا أبا عبد الرحمن، إنّ ههنا أناساً يقرأون قراءة مسيلمة الكذاب، فردّه عبد الله، فلبث ثمّ أتاه فقال: والذي أحلف به يا أبا عبد الرحمن، لقد تركتهم الآن في دار وإنّ ذلك المصحف لعندهم، فأمر قرظة بن كعب فسار بالناس معه، فقال ائتِ بهم، فلما أتى بهم قال: ما هذا؟ بعدما استفاض الإسلام! فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، نستغفر الله ونتوب اليه ونشهد أنّ مسيلمة هو الكذّاب المفتري على الله ورسوله، قال: فاستتابهم عبد الله وسيّرهم إلى الشام وإنّهم لقريب من ثمانين رجلاً، وأبى ابن النوّاحة أن يتوب، فأمر به قرظة بن كعب فأخرجه إلى السوق فضرب عنقه وأمر أن يأخذ رأسه فيلقيه في حجر أمّه، قال عبد الرحمن بن عبد الله: فلقيت رجلاً شيخاً كبيراً بعد ذلك في الشام فقال لي: رحم الله أباك، والله لو قتلنا يومئذ لدخلنا النار كلّنا»

ثالثاً: ولّاه أمير المؤمنين على مناطق مهمة جداً وحساسة وفي ظرف خاصّ يحتاج فيه الإمام إلى من يثق به كثيراً إضافة إلى شجاعته وبطولته، فقد وضعه أمير المؤمنين على الكوفة والياً من قبله عندما أراد أن يتوجّه إلى البصرة للقاء أهل الجمل هناك، بعد أن ازال عنها أبا موسى الأشعري.

يقول الطبري: «إنّ الامام كتب كتاباً إلى أبي موسى الأشعري جاء فيه: إنّي وجّهت هاشم بن عتبة لينهض من قبلك من المسلمين إلي، فأشخص الناس فإنّي لم أولّك الذي أنت به إلاّ لتكونن من أعواني على الحقّ فدعا أبو موسى السائب

(١) مجمع الزوائد: ج٦ ح١٠٥٧٨.

ابن مالك الأشعري فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تتّبع ما كتب به اليك، قال: لكنّي لا أرى ذلك، فكتب هاشم إلى علي عليه السلام أنّه قد قدمت على رجل غال مشاقّ ظاهرا الغلّ والشنآن»[١]، وبعث بالكتاب مع المحل بن خليفة الطائي، وعند ذلك بعث علي عليه السلام الحسن بن علي وعمّار بن ياسر، وهما يستنفران الناس، وبعث قرظة ابن كعب الأنصاري أميراً من قبله على الكوفة، وكتب معه إلى أبي موسى كتاباً «أمّا بعد، فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله لك منه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري، وقد بعثت الحسن بن علي وعمّار بن ياسر يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على المصر، فاعتزل أمرنا مذموماً مدحوراً».[٢]

ولا شكّ أنّ هذه الكلمات لتدلّل بشكل واضح على مدى ثقة الإمام بوالد الشهيد الكربلائي، وخصوصاً في هذا الظرف الخاصّ المعقّد، كما ولّاه أمير المؤمنين على هيت وما والاها، وهي المنطقة التي ما برحت تتعرّض لغارات معاوية وحملاته التي يشنّها بين الفينة والأخرى أشبه ما تكون بحرب العصابات، من أجل زعزعة الأمن والاستقرار في مدن الإمام، عسى أن يكون ذلك عاملاً مساعداً في تململ الناس وانقلابهم على حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكنّ الإمام وضع في تلك المناطق المهمة والبالغة الخطورة أناساً كانوا في منتهى الولاء والإخلاص للإمام أمير المؤمنين، والذي كان منهم قرظة بن كعب الأنصاري رضي الله عنه، بحيث إنّه لم يترك صغيرة و لا كبيرة إلّا وينقلها للإمام ليأخذ رأيه

---

(١) تاريخ الطبري ج٣/ ص٣٥.

(٢) ابن الأثير ج٣/ ص١٣٣.

فيها، فيتبعه بشكل كامل مهما كانت النتائج.

ينقل الطبري: «عن أبي مخنف قوله: فحدثني أبو الصلت الأعور التيمي، عن أبي سعيد العقيلي، عن عبد الله بن وال التيمي قال: والله إنّي لعند أمير المؤمنين إذ جاءه أحدهم بكتاب بيديه من قبل قرظة بن كعب الأنصاري [جاء فيه]: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّي أخبر أمير المؤمنين أنّ خيلاً مرّت بنا من قبل الكوفة متوجّهة نحو نفر، وأنّ رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلّى يقال له زاذان فروخ أقبل من قبل أخواله بناحية نفرَّ، فتعرضوا له فقالوا له: أمسلم أنت أم كافر؟ قال: أنا مسلم، قالوا: ما تقول في علي؟ قال أقول فيه خيراً، أقول إنّه أمير المؤمنين وسيّد البشر، فقالوا له: كفرت يا عدو الله، ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة فقالوا له: ما أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الذمّة، قالوا: اما هذا فلا سبيل عليه، فأقبل الينا ذلك الذمّي وأخبرنا بالخبر، وقد سألت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء، فليكتب اليّ أمير المؤمنين برأيه فيهم أنته اليه، والسلام».

فكتب اليه: «أمّا بعد، فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التي مرّت بك فقتلت البرّ المسلم، وأمن عندهم المخالف الكافر، وإنّ أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلّوا وكانوا كالذين يحسبون أن لا تكون فتنة فعموا وصمّوا، فأسمع بهم وأبصر يوم تخبر أعمالهم، والزم عملك وأقبل على خراجك فإنّك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك والسلام».(١)

---

(١) الطبري: ج٤ ص٨٩ ـ ٩٠.

والد الشهيد وفتح الري

رابعاً: وينقل المؤرّخون أنّ قرظة والد الشهيد هو الذي فتح الريّ، واذا كانت هناك أسماء تذكر لمن فتح الريّ مع قرظة فلأنّهم كانوا مشاركين معه أو هو مشارك معهم، ومع ذلك لم يتمّ الفتح الحقيقي والكبير إلّا على يدي قرظة بن كعب، يقول البلاذري: «حدّثني بكر بن الهيثم، عن يحيى خريس قاضي الريّ قال: لم تزل الريّ بعد أن فتحت أيام حذيفة تنتقض وتفتح حتى كان آخر من فتحها قرظة بن كعب»[(١)].

وقد أكّد على فتح الريّ على يد قرظة ابن حجر وابن الأثير وآخرون.[(٢)] وسوف تعرف بعد قليل ونحن نتحدث عن الشهيد، ما معنى أن يكون والد الشهيد الكربلائي فاتحاً للريّ؟

خامساً: مات في الكوفة وصلّى عليه أمير المؤمنين بنفسه، ودفن في داره بالكوفة[(٣)]، وينقل في كتاب الأوائل «أنّه أول من نيح عليه في الكوفة».[(٤)]

نعم يذكر بعضهم رواية في قرظة بن كعب الأنصاري وأبي مسعود الأنصاري، عن عامر بن سعد يقول: «دخلت على قرظة بن كعب الأنصاري وأبي مسعود الأنصاري في عرس، واذا جوارٍ يغنّين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ومن أهل بدر، يُفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا، وان شئت

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ج٢ فتح همدان.

(٢) تهذيب التهذيب: ج٨ ص٣٢٩؛ أسد الغابة، حرف القاف، قرظة بن كعب.

(٣) أسد الغابة، حرف القاف، قرظة بن كعب.

(٤) كتاب الأوائل: ص٢١٤.

فاذهب، فإنّه قد رخّص لنا في اللهو عند العرس»[١].

وأنا لا أريد أن أعلّق على هذه الرواية والتي لا شكّ أنّ وراءها أصابع أرادت أن تسقط أمثال هذه الشخصيّات الموالية، وأغلب الظنّ أنّ هذه الأصابع إمّا أنّها أموية أو عبّاسية، وربّما أرادوا أن يشرّعوا لأنفسهم أمراً، وأن يبيحوا لغلمانهم وجواريهم العزف والرقص والغناء من خلال هذه الأحاديث المكذوبة على أصحاب رسول الله الأجلّاء.

إخوة الشهيد

للشهيد الكربلائي أخوة ذكرهم لنا التاريخ، منهم:

أولاً: علي بن قرظة، والذي كان في صفّ عمر بن سعد ضالّاً ملعوناً، وسنأتي للحديث عنه وعن موقفه يوم الطفّ عند حديثنا عن الشهيد الكربلائي.

ثانياً: محمد بن قرظة، وكان راوياً ثقة روى عن أبي سعيد الخدري وروى عن جابر الجعفي، قال عنه ابن حبان «إنّه ثقة»[٢]. ومن مرويّاته ما روى ابن ماجة في سننه قال: «حدّثنا محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الملك أبو بكر قالا: حدّثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن جابر بن يزيد، عن محمد بن قرظة الأنصاري، عن أبي سعيد الخدري قال: ابتعنا كبشاً نضحي به، فأصاب الذئب من أليته أو أذنه،

---

(١) النسائي: ح٣٣٨٣.

(٢) خلاصة تهذيب الكمال للحافظ صفي الدين أحمد الأنصاري: ج١ ص٣٥٥؛ ميزان الاعتدال: ج٤ ص١٥ ح٨٠٨٨.

فسألنا النبي صلى الله عليه وآله فأمرنا أن نضحّي به».[(١)]

وروى له ابن عبد البرّ في كتابه التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد قال: «وفي كتاب عبد الرزاق، عن ابن مسعود ومحمد بن قرظة، إنّ أحدهما صلّى على جنازة بعد ما دفنت، وصلّى عليها الآخر بعد ما صُلي عليها».[(٢)]

ثالثاً: يزعم بعضهم أنّ للشهيد أختاً اسمها فاختة بنت قرظة، والتي كانت متزوجة من معاوية بن أبي سفيان بعد زواجها الأول من عتبة بن سهيل، وهذه فرية كبيرة على الشهيد، إذ حاولوا من خلالها تشويه صورة عائلته الموالية.

وقد يقال إنّ الإنسان يُقيّم من حيث هو، ولا دخل لأهله به، فلا يعاب مثلاً على نبي الله نوح لكون ولده كافراً، ولا على لوط لكون أمرأته كذلك، وهكذا سائر المؤمنين ممّن ابتلوا عادة بأبناء غير صالحين، أو إخوة فاسدين او آباء منحرفين، كما حصل بالفعل مع الشهيد وأخيه؛ أقول إنّ هذا صحيح وهو عين الواقع، ولكن إذا كان أخو الشهيد علي بن قرظة قد دلّ الدليل على انحرافه وضلاله، فإنّ أخته لم يثبت ضلالها، فضلاً عن أصل القصّة المفتراة عليه.

لأنّ الصحيح أنّ هذه الرواية تخصّ امرأة أخرى اسمها (فاختة) وهي بنت قرظة بن عبد بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وهي نوفلية قرشية وليست أنصارية بالمرّة، ومن ثم لا علاقة لها لا من بعيد ولا من قريب بقرظة والد الشهيد الكربلائي، ولقد صرّح بما ذكرته ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح

---

(١) سنن أبي ماجة، كتاب الأضاحي: ح٤٢٦٦.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ج٦ ص٢٦١.

البخاري، حيث يقول «بنت قرظة هي زوج معاوية، واسمها فاختة، وقيل كنود، وكانت تحته بعد عتبة بن سهيل، ويحتمل أن يكون معاوية تزوّج الأختين واحدة بعد الأخرى، وهذه رواية بن وهب في موطّأته، عن ابن لهيعة، عمّن سمع. قال: ومعاوية أول من ركب البحر للغزاة، وذلك في خلافة عثمان وأبوها قرظة، بفتح القاف والظاء المعجمة، هو ابن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وهي قرشية نوفلية، وظنّ بعض الشرّاح أنّها بنت قرظة بن كعب الانصاري فوهم، والذي قلته صرّح به خليفة بن خيّاط في تاريخه، وزاد أنّ ذلك كان سنة ثمان وعشرين؛ والبلاذري في تاريخه أيضاً وذكر أنّ قرظة بن عبد عمرو مات كافراً».(١)

مع الشهيد الكربلائي

الشهيد رسولاً إلى ابن سعد

لقد وصل الشهيد الكربلائي إلى كربلاء حيث التقى الحسين، في السادس من المحرّم سنة ٦١هـ وبمجرد وصوله بعثه الحسين رسولاً من قبله إلى عمر بن سعد من أجل أن يقيم عليه الحجّة وليعظه في نفس الوقت، عسى ينفع الوعظ والإرشاد، وهذه في تقديري مؤشّر على مكانته وإخلاصه، أن يُختار من قبل الحسين رسولاً في ظرف خاصّ كهذا الظرف الذي فيه الحسين وأصحابه، وبما أنّه يقال بأنّ الرسول يكشف عن شخصية المرسِل، ولهذا تحاول دائماً كلّ الدول في العالم أن تختار سفراءها من ذوي الثقافة العالية والخبرة طويلة، وأن يكون خطيباً مفوّها، لعلمها أنّه قد يتعرّض إلى مآزق سياسية تحتاج إلى حنكة وحكمة

(١) فتح الباري لابن حجر: ج٦ ص٧٦ ـ ٧٧.

وتعقّل، وهذا نفسه يمكن أن نتلمّسه ونقرأه من خلال هذا الاختيار الحسيني لهذا الشهيد، فلابدّ أن يكون الشهيد قد أدرك ما يريده الحسين بشكل كامل، منهجاً وعقيدة بحيث وصل إلى درجة الفهم الكامل بما يريده الحسين وما يفكر فيه، وبعبارة أخرى أنّ هذا الشهيد قد وصل إلى درجة عالية جداً من وضوح الرؤية ولا يقولنّ قائل بأنّه كان مجرّد رسول، يعني أنّه يريد أن يوصل رسالة معينة إلى ابن سعد، ومن ثم لا يكشف بالضرورة عن كلّ ما تقدّم، أنّ اختيار الحسين له في هذا الظرف الخاصّ لا يمكن أن يكون دون معرفة به، لعلم الحسين عليه السلام أنّ الشهيد ربما سوف لا تنحصر مهمته على إيصال الكلمات والرسائل فقط، وإنّما سيتعرّض إلى مُماحكات صاخبة وخصومة وجدال، سواء من قبل ابن سعد، أو من قيادات الجيش هناك، عن الحسين وحركته وما يريد، وكلّ هذه الأمور لابدّ لها من شخص يكون قد استوعبها ووعاها قبل ذلك، حتى يكون قادراً على أداء مهمّته بالشكل الصحيح، ولهذا قلنا إنّ الشهيد عرف الحسين حقّ المعرفة في نفسه وعقله ومشاعره بحيث وصل إلى درجة الاطّلاع على ما يفكّر به الحسين عليه السلام ويريده.

وهذه لعمرك فضيلة من الفضائل، تدلّ على أنّ الشهيد الكربلائي قد تسامى في فهمه ووعيه وبصيرته إلى الدرجة التي استطاع من خلالها أن يستكشف أهداف ثورة الحسين، وفي أيّ اتّجاه تسير حركته الإصلاحية الكبرى.

سؤال وجواب:

وربّما يسأل سائل: لماذا اختاره الحسين عليه السلام دون غيره من أصحابه، وفيهم

من صحابة رسول الله ومن كبراء وسادات المسلمين أمثال حبيب ومسلم بن عوسجة؟

وللجواب عن هذا السؤال في اعتقادي، أنّ أهمّ نقطة في حياة هذا الشهيد والتي ربّما تكون هي السبب الكامن وراء اختيار الحسين عليه السلام له، هي أنّ والد الشهيد: قرظة بن كعب، هو الذي فتح الريّ كما تقدّم، وكأنّ الحسين أراد أن يوصل إلى ابن سعد رسالة مفادها: يا بن سعد، إنّ هذا الريّ الذي تركت كلّ قيمك ومبادئك من أجله، وسحقت بقدميك ما يمليه عليك دينك وإسلامك، بل وحتى إنسانيتك، في الوقوف إلى جانب الحقّ ضدّ الباطل، وأن تكون مع الصادقين دون الكاذبين، هذا الريّ الذي أعمى عينيك إنّما فتحه أبو هذا.

ولكنّه وقف إلى جانب الحقّ والصدق، ولم يأبه بالحطام، ومن ثم فهو لا يرى فقط الريّ بل جميع الدنيا لا تساوي عنده شيئاً في مقابل إيمانه وعقيدته، وهو من ثم لن يبيع دينه لأهل الفسق والفجور ليشتروا به دنياهم كما فعلت أنت.

إشارة مهمة

وهنا لابدّ من الإشارة إلى ما ذكرته بعض المصادر التاريخية حول هذه المراسلات بين الحسين وعمر بن سعد حيث يروي ابن الأثير عن الحسين عليه السلام قوله:

«اختاروا منّي واحدة من ثلاث، إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما

بينه وبيني رأيه، وإمّا أن تسيروا بي إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم وعليّ ما عليهم»[١].

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ أمثال هذه الروايات لا يمكن قبولها، لأنّها تتنافى مع تواتر ما نُقل عن الحسين، وكلماته التي صدرت منه سواء في المدينة أو مكّة أو في الطريق إلى الكوفة، بل وحتى في كربلاء، حيث تدلل وبشكل قاطع على أنّ الحسين ذاهب إلى الموت وإلى الشهادة، وليس هو فقط بل وكل من لحق به فإنّه سيقتل وسينال الشهادة، فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يأتي الحسين ويضع يده بيد فاسق الأمة وفاجرها الأول يزيد بن معاوية، بل لقد عَلِمَ الكثيرون بأنّ الحسين ماضٍ إلى الشهادة لذا فإن الكثير من هؤلاء الصحابة والشخصيّات الإسلامية التي كانت موجودة في المدينة أو مكّة، أو حتى تلك التي لاقت الحسين وهو في طريقه إلى كربلاء، كانوا يبدون تخوّفهم عليه، لعلمهم بأنّه اذا استمر في هذا الطريق فإنّ النهاية التي سيواجهها هي الموت لامحالة.

وحتى سيّد الشهداء نفسه لم يكن يعترض عليهم، بل كان يواجههم بالأمر الواقع، وبأنّه مأمور بأمر هو ماضٍ إلى تحقيقه وتنفيذه، ولقد أجاد الحسين في وصف نهايته وشهادته بأدقّ وصف، حيث قال لابن عباس: «يا بن عباس، إنّ القوم لن يتركوني، وإنّهم يطلبوني أينما كنت حتى أُبايعهم كرهاً أو يقتلوني، والله لو كنت في ثقب هامة من هوامّ الأرض لاستخرجوني منها وقتلوني، والله إنّهم

(١) الكامل لابن الأثير: ج٤ ص٥٤.

ليعتدون عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت وإنّي ماضٍ في أمر رسول الله حيث أمرني، وإنّا لله وإنّا اليه راجعون». فخرج ابن عباس وهو يقول: «وا حسيناه»[١].

إنّ كلّ هذا ليكشف بلا شكّ ولا ريب، أنّ هناك د لائل للشهادة كانت واضحة المعالم، بل هو عليه السلام العالم بأدقّ تفصيلاتها، وإنّها كانت شاخصة أمام عين المولى أبي عبد الله، وكان بأبي هو وأمّي مصمّماً على الاضطلاع بهذه المهمّة كما هي؛ فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن أن نصدّق رواية تخالف مضمون ومحتوى كلّ هذه الروايات والمواقف، وتضرب بها عرض الجدار، لتبرز أنّ الحسين كان خائفاً وخاضعاً ومستسلماً، معاذ الله، ومن ثم فهو يضع يده بيد من هدم أركان الدين وقتل رجاله، ولله درّ الشاعر حيث يقول في يزيد:

لئن جرت لفظة التوحيد في فمه ... فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا

بل نحن نرفض حتى ما رواه ابن الأثير عن لسان الحسين عليه السلام من العرض الثالث الذي عرضه عليهم، حيث يقول: «وأمّا أن تسيروا بي إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم». فإنّ الحسين لا يأخذ تكليفه من أحد، فهو الإمام العارف والبصير بشأن أُمّته ومجتمعه، ومن ثم فهو أعرف من غيره بمشروعية ثورته.

كما أنّه لم يَثُر لكي يتراجع، وهو يعرف جيّداً بأنّ دمه الشريف هو الدواء الناجع والوحيد لداء هذه الأمّة التي نكبت بمثل يزيد، ولقد شخّصَ الحسين عليه السلام منذ اليوم الأول لجلوس يزيد على سدّة الحكم مصير الإسلام بقوله: «على الإسلام

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص١٤.

السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»[١]، وقوله لوالي يزيد على المدينة: «إنّا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن الوحي، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاجر فاسق، شارب للخمر، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»[٢]. فمنذ اليوم الأول أدرك الحسين أنّ تكليفه الشرعي هو أن يخرج ويجاهد هذا المشروع الأموي الجديد، والذي يراد له أن يستمرّ في حياة هذه الأمة، ولهذا السبب دون غيره من الأسباب اختار الحسين الشهادة، لأنّ الأسباب الأخرى مهما كانت مهمة فهي لا ترقى إلى تحديد مصير الأمّة ومستقبل إسلامها، ومن ثم لا يمكن له وهو المؤتمن على مصالح هذه الأمة أن يتنازل عن هذا الأمر العظيم.

أمّا قوله عليه السلام الذي ذكره ابن الأثير: «وأمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه» وفي بعض الروايات «إلى مأمني من الأرض» فهو على فرض صحّته، يمكن أن يحمل على مسألة إلقاء الحجّة على الجيش الواقف أمامه بشكل خاصّ، وعلى أهل الكوفة بشكل عام، وإبطال كافّة الذرائع، لأنّ القوم مصمّمون على قتله حتى لو طلب الرجوع إلى قاصية، أي قطعة من الأرض يعيش فيها الأمان.

ومن ثم فهو أراد أن يوصل رسالة مفادها: أنّ عليكم ان تنظروا بعين البصيرة لا البصر، وسأكشف لكم عن حقيقة هذا الأمر بإعلاني أني سأرجع من حيث أتيت، وإن لم أرد ذلك حقيقة، لتروا بأعينكم أنّهم سوف لن يقبلوا حتى بهذا،

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) اللهوف: ص١٠.

فإذا كان الأمر كذلك فعليكم أن تنصروني وتقفوا إلى جانبي، من حيث أنّ المسألة أخذت بُعداً دفاعيّاً، والدفاع عن النفس فرضٌ واجب.

وهذا يشبه إلى حدّ كبير طلبه عليه السلام الماء من جيش ابن سعد، وهو يعلم أنّهم لا يسقونه الماء ولكنّه أراد أن يصوّر مدى وحشية هؤلاء وانسلاخهم من كلّ قيمة إنسانية يمكن أن يؤمن بها إنسان على وجه الأرض، وإلّا فما معنى أن يترك إنسان يعالج سكرات الموت، قد تحول جسده إلى شبه القنفذ من كثرة السهام، فضلاً عن طعن الرماح والسيوف، والدماء تشخب منه، وهو لا محالة خارج من الدنيا خلال دقائق، ومع كلّ ذلك يطلب قليلاً من الماء ليداوي كبده الظامي فلا يلبّى طلبه، إنّها أبشع صورة يسجّلها التاريخ، ولو لم يكن الحسين هو الذي فضحهم بهذا العمل لما استطعنا تصوّر سقوط وانحطاط إنساني كهذين، ومن ثم فإنّ الماء لم يكن هو مطلوب الحسين، بل كان مطلوبه أن نصل في تصوّراتنا إلى حجم مأساته مع هؤلاء الذين ما عرف التاريخ أبشع منهم، ونفس هذه الصورة أراد الحسين أن يبيّنها لنا من خلال إعلانه بأنّه سيختار العودة إلى مأمنه من الأرض لو خيّروه، حتى تتمّ الحجّة عليهم، وحتى يمكن أن يعي هذه الحقيقة من له صحوة ضمير، ومن ثم يلتحق بركب الحسين ويستنقذ نفسه من الضلال والهلكة، كما حصل بالفعل لأشخاص مثل الحرّ بن يزيد الرياحي، وسعد وأخيه أبي الحتوف، وآخرين.

وتذكر الروايات أنّ الحسين عليه السلام قد بعث الشهيد الكربلائي مرّة أخرى إلى عمر بن سعد، وذلك يوم التاسع من المحرّم، وفي هذه المرّة أراد الحسين أن

يواجهه بشكل مباشر عسى أن يؤثّر فيه ويصلحه. ينقل أبو مخنف في مقتله قائلاً: «حدثني أبو جناب، عن هاني بن ثبيت الحضرمي، وكان قد شهد قتل الحسين عليه السلام قال: بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة الأنصاري أن ألقني الليل بين عسكري وعسكرك، قال: فخرج عمر بن سعد في نحو عشرين فارساً وأقبل حسين في مثل ذلك»[1].

ومن ثم فإنّ الشهيد قد اطّلع على ما دار بينهما في هذا اللقاء المهمّ الذي أراد من خلاله الحسين أن يحرّك آخر ورقة له، عسى أن تنفع في إخراج عمر بن سعد من ضلاله وطغيانه، ولكن هيهات هيهات لمن طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم، أن يعوا كلمة واحدة من إصلاح أو وعظ، ولقد نقلت لنا كتب التاريخ عن هذا الحوار ما يكشف عن ضحالة هذا الرجل وسقوطه، وتمسكه العجيب بهذه الدنيا الدنيّة، وهو الرجل الشيبة الذي ناهز الخمس والستين سنة، ومع ذلك ما زالت نفسه متعلّقة كل التعلق بالمال والمنصب والجاه.

يقول السيد الأمين في لواعج الأشجان: «أرسل الحسين إلى ابن سعد أنّي أريد أن أكلّمك، فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج اليه عمر بن سعد في عشرين فارساً، والحسين في مثل ذلك، ولمّا التقيا أمر الحسين فتنحّوا أصحابه عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له يقال له لاحق، فقال الحسين لابن سعد: ويحك أما تتّقي الله الذي إليه معادك، أتقاتلني وأنا ابن من عرفت؟! يا هذا ذر هؤلاء القوم

(١) مقتل أبي مخنف: ص٩٩.

وكن معي، فإنّه أقرب لك من الله، فقال عمر بن سعد: أخاف أن تُهدم داري، فقال له الحسين: أنا ابنيها لك، فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال: انا أُخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال: لي عيال أخاف عليهم، فقال: أنا أضمن سلامتهم، قال: ثمّ سكت فلم يجبه عن ذلك، فانصرف عنه الحسين وهو يقول: ما لك ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إنّي لأرجو أن لا تأكل من بُرّ العراق إلّا يسيراً، فقال عمر: يا أبا عبد الله، في الشعير عوض عن البرّ، ثمّ رجع عمر بن سعد ليلاً إلى معسكره»[1].

ولقد كان مع الوفد الذي جاء به الحسين في هذا اللقاء الشهيد الكربلائي عمرو بن قرظة، ومن ثم فهو قد اطّلع على ما دار بين الحسين وعمر بن سعد، إمّا سماعاً وإمّا نقلاً عن الحسين نفسه، أو من العباس أو علي الأكبر، وعرف الأسباب التي دعت عمر بن سعد للتخلّي عن نصرة الحسين، ألا وهي الدار والنفس والولد والجاه وما أشبه ذلك من متع هذه الدنيا الفانية المتقلبة بأهلها، ولهذا فإنّ الشهيد الكربلائي حينما نزل إلى ساحة المعركة كان رجزه الذي اختاره يتناسب مع هذا الحضور، وكأنّه أراد أن يردّ على ابن سعد، حيث كان يقول:

قد علمت كتيبة الأنصار ... أنّي سأحمي حوزة الذمار
ضربَ غلامٍ غيرِ نَكْسٍ شارِي ... دون حسينٍ مهجتي وداري

يقول الشيخ ابن نما «عرّض بقوله» «دون الحسين مهجتي وداري» بعمر بن سعد، فإنّه لمّا قال له الحسين: صر معي، قال: أخاف أن تهدم داري، فقال له

---

(١) السيد الأمين، لواعج الأشجان: ص١١٤.

الحسين: أنا أبنيها لك ...الخ كلامه»[١].

وكأنه يريد أن يقول لعمر بن سعد: أيّ دار هذه التي تريدها دون الحسين، وأيّ مهجة تبغيها ومهجة الحسين تريد أن تقطعها السيوف، وأيّ أولاد تخاف عليهم وعرض رسول الله مهدّد من قبل الاجلاف من بني أمية، أي مقياس هذا الذي تعتمده؟ إن الحسين هو الحقّ والإسلام والإيمان والقرآن، وهو الذي يجب ان تضحّي بكل الأمور من أجله، مهما غلت وعلت في نفاستها، لأنّ ذلك يمثّل تكليفاً شرعياً.

رسالة الشهيد إلى المسلمين في العالم

وهذه أيضاً رسالة يقدّمها الشهيد إلى كلّ المسلمين في العالم، إنّ الدين والإسلام والقرآن قد يمرّ بأوقات عصيبة يكون فيها التحدّي في أعلى مستوياته، فإمّا أن نوجد وإمّا أن لا نوجد، وهنا لا يبقى أمامنا غالٍ ولا نفيس إلّا ويوضع تحت الأقدام من أجل بقاء الإسلام والقرآن، عليكم أن لا تسمعوا من أولئك الجبناء والمجبّنين لغيرهم، والبعيدين عن كلّ ما فيه ضرر على أجسادهم، قدّموا كل ما عندكم فإنّ الإسلام أغلى من كلّ ذلك.

﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ

(١) إبصار العين للسماوي: ص١٢٢.

الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وياللعجب وليس مع أصحاب الحسين عجب، فمع أن الشهيد لم يبلغ عمره ما بلغ عمر بن سعد من السنين، ولكنّنا نراه في هذا الموقف يمثّل قمّة النضوج والوعي والخبرة بينما نجد أنّ من ناهز السبعين سنة وكأنّه صبي صغير متعلّق بوسائل لهوه ولعبه ولا يستطيع أن يغادرها أو يتركها، إنّه السقوط الذي ما بعده سقوط، أن يستولي حبّ الدنيا على العقول إلى هذا الحدّ المذموم، فلو نظرنا إلى ابن سعد كم عاش بعد جريمته هذه؟ وكم تهنّأ بطعام وشراب بعد مقتل الحسين عليه السلام؟ إنّها لم تكن سوى أيام معدودات في حساب الزمن، وانتهت به إلى شرّ نهاية، ثمّ لحق بمزابل التاريخ وأصبح بعدها لعنةً وسبّة على كلّ لسان. أمّا الشهيد الكربلاء فقد بقي موقفه خالداً على مرّ العصور وكرّ الدهور. فما أحوجنا اليوم وفي هذا الوقت إلى أن نقدّم الأرواح والأموال والأولاد من أجل الدنيا رخيصة «دون حسين مهجتي وداري».

شهادته

لقد كانت شهادة عمرو بن قرظة من نوع آخر، حيث كان ينزل إلى ساحة المعركة يقاتل وقلبه متعلّق بالحسين، يخاف أن يناله من سهامهم ورماحهم شيء، ولهذا كان يقاتل ثمّ يرجع ليقف أمام الحسين عليه السلام يدرأ عنه السهام، وهنا وفي هذا الموقف العظيم حيث كان واقفاً امام الحسين والسهام عليه تترى وهو يستقبلها بجبهته وصدره الشريفين وإذا به يثخن بالجراح فيسقط إلى الأرض، يقول الشيخ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

ابن نما: «فجعل يتلقّى السهام بجبهته وصدره، فلم يصل إلى الحسين سوء حتى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين فقال: «أوفيت يا بن رسول الله؟ قال: نعم، وأنت أمامي في الجنّة، فاقرأ رسول الله السلام وأعلمه أنّي في الأثر، فخر قتيلاً رضي الله عنه»(١).

وإن دلّ هذا النص على شيء فإنّما يدلّ على عظيم الحبّ والشوق الذي يحمله هذا الشهيد في قلبه تجاه الحسين عليه السلام، فمع كلّ ما قدّمه من غالٍ ونفيس، وليس هناك أغلى من الروح، يشعر وكأنّه مقصر ولم يفِ لإمامه وقرّة عينه، ولذا نراه يسأل الحسين: أوفيت يا بن رسول الله؟ وكأنّي به والسعادة قد ملأت قلبه حينما أجابه الحسين بالإيجاب وبشّره، وأنّه سوف يكون أمامه في الجنّة، فيا لها من سعادة ويا له من هناء ويا لها من عاقبة حسنة! حيث فاضت روحه وعينه لا تفارق عين الحسين ولم تغمض إلّا على صورة الحسين، وسيفتحها والحسين أمامه وإلى جانبه في الجنّة، وهنا وفي هذه اللحظات فارقت روح الشهيد جسده راجعةً إلى ربّها راضيةً مرضية، وعندها قام الحسين عليه السلام من عنده وهو يقرأ قول الله:

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾(٢).

قام الحسين من عنده وإذا به يسمع صوتاً عالياً من جهة الأعداء، وقائلاً يقول: يا حسين يا كذّاب، أغررت أخي وقتلته، فقال له الحسين: «إنّي لم أغرّ أخاك ولكن هداه الله وأضلك»(٣).

(١) إبصار العين: ص١٢٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٣) إبصار العين: ص١٢٢.

لقد وقفت أمام هذه الرواية طويلاً، وأطلقت لفكري العنان لكي يسرح في فقرات هذه الكلمات التي قالها أخٌ يقف على الطرف النقيض لأخيه، فيكون هو في أعلى درجات الضلال والسقوط، ويكون أخوه في أعلى درجات الهداية والصلاح، إنّه لدرس عظيم أن يخرج من صلب واحد ومن رحم واحدة ومن بيت واحد رجلان، أحدهما كان عوناً للهداية على الضلال، والآخر عوناً للضلال على الهداية، يقف في وجهه ويتحدّث مع الحسين بلهجة ملؤها القسوة والعنجهية المقيتة: يا حسين يا كذّاب! ويقف أخوه ليقول للحسين، بعد أن أخذت الدماء كلَّ مأخذ: أوفيت يا بن رسول الله. إنّه الدرس الذي يعطيه لنا الشهيد الكربلائي حيث يصل إلى أعلى درجات سلّم الكمال بإرادته وحسن اختياره وبالمقابل يقع أخوه ضحية سوء اختياره، ليصل إلى أسفلَ سافلين، يقول الله سبحانه:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1].

والشيء الملفت للنظر والذي يستدعي منّا التأمّل والتدبّر كثيراً هو قول علي ابن قرظة للحسين: أغررت أخي وقتلته، مع أنّ الذي قتله ليس هو الحسين، بل الذي قتله هو الجيش الذي وقف بوجه الحسين والذي كان عليٌّ أحد أفراده، ولكنّه منطق الظلمة والجبابرة عبر العصور، يقتلون الناس ويروّعونهم ومع ذلك ينسبون الأمر إلى الله، ولي على هذا المنطق الذي يحدّث به علي بن قرظة مجموعة من الشواهد التاريخية والتي تؤكّد على أنّ هذ الذي قاله قد قاله غيره من الظلمة:

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

أولاً: نقل لنا التاريخ قول رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعمّار: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية»، وهذا القول قد نقله الكثير من علماء الإسلام من الفريقين، فقد رواه أحمد في مسنده[١] والبخاري[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤]، وللاطّلاع على رواية واحدة ممّا ذكروه في هذا المجال انقل ما ذكره البخاري، وهو أصحّ الكتب بعد كتاب الله عند جمهور المسلمين، حيث يقول: «وكان عمّار ينقل لبنتين لبنتين، فمرّ به النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ومسح عن رأسه الغبار وقال:

«ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الجنّة وهم يدعونه إلى النار»[٥].

ومع أنّ الفئة الباغية هي التي سوف تقتل عمّار، وعمّار قتله جيش معاوية في صفّين بالاتّفاق حيث قال ابن سعد: «وكان الذي قتل عمّار أبو غادية المزني، حيث طعنه برمح فسقط وهو ابن أربع وتسعين سنة، فلمّا وقع إلى الأرض أكبّ عليه رجل آخر واحتزّ رأسه، فأقبلا يختصمان فيه كلاهما يقول أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن تختصمان إلّا في النار، فسمعها منه معاوية، فلمّا انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص: ما رأيت مثل ما صنعت؛ قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما إنّكما تختصمان في النار! فقال عمرو بن العاص: هو والله ذاك،

---

(١) مسند أحمد: ج٣ ص٩١.

(٢) البخاري: ج٢ ص٨٧.

(٣) سنن الترمذي: ص٥٤٢.

(٤) خصائص النسائي: ص٢٩.

(٥) صحيح البخاري: ج٢ ص٨٧.

والله إنّك لتعلمه، ولوددت أنّي متّ قبل هذه بعشرين سنة»[(١)].

وهـذا يعنـي بالإجماع أنّ جيش معاوية هو الباغي، وأنّ جيش علي هو المَبْغِيُّ عليه، ولكن انظر إلى الانحطاط الخلقي، واللهَث وراء الأهواء والمطامع ماذا يفعل، فقد روى البلاذري عن عبد الله بن الحارث قال: «إنّي لأسير مع معاوية منصرفه من صفين، بينه وبين عمرو بن العاص، فقال عبد الله لعمرو بن العاص: يا أبت، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار: «ويحك يا بن سمية، تقتلك الفئة الباغية» فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: ما تزال تدحض بها في قوله، أنحن قتلناه؟! إنّما قتله الذين جاءوا به»[(٢)]. وينقل الطبري رواية أخرى في هذا المورد، يقول: فقال عبد الله بن عمرو لأبيه: يا أبت قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ما قال، قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وعمّار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين فغشي عليه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول:

«ويحك يا بن سمية، الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين، رغبة منك في الأجر، وأنت ـ ويحك ـ مع ذلك تقتلك الفئة الباغية».

فدفع عمرو صدر فرسه ثمّ جذب معاوية اليه فقال: يا معاوية، أما تسمع ما

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣ ص٢٥٩.

(٢) أنساب الأشراف: ج١ ص١٦٤.

يقول عبد الله؟! قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر، فقال معاوية: إنّك شيخ أخرق ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحض في قولك، أو نحن قتلنا عماراً؟! إنّما قتل عمّاراً من جاء به، فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون إنّما قتل عماراً من جاء به»[(١)].

ويا له من منطق ضالّ ومضلّ لأنّه سوف يلزم من قولهم هذا أن يكون رسول الله هو الذي قتل حمزة وسائر الشهداء في غزواته، لأنّه هو الذي جاء بهم، والأعجب من هذا القول هو قول بعض من يُسمّون علماء بأنّ جيش معاوية صحيح أنّهم بغاة ولكنّهم كانوا مجتهدين، والمجتهد له أجر على كلّ حال؛ لأنّه إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد!!

ثانياً: ينقل الشيخ المفيد رحمه الله أنّ عبيد الله بن زياد سأل الإمام زين العابدين: من أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين، فقال: ألم يقتل الله علي بن الحسين، قال عليه السلام: كان لي أخ يسمّى علياً قتله الناس، فقال ابن زياد بل قتله الله»[(٢)].

وعلى منطق ابن زياد ومن لفّ لفّه وسار على نهجه، يكون الله هو القاتل للأنبياء والصالحين والمصلحين في الأرض أيضاً لأنّه هو الذي أرسلهم، مع أنّه يقول في كتابه الكريم وهو يخاطب بني إسرائيل:

﴿ وَبَآؤُوْا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[(٣)].

(١) تاريخ الطبري: ج٦ ص٢٢.

(٢) الإرشاد: ج٢ ص١١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

وهذا هو منطق الطغاة والمستكبرين في الأرض على مرّ العصور وقبل أقلّ من أربع سنين، هجمت إسرائيل بكامل ترسانتها العسكرية، فحظت بتخاذل عربي في أحسن أحوال الظنّ به، وعدم مبالاة من قبل كافّة دول العالم، وذلك حينما استباحت لبنان وجنوبه أرضاً وبحراً وجوّاً، فقتل من قتل، وشرّد من شرّد، وتهدّمت البيوت والبنايات على رؤوس ساكنيها، وتحول جنوب لبنان ومناطق تابعة له خلال مدّة وجيزة إلى أرض محروقة، ولولا جنود الله المتمثّلة بتلك الفئة الصالحة المؤمنة الموالية لأهل البيت، لرأيت إسرائيل قد حقّقت كلّ ما تريد، ولكن ومع كلّ ما جرى بالرغم من تلك الوقفة البطولية الرائعة أخذ بعض من يُسَمّون علماء المسلمين يتحدّث بأنّ الذي دمرّ لبنان هو حزب الله وليس إسرائيل، مع أنّ الذي قصف لبنان أرضاً وجوّاً وبحراً إنّما هي إسرائيل لا غير، وهذا هو منطق معاوية ومنطق عمرو بن العاص، وهو اليوم منطق إسرائيل، وهو منطق علي ابن قرظة الأنصاري حينما قال للحسين عليه السلام: «أغررت أخي وقتلته؟» فقال له الحسين:

«إنّي لم أغرر أخاك ولكن هداه الله وأضلّك» فلمّا سمع ذلك من الحسين قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك، ثمّ حمل على الحسين عليه السلام، فاعترضه نافع بن هلال فطعنه حتى صرعه، فحمل عليه أصحابه واستنقذوه، فدووي بعد فبرئ».(١)

(١) إبصار العين: ص١٢٢.

المحتويات

الشهيد حبيب بن مُظهِّر الأسدي الفقعسي عليه السلام

الشهيد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي الكندي عليه السلام

الشهيد يزيد بن مغفّل المزني الأزدي عليه السلام

الشهيد عبد الله بن بشر الخثعمي عليه السلام

الشهيد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري عليه السلام